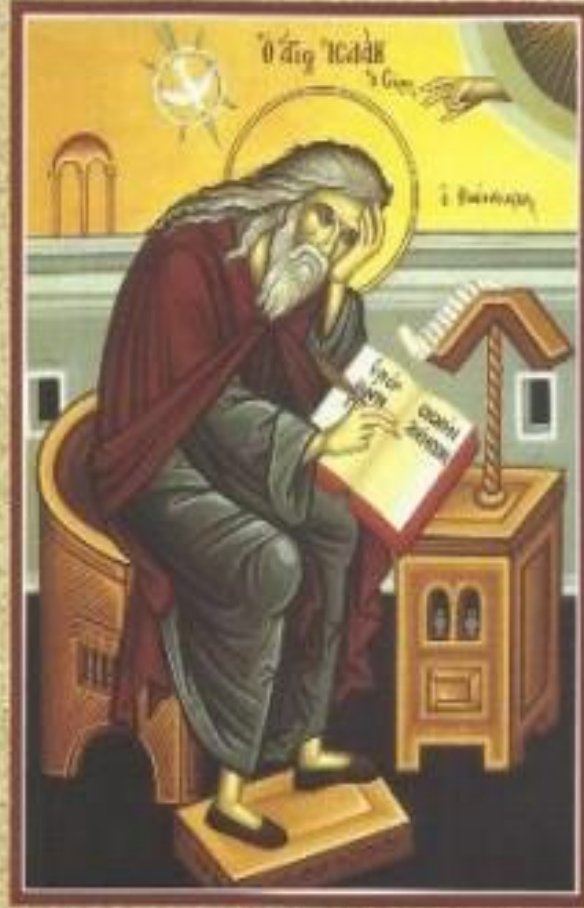


الحياة الروحية ١

الأب أنطوان يوحنا لطوف



المسيرة الروحية
للقدّيس إسحق السريانيّ

الأب أنطوان يوحنا لطّوف

المسيرة الروحيّة

للقدّيس إسحق السريانيّ

مُختارات من كتاب "نسكيات"

مع شُرُوحات وحواشٍ

2016

مقدمة

1- من أشهر كنوز الأدب النسكيّ في جميع العصور كتاب " نسكيّات " للقديس إسحق السرياني؛ ذاع صيتُ هذا المؤلف، كما ذاع صيتُ كاتبه، شرقاً و غرباً، فور فراغ المؤلف من تأليفه، فترجم خلال فترة وجيزة جداً من السريانية إلى اليونانية، وفي ما بعد إلى العربية، ولغات أخرى، و قام عددٌ من الباحثين بالتدقيق في نصوصه و مخطوطاته المختلفة المتوفرة في مكتبات العالم. و أكبَّ عليه الرهبان و المتوحّدون، بعد ذلك، ولقرون، حتى يومنا، ينهلون منه تأملاً وقراءةً، فكان لهم خير معلّم و مُعين في حروبهم الروحية و جهادهم لأجل تقديس نفوسهم و مُحاربة أهوائهم و اكتسابهم الفضائل، سالكين سبيل المتوحّدين الذي قوامه ثلاث مراحل : (1) التطهّر، أي العمل والجهاد لأجل اكتساب الفضائل، (2) لتأتي بعد ذلك مرحلة التأله أو (الثاوريا)، حيث يتعلّم المجاهد الحقائق الإلهية بطريقة غير حسية، وغير منظورة، و بالأخصّ، وفي لحظات خاطفة، سرية، ينال نعمة معاينة النور الإلهي غير المخلوق، على نحوٍ يعجزُ وصفه أو تبيان ماهيته، كما يعجز بالأكثر تبيان كيفية حصول تلك المعاينة.

2- وُلد القديس إسحق في منطقة قطر في الخليج الفارسي و ترهّب وهو شاب، و ما لبث أن اعتنق سيرة النّسك المتوحّدين في أديار قطر المزدهرة آنذاك. بعدها صار أسقفًا على نينوى، لكنّه سرعان ما وجد نفسه مُشتتاً بمسؤوليات كثيرة، فترك منصبه وعاد إلى البرية ليقضي فيها بقية حياته عائشاً في النّسك الشّديد. و ذاع صيتُ هذا القديس العظيم في النّصف الأوّل من القرن السادس، وهو سليلُ تراثٍ رهبانيّ شرقيّ عميق الجذور، يعود إلى قرون سابقة عديدة. و إنّ خبرة هذا التراث بمُجمله هي التي أنتجت الإطار الذي ترعرع فيه هذا النّسك القديس ، فكانت كتاباته من قِمَم الأدب النسكيّ المُستنير بالمعاينة الإلهية و أنوار الرّوح القدس و إلهاماته.

3- في كتاب نسكيّات يرسم القديس إسحق للرهبان و المتوحّدين طريق السيرة الرهبانية الملائكية و يُبيّن لهم أصولها. وهي تحديداً ترك العالم، و الصّمت، والذّكر الدائم لله. كما يُبيّن كيفية عمَل الأهواء في مهاجمتها للنفس، وكيفية التّعامل مع تلك الأهواء، وأساليب أفكار الشياطين وخداعها و كيفية ردّ هجماتها، وطرائق تنقية القلب، والتّعامل مع المخاوف المتعلّقة بالجسد، وهجمات الرّغبات الجسدية، وطريقة التّعامل مع ذكريات الخطيئة،

و كَيْفِيَّةُ التَّعَامُلِ مَعَ الإِخْوَةِ (الرَّهْبَانِ)، وَ طَرِيقَةُ تَعَامُلِ الرَّاهِبِ مَعَ العَالَمِ وَتَجَارِبِهِ، وَ حُدُودَ اِخْتِلَافِ المُجَاهِدِ بِالرَّهْبَانِ وَ بِأَهْلِ العَالَمِ، وَ حُدُودَ وَكَيْفِيَّةِ عَمَلِ الخَيْرِ (المَادِيّ) تُجَاهِ الآخَرِينَ، وَ شُرُوطَ قِيَامِ الرَّاهِبِ بِتَعْلِيمِ الآخَرِينَ، وَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِ المُجَاهِدِ لِاِكْتِسَابِ المَوَاهِبِ وَالفَضَائِلِ، وَ شِفَاءَ أَهْوَاهِهِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ القُدُسِ، وَ أَهْمِيَّةَ يَقْظَةِ ذِهْنِهِ لِكَيْ يُحَافِظَ عَلَى مَا اِكْتَسَبَهُ مِنْ فَضَائِلِ، إِلَى سَائِرِ مَا هُنَاكَ مِنْ أَسَالِيبِ الجِهَادِ وَ الحُرْبِ الرُّوحِيَّةِ الآيِلَةِ إِلَى تَقْدِيسِ المُجَاهِدِ وَ خِلَاصِ نَفْسِهِ، وَ تَقْدِيسِ الكَنِيسَةِ وَ الكَوْنِ مِنْ خِلَالِ جِهَادِهِ وَ صَلَاتِهِ.

وَ فِي كُلِّ ذَلِكَ، يَرْجُو المُجَاهِدُ الرَّبَّ وَ يَتَّكِلُ عَلَيْهِ لِاِقْتِنَاءِ الفَضَائِلِ، كَمَا قَالَتْ صَلَوَاتُنَا: " إِنْ لَمْ يَبَيِّنِ الرَّبُّ بَيْتَ الفَضَائِلِ فَعَبَثًا نَتَّعِبُ. وَ إِنْ هُوَ حَرَسَ نُفُوسَنَا، فَلَا أَحَدٌ يَنْهَبُ مَدِينَتَنَا، " 1 أَي بَيْتِنَا الدَّاخِلِيّ.

4- لَكِنَّ هَذَا الكِتَابَ الثَّمِينِ جَدًّا لَمْ يَجِدْ لَهُ مَا يَكْفِي مِنَ القُرَاءِ لِسَبَبَيْنِ اِثْنَيْنِ: أَوَّلًا، لِأَنَّهُ يَتَوَجَّهُ بِشَكْلِ خَاصٍّ إِلَى الرَّهْبَانِ المُتَوَحِّدِينَ، وَ هُمْ مِنْ أَيَّامِ القُدَيْسِ إِسْحَقَ نَفْسَهُ " نَادِرُونَ جَدًّا وَلَا يَكَادُونَ يَوْجَدُونَ " 2. وَ ثَانِيًا، لِأَنَّ لُغَةَ هَذَا المَوْئَلِّ هِيَ لُغَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ مِنْ حَيْثُ مُفْرَدَاتِهَا وَ مُصْطَلِحَاتِهَا وَ طَرَائِقُ تَعْبِيرِهَا. فَكَمَا أَنَّ لُغَةَ الطَّبِّ، أَوِ الهِنْدِسَةِ، مِثْلًا، عَصِيَّةٌ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، فَكَذَلِكَ لُغَةُ هَذَا المَوْئَلِّ لَا تَتَقَادُ بِسَهُولَةٍ لِلقَارِئِ العَادِيّ، اللّهُمَّ إِلَّا فِي بَعْضِ مَوَاضِعِهَا وَ أَجْزَائِهَا. وَ فِي مَا يَلِي نُوضِحُ مَعَانِي بَعْضِ العِبَارَاتِ المُسْتَعْمَلَةِ فِي الأَدَبِ النَّسْكِ وَ أبعادِهَا، ذَاكِرِينَ بِخَاصَّةٍ، أَنَّ مَنَشَأَ تِلْكَ التَّعَابِيرِ، بِمَعَانِيهَا النَّسْكِيةِ، هُوَ ذَلِكَ التُّرَاثِ الرَّهْبَانِيّ الضَّارِبُ جُذُورَهُ عَمِيقًا فِي التَّارِيخِ.

5- فِي هَذَا الأَدَبِ، الرَّاهِبُ هُوَ مَنْ اِعْتَزَلَ العَالَمَ لِأَجْلِ المَلَكُوتِ، وَ الصَّمْتُ هُوَ الإِطَارُ الطَّبِيعِيّ لِلرَّاهِبِ، فِي فَيْئَةِ يَعْيشُ أَبَدًا، وَ فِي ظِلَالِهِ يُصَلِّي؛ وَ الصَّمْتُ يَعْنِي عَدَمَ تَلْقِيٍّ مَا يُشَوِّشُ الذَّهْنَ، لِأَجْلِ الإِصْغَاءِ إِلَى اللّهِ، وَ التَّأَمُّلِ وَ الصَّلَاةِ. فَالصَّمْتُ هُوَ أَوَّلًا حَالَةٌ دَاخِلِيَّةٌ دَائِمَةٌ، وَ الصَّمْتُ الخَارِجِيّ قَدْ لَا يَعْنِي حَيَالَهَا شَيْئًا، وَ إِنْ كَانَ فِي الغَالِبِ مُسَاعِدًا لَهَا.

1. الزمن الخمسيني، أحد المُخْلَعِ، أناشيد المَرَاقي، القسم الثاني.

2. المقالة الثالثة والسبعون، الفقرة 23

و الصَّحراء (أو البرية) هي الاعتزال عن العالم و هُوموه و شُؤونه ، و عن كلِّ ارتباطٍ به و تعلقٍ فيه ، و النَّفْرُغ للصَّلاة الدَّائمة. فالرَّاهب يَحْمَلُ صَحراءه في داخله. أما العُزلةُ الخارجيّة (و أحياناً هي صحراء بالمعنى الحقيقيّ) فهي تُشكِّلُ الإطارَ الخارجيّ ، الماديّ، الذي يُتيح للراهب عيش الصحراء، أي العُزلة و مُمارسة التَّسكُّ القلبيّ 3، لهذا ، الراهبُ غريبٌ، أي مُتغرَّبٌ عن ذاته، عملاً بوصيّة الربِّ: " فليُنكر نَفْسَه" ، و مُتغرَّبٌ عن العالم. 4 و غرْبته طَوْعيّة، كما ورد في الكتاب: " هَرَبت المرأةُ (النَّفسُ المُجاهدة) إلى الصَّحراء حيثُ أُعدَّ لها مكانٌ نَقَتات فيه) (رؤيا 12 : 6). فالترهّب هو تَغْرَبٌ عن العالم، وقد قال القديس يوحنا السلمي: " يا مَنْ تَغْرَبَ عن العالم، لا تُعد تدنو إليه". 5 فالرَّاهبُ يَتَغْرَبُ في الصحراء ليُجاهدَ " الجهاد الحسن" 6 ويغتذي من محبة المسيح و يعتنق السيرة الملائكيّة و يقنات بقوت الملائكة، أي الإلهامات الإلهيّة و أسرار الله. 7

و العمل هو العمل النَّسكيّ. إنه نشاط الرَّاهب و جهادةٌ لمحاربة الأهواء و اكتساب الفضائل بجميع الوسائل المتاحة، التي بها يتلقّى الهامات الله و إعلاناته، و بها يتعلّم سرّياً أسرار الروح، و يبلغ _ أحياناً _ حالة " الثاوريا" ، أي الاتحاد بالله بالروح.

و الصَّلاة هي الصَّلاة الدائمة، صلاة القلب: " ربّي يسوع المسيح ابن الله الحيّ، ارحمني أنا الخاطيء" ، يُردِّدُها الرَّاهب بلا انقطاع، ليلٍ نهار، حتى في أثناء النَّوم. هذه الصَّلاة تكونُ نَقِيّةً حين لا يشوبها تَشْتُّت. و الهدّيز هو الذِّكر القلبيّ الدائم، ليل نهار لاسم الربِّ، والمملوء بالدُّعاء الحارّ والمحبة والشُّكر؛ و العالم هو جميع التَّجارب الخارجيّة التي تُهاجم الرَّاهب، و النَّاشئة عن العالم: أي حُبُّ الظُّهور، و حُبُّ المُقْتَنِيات، و تَشْتُّت الحواسِّ، و الاهتمامات الدُّنيويّة... والجسد هو كلُّ ما يَنشأ عن الجسد من رَغبات؛ و التَّمييز هو تَمييز الأفكار والأحاسيس التي تُراود الرَّاهب، و مصدرها و صلاحها أو عدم ملاءمتها، و تَمييز مَشِيئة الله في جميع الأمور؛

3. أنظر : مزمو 54 : 8؛ رؤيا 12 : 14

4. لوقا 9 : 23 ؛ المقالة السادسة و الخمسون، الفقرة 5

5. القديس يوحنا السلمي، السَّلم إلى الله ، 3 : 7

6. 2 تيموطاوس 4 : 7

7. أنظر المقالة 56 ، الفقرة 3.

و التَّمييز موهبة يُعطيها الله لأنقياء القلب و المتواضعين؛ والخَوْف (الجُبْن) هو تارةً الخوف و الاحتراز من الكَسَل والخطيئة و التَّقْصير في الجهاد و خسارة الفضائل، و طوراً هو الخوف على الجسد من الأذى و الألم و المرض. لأنَّ الراهب، متى بَلَغَ مَرحلة اللاهوى، لا يَخاف على جَسده، فهذا الخوف هو دليل ضعف إيمان بعناية الله، و ضعف إيمان بالحياة الخالدة.

و الشَّوق هو الشَّوق إلى أسرار الله و مُكاشفاته. فالرَّاهب هو في شوقٍ دائمٍ لأنَّ يَكشِفَ له الله الأسرار المَكْنونة في الكُتُب المقدَّسة: " اكشف عن عيني فأبصر مُعجزاتٍ من شريعتك " 8. هذه المُكاشفات هي تَعزِيَةُ الراهب و مُتَعْنَةُ الرُوحِيَّة الفُضلى. أما المُتقدِّمون في الحياة الرُوحِيَّة فقد يُعلِّمهم الله مُباشرةً، بطُرق سرِّيَّة، بحسب قول الربِّ: " أحمدُك يا أبتِ، رب السَّمَاوات و الأرض، على أنك أخفيتَ هذه الأشياءَ على الحُكماء و الأذكياء، و كَشَفْتَهَا لِلصَّغار. نعم يا أبتِ، هذا ما كان رضاك. قد سلَّمَنِي أَبِي كُلَّ شَيْءٍ، فما مِن أَحَدٍ يَعْرِفُ الابْنَ إِلَّا الآبُ، ولا مِن أَحَدٍ يَعْرِفُ الآبَ إِلَّا الابْنَ و مِن شاء الابْنُ أن يَكشِفَهُ لَهُ " 9.

و ما شوقُ الراهب إلى مُكاشفات الله إِلَّا اشتياقٌ إلى لحالة التي سوف نكون عليها جميعاً في السماء. " النبوءاتُ ستبطل... و المَعْرِفة تبطل، لأن معرفتنا ناقصة و نبوءاتنا ناقصة. فمتى جاء الكامل زال الناقص... نحن اليوم نرى رؤْيَةً ملتبسة، كما في مرآة، أما في ذلك اليوم فتكون رؤْيَتنا وجهاً لوجه، اليوم أعرف معرفة ناقصة، و أما في ذلك اليوم فسأعرف مثلما أنا معروف ". (أي سوف أبُلِّغُ كمال المعرفة) 10؛ وكما قال يوحنا الحبيب أيضاً: " ما كُشِفَ لَنَا بَعْدَ عَمَّا نَصِيرُ إِلَيْهِ. نحن نَعْلَمُ أَنَّنَا نَصَبِحُ عِنْدَ هَذَا الكَشْفِ أَشْبَاهَهُ لَأَنَّنا نَرَاهُ كَمَا هُوَ " 11. واليَقِظَةُ (أو السَهْرُ)، هي يقظة الذهن و السَهْرُ الدائم لمراقبة الأفكار و الأحاسيس الدَّاخلة إلى النَّفس و الخارجة منها لأجل تمييزها، هل هي من الله أم لا. و غايةُ اليقظة دَفْعُ الأهواءِ و التَّجاربِ و الأفكارِ في مَهْدِها، و عَدَمُ قَبولِها مِن بدايتها، لئلا تَسْتَشْرِي و تَتَحَدَّرُ و تَتَسَلَّطُ على النَّفسِ. و الهَجَمَاتُ هي هَجَمَاتُ الجسدِ و هَجَمَاتُ الأهواءِ و التَّجاربِ، و هَجَمَاتُ تجارب الشياطين 12.

8. زمور 119 : 18.

9. متى 11 : 25 - 27

10. 1 كورنثس 13 : 8 - 12

11. 1 يوحنا : 3 : 2

و هجمات الخوف على الجسد من الأذى والموت. والأعداء هم شهوات الجسد، والأهواء، والعالم، والشياطين، و الحرب هي الحرب ضدّ هذه جميعها. وما يُساعد على اليقظة و مُحاربة الأهواء ذكرُ الموت. فالذكرُ الدائم للموت يُقرب الراهب من الله و يجعله يزدري بأباطيل العالم، وتمتقُ عيونه لذاته 13.

أما الرّاحة فتتحقق للراهب عندما ينتصر في حربة ضدّ تجربةٍ ما. لكن بما أنّ حياة الراهب هي حربٌ دائمة، فهذه الراحة هي وقتية، ولا تدوم طويلاً. أما الراحة الدائمة فينالها الراهب عندما تنتهي حروبُه بانتقاله إلى جوار المسيح. و الحرّية هي حرّية النفس، أي أن لا تكون مكبلةً بالأهواء و العادات والتجارب، وأيضاً هي حرّية النفس لأن ترتقي بالروح القدس نحو الله بعد تقدّمها في الفضيلة. والرّجاء هو تارةً يقين المُجاهد بالحصول على الخيرات الأبدية في الدهر الآتي، و طوراً الثّقة ويقين المُجاهد باستجابة الربّ لصلاته، والحصول على معونته في الشدائد و التجارب.

أما التجارب فهي تارةً المشقات الجسدية و النفسية التي يواجهها المُجاهد، و الصّائرة بسبب ضعف الطّبيعة البشريّة، وطوراً هي هجمات الأهواء و الأفكار التي تُجرب الرّاهب و تُدخله في الخوف أو التّراخي أو تشتيت الحواس، لتوقّعه في الخطيئة و تسلبه و تستعبده. و الحزن هو الحزن لأجل التّقصير في الجهاد، و الحزن الطّبيعي الكائن في نفس الرّاهب بسبب سُقوط الطّبيعة البشريّة و خطيئة العالم، و الحزن النّاجم عن الضيقات التي يرسلها الله للمُجاهد لأجل تعليمه أو اختباره، و الحزن لأجل الاستسلام للأهواء و السّقوط في التجارب، ولأجل الخطيئة الذاتيّة و خطيئة الآخرين. 14

و النّوح هو البكاء الدائم عند الراهب بسبب كسله و توانيهِ و خطاياه، و شوقاً إلى الله، و توقاً إلى الفضيلة، و حُزناً على خطيئته و خطيئة العالم. " النّوحُ ألمٌ يتأصل في نفسٍ تائبة تزيد على أوجاعها أوجاعاً، كالمرأة الحامل عند المخاض. 15 "

12. 1 يوحنا 2 : 16

(13) المقاتلان 33 و 43.

(14) 2 كورنتس 7 : 10

(15) القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 7 : 60.

أما الفَرْح فهو الفَرْح النَّاجِم عن معرفة الله 16 و مَعُونته، و عن استجابة الله للصَّلَاة، و كذلك تَذَكُّرٌ وُعود الخيرات الآتية. إنَّه فَرْح الرَّجَاءِ، و فَرْح مُعَايِنَةِ الرَّاهِبِ مَجْدَ اللهِ و نُورَهُ الإِلَهِيِّ غير المَخْلُوقِ، و الفَرْح النَّاشِئُ أَيْضاً عن تَذَكُّرِ تلك المُعَايِنَةِ.

أما المُعَايِنَةُ (الثَّاورِيا)، فهي مُنِيَّةُ المُجَاهِدِ و غَايَةُ جِهَادِهِ و مَصْدَرُ بَهْجَتِهِ القِصْوَى، التي لا تُوصَفُ. وهي تَعْنِي اتِّحَادَ المُجَاهِدِ بِالنُّعْمَةِ الإِلَهِيَّةِ غير المَخْلُوقَةِ، حيثُ " ما لم تَرَهُ عَيْنٌ و لا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنٌ " 17. هذه الخِبْرَةُ تُعْطِي المُجَاهِدَ يَقِينِ الإِيمَانِ 18، وهي قِيَمَةٌ تَعْزِيَاتِهِ فِي صَحْرَائِهِ.

و الكَمَالُ ليس حالةً يَبْلُغُهَا الرَّاهِبُ، بل مَسِيرَةٌ يَبْذُلُ فِيهَا أَقْصَى جِهَدِهِ، بِمَعُونَةِ النُّعْمَةِ، لِبَلُوغِ الكَمَالِ، عاملاً بِوَصِيَّةِ الرَّبِّ: " كُونُوا كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ كَامِلٌ هُوَ " 19. فَالمُجَاهِدُ، مَهْمَا سَمَتَ قِدَاسَتَهُ، لا يَبْلُغُ الكَمَالُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، لِأَنَّ اللهَ حَفِظَ الكَمَالُ لِلدَّهْرِ الآتِي.

6. لُغَةٌ كِتَابٌ " نَسْكِياتٌ " مُتَخَصِّصَةٌ عَلَى نَحْوِ كَبِيرٍ، لَكِنَّهَا أَيْضاً لُغَةٌ مُكْتَفَةٌ، حَيْثُ تَتَدَاخَلُ المَعَانِي، أحياناً، تَدَاخُلًا كَبِيرًا، حَتَّى لِيَصْعُبُ تَفْسِيرُ مَكْنُونَاتِهَا. و أحياناً يُحْجِمُ الكَاتِبُ عَنِ الإِفْصَاحِ عَنِ المَعَانِي المَكْنُونَةِ، عَلَى سَبِيلِ البِلاغَةِ كَأَن يَقُولُ: " لا تَكُنْ حَكِيمًا " 20، و هَذَا نَافِلٌ إِنْ لَمْ يَكُنِ المَعْنَى المَقْصُودُ: " لا تَكُنْ حَكِيمًا (فِي عَيْنِي نَفْسِكَ) " 21.

بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، فَالضَّمَائِرُ لا تُشِيرُ دَائِمًا إِلَى الأَسْمِ الَّذِي يَسْبِقُهَا فِي الجُمْلَةِ، بَلْ قَدْ يُشِيرُ الضَّمِيرُ إِلَى أَيِّ أَسْمٍ وَرَدَ فِي الجُمْلَةِ، أَوْ قَدْ يُشِيرُ إِلَى أَسْمٍ وَرَدَ فِي الفَقْرَةِ. و لَيْسَ ذَلِكَ عَيْبًا فِي لُغَةِ المَوْلَفِ، وَلا فِي لُغَةِ المُتَرَجِّمِ، بَلْ إِنَّهُ أَمْرٌ مألُوفٌ فِي الأَدَبِ النَّسْكِِيِّ، حَيْثُ أَنَّ هَذِهِ المِيزَةَ لا تُشكِّلُ عائقًا للقارئِ، إِذَا كانَ رَاهِبًا أَوْ ناسِكًا، يَحُولُ دُونَ فَهْمِهِ لِمَعَانِي ما يَقْرَأُ، بَلْ يَفْهَمُ ما يَقْرَأُ بِسَهُولَةٍ لِاعْتِيادِهِ عَلَى مُفْرَدَاتِ الأَدَبِ الرَّهْبَانِيِّ و أسْلُوبِهِ و تَعَابِيرِهِ.

(16) 1 يوحنا 1 : 1 - 4

(17) 1 كورنثس 2 : 9

(18) عبرانيين 11 : 1

(19) متى 5 : 48 ؛ 2 كورنثس 9 : 13 و 11.

(20) المقالة السادسة والخمسون، فقرة 16.

و بالرغم من وجوده عناوين عامة للمقالات في كتاب " نسكيات "، إلا أنه ، في جميع المقالات تقريباً، يتطرق القديس إسحق إلى مواضيع شتى في المقالة الواحدة، من دون أن يكون هناك تسلسل أو رابط بين الموضوعات. فقد يتكلم على الأهواء، ثم على التواضع، ثم على مطالعة الكتاب المقدس، وهكذا، ولعل هذا هو من طرائق التعبير في ذلك العصر.

7. هناك ، إذن، أربع عقبات تحول دون أن تكون معاني كتاب " نسكيات " في مُتناول القارئ العادي: اختصاصية لغته و كثافتها و صعوبة تركيبها، و عدم وجود عناوين فرعية في المقالات، بالرغم من تناول المؤلف لموضوعات شتى في المقالة الواحدة؛ والعقبة الرابعة، و الأهم، هي أن أجزاء كبيرة من هذا العمل تختص بالرهبان المتوحدين دون سواهم. فالعيش في " الصحراء " و الصمت الدائم، و التجرد من المقتنيات، و هجر العالم، و عدم الاختلاط بالناس إلا نادراً، و اللباس الحقيقير، و الأصوام الدائمة و الاسهار الطويلة في الصلاة، و غيرها، لا تنطبق كثيراً حتى على الإكليريكيين، فما بالك بالمؤمنين العاديين؟

8. بالرغم من جميع هذه الصعوبات، فقد آثرنا أن نُقدّم للمؤمنين قراء اللغة العربية أجزاء مُنتقاة من كتاب " نسكيات " نظراً لقيمتها الفائقة و عظمة مكانته، إذا ما قورن بكثير من الكتابات النسكية و الروحية الأخرى. لا بل إن كثيرين جداً من الآباء اعتبروا كتاب " نسكيات " ، إلى جانب كتاب " سلم الفضائل " للقديس يوحنا السلمي، من أعظم ما كتب على الاطلاق، في هذا المجال. لذلك، ولكي نتخطى العقبات الآنف ذكرها:

(1) عمّدا إلى اختيار فقرات مُتنوعة من كتاب " نسكيات " ، و اعطينا لكلّ فقرة عنواناً يُناسبها. ولم نحصر اختيار الفقرات بتلك التي تُناسب المؤمنين العاديين و حسب، لأن ذلك يَنقص من هوية الكتاب و الغاية من تأليفه. لأنه سيكون من الغريب جداً أن نستلّ من الكتاب ما يُوافق العلمانيين و نترك جانباً ما هو موجه إلى الرهبان. لأنه بهذا تندر هوية الكتاب. لذلك، فإلى جانب الفقرات التي تهّم المؤمنين العاديين، احتفظنا بالفقرات الأساسية التي تهّم الرهبان المُجاهدين، حفاظاً على روحية الكتاب و هويته. و لهذا الأمر فائدة جزيلة أخرى: فهذا يُوضح لنا كيف عاش آباؤنا القديسون، وأي جهادٍ مريد جاهدوا ، علنا نتمثلُ بهم ولو قليلاً، و نقتدي بفضائلهم، و نلتمس شفاعتهم، و نخجل من أنفسنا و ندرك فقرنا الروحي المدقع إذا ما قارنا حياتنا بحياتهم و خطايانا بفضائلهم.

(2) لأجل تخطي مُعضلة كثافة اللُغة و تداخل معانيها و صعوبة تراكيبها في كثير من المواضع ، عمدنا إلى تبسيط اللُغة على نحو كبير. فهناك جُمْلٌ وفقراتٌ كثيرة أُعيدت صياغتها لتؤدّي المعنى عينه ، لكن بتركيب لغويّ أكثر دقّة و سلامةً ، و أكثر وضوحاً. وهناك جُمْلٌ وفقراتٌ أُعيد ترتيبها و تموضّعها ، أو نُقلت إلى مواضع في فقرات أُخرى ، لأجل بلوغ تسلسلٍ في الأفكار ، من دون إحداث أيّ تغيير في المعاني.

(3) لأجل تخطي صعوبة اختصاصيّة لغة المؤلّف ، عمدنا إلى شرح الكلمات و التّعابير المتخصّصة لكي تتضح معانيها للقارئ العاديّ. وقد أخذنا في شرحنا ، بعين الاعتبار ، المعنى النسكيّ للتعبير المُستعمل ، و الذي عمدنا إلى إيضاحه بما يتفق مع سياق الفقرة أو النصّ المُستعملة فيه تلك العبارة ، و قد وضعنا الشرح الذي يوضح معاني العبارات من دون أن يُغيّر معانيها بين هالين () ، أما ما وُضع بين مزدوجين [] فهو تعليقٌ من عندنا يُقدّم إيضاحاً أو شرحاً إضافياً ، قد لا يكون شرحاً للتعبير و المعاني بقدر ما هو إضافةٌ مفيدةٌ عليها ، تُسهّم في إيضاح معناها. و قد أضفنا حواشي كثيرة تشرح التّعابير الصعبة الفهم و غير الواضحة للقارئ العاديّ ، مع إدراكنا التام أنّ شرح المعاني ، أحياناً ، يحصر المعنى و يُقيده بتفسير واحد ، بينما قد تكون العبارة المُفسّرة مفتوحةً على تفاسير و معاني أُخرى. لكنّ تحقيق فهم أكبر للنصّ قد يُبرّر ، في الغالب ، حصر المعاني المُحتملة بمعنى واحد. فالوضوح ، في معظم الأحيان ، هو أفضل بلا قياس من العموض ، خاصّةً متى تعدّر إيضاح جميع المعاني.

(4) تبقى المُعضلة الأخيرة ، (وهي عَقبَةُ كبيرةٌ تحوّل دون فهم المعنى) ، أعني مُعضلة الضمير المُنفصل و الضمير المُتصل ، اللذان لا يُشيران إلى الاسم الذي يسبقهما مباشرة. و قد عالجتنا هذه المُعضلة بأن تفحصنا تلك الضمائر في سياقها ، واستبدلنا بالضمير الاسم عينه أو أبقينا الضمير كما هو في النصّ وأوضحنا الاسم العائد له بين هالين. و هكذا ، بعد العمل على تخطي جميع العقبات الآنفه الذكر ، أمكننا أن نُقدّم للقارئ المعاصر مُختاراتٍ شيقّة من هذا الكتاب الثمين جداً بلغةٍ مُبسّطة و على قدر أكبر من الوضوح. ولا فضل لنا في إنجاز هذا العمل ، ولا ندعي إطلاقاً أننا نُقدّم عملاً يتفوق لغةً و أسلوباً على ما كتبه قديسنا العظيم. كلّ ما عملناه هو أننا أخذنا بعض ما كتبه هو بلغةٍ عصره ، لأجل جمهور قرائه ، و بلورناه و أعدنا صياغته بلغةٍ عصرنا ، و بحسب ما يُوافق جمهور قرائنا ، مع الفارق الهائل بين الاثنين. ولا ننسى أنّ أكثر من أربعة عشر قرناً و نصف القرن تفصلنا عن عصر ذلك القديس العظيم. ولا ندعي ، أيضاً ، أننا نُقدّم عملاً يفوق في نوعيته ما قام به المترجم ، المتوحّد الأب إسحق عطاالله ، الذي بذل جهداً

جَبَّاراً استغرق سنوات لأجل ترجمة هذا العمل. و قد تَرَجَمَ المعاني كما هي في الأصل، بأمانة قُصوى، من دون أن يَعْمَلَ على إيضاح المعاني و شرحها و تفسيرها، آخذاً بعين الاعتبار أن الإنجاز الذي سوف يُحَقِّقه (ترجمة " نسكيات " التي بين أيدينا) تَتَوَجَّهُ بخاصةٍ إلى الرَّهْبَانِ، الذين لن يصعبَ عليهم فَهْمُ معاني هذا العَمَلِ. أما نحن فلا فَضَلَ لنا، لأننا انتقينا بضعَ فقراتٍ من ذلك العَمَلِ الجَبَّارِ وأعدنا صياغَتَها وأوضحنا غوامضَها على النَّحو الذي بيَّنا.

و إنَّ الفقرات و المقاطع التي بين أيدينا تَتَوَجَّهُ إلينا جميعاً، إكليروساً ورهباناً وعلمانيين. مع تأكيدنا أن هذا الكتاب لم يوضعَ للمطالعة الروحية العادية، بل يجب أن يُقرأ بتمعُّن و انتباه، في الهدوء المُصَلِّي وخُشوع القلب، تَكَرَّراً، والتعمُّق في معانيه المُلهمة من الله، و محاولة اكتساب الفضائل التي يَحْتُنُّها هذا الكتاب على اقتنائها.

نَذْكُرُ هنا دَعْوَةَ الربِّ لتلاميذه إلى القفر: " تعالوا إلى مكانٍ قفرٍ تعتزلون فيه، و استريحوا قليلاً، لأنَّ القادمين والذاهبين كانوا كثيرين" 22. وعبارة " استريحوا " قليلاً" تعني أن القفرَ لا يُوفِّرُ للراهب سوى " القليل من الراحة"، التي ينالها بملئها في الأُخدار العلوية تكليلاً لجهاده، و أنه مهما طالَ مكوثُه في البرية، يبقى الزمنُ " قليلاً"؛ أما عبارة "لأنَّ القادمين و الذاهبين كانوا كثيرين" فتعني الأفكار الكثيرة، غير المرتبة، الداخلة إلى الذهن والخارجة منه، والتي لا علاج لها إلا بالاختلاء والصلاة في عزلة القفر.

هذه الدَّعوة التي دعا بها يسوع تلاميذه موجَّهَةٌ إلى جميعنا. فنحن أيضاً بحاجة دائمة إلى الاختلاء للصلاة في مكان قفرٍ نَعْتَزِلُ فيه. ولعلنا واجدون في مضمون الكتاب الذي بين أيدينا دليلاً حياً يقودنا من خلاله القديس إسحق في مسالك الحياة الروحية، لننتقدّم فيها شيئاً فشيئاً.

رجاؤنا أن يُسهِمَ هذا العَمَلِ الذي أنجزناه في إلقاء بعض الأنوار على الكتاب الأساسي، أعني كتاب " نسكيات " وإيضاح معانيه، فتُصبحُ قراءته أكثر سهولةً لمُحِبِّي الأدب النسكي، إكليروساً وعلمانيين. مع تأكيدنا أن عملنا هذا لا يُعْني عن مُطالعة كتاب " نسكيات"، لأنَّه يحوي مُجْمَلَ اللاهوت النسكي للقديس إسحق و قد أثبتنا في آخر كتابنا هذا فهرساً مُسهباً بأهم الموضوعات الواردة فيه، تسهيلاً لدراسة كلِّ موضوع منها على حدة، و التعمُّق فيه.

(22) مرقس 6 : 31.

وإِثْنَا نَبْتَهِلُ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَخْلَصِنَا، أَنْ نَجِدَ فِي هَذَا الْكِتَابِ رَجَاءً لِقُلُوبِنَا وَإِنْعَاشًا لِأَرْوَاحِنَا وَفَائِدَةً لِحَيَاتِنَا، نَحْنُ أَبْنَاءُ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ الَّذِي تَسْوَدُّهُ مَحَبَّةُ الْمَادَّةِ وَالْمُتَعَةِ وَالْمَظَاهِرِ وَاللَّامُبَالَاةِ الْقُصُوى. فليرحمنا الله نحنُ العائشين في الكَسَلِ والتَّوَانِي، وِ الْغَارِقِينَ فِي شَتَّى أَنْوَاعِ الْخَطَايَا، وَلِيُعْطِنَا تَوْبَةً صَادِقَةً بِشَفَاعَةِ الْوَالِدَةِ الْإِلَهَةِ وَقَدَيْسِهِ إِسْحَقَ السَّرْيَانِي الْعَظِيمِ وَجَمِيعِ قَدَيْسِيهِ. آمِينَ.

= المقالة الأولى =

1. في بدء الفضيلة: بدء الفضيلة مخافة الله. (قبل الشروع في العمل النسكي لاكتساب الفضيلة، يجب أن تكون مخافة الله في قلب الراهب.) وتتولد المخافة من الإيمان؛ وتزرع (مخافة الله) في القلب عندما ينقطع الذهن عن التششتت بالعالم، ويضبط أفكاره الشاردة ويثبتها في التأمل بالتجديد المستقبلي (للعالم) 23. ولكي يضع الإنسان أساساً للفضيلة، ليس له أفضل من الابتعاد عن هُموم الحياة 24 والبقاء في ناموس النور، أي في السبل المستقيمة المقدسة، 25 كما سماها المرئم وأشار إليها بالروح 26.

23 الإيمان يولد مخافة الله، التي تزرع في القلب بالانقطاع عن العالم، وضبط الأفكار والتأمل في الله؛ التجديد المستقبلي (للعالم): أي مجيء المسيح ثانية في المجد وتجديده للخليقة، بحسب وعده: "ها إني أجعل كل شيء جديداً" (رؤيا 21 : 5). فالتركيز على الخيرات الآتية والخلاص النهائي للعالم، يبعد الذهن عن التششتت بالأمور العالمية.

24 الابتعاد عن هُموم الحياة هو عمل إرادي يُقرره المجاهد ويتمرن عليه تدريجاً، بحسب وصية الرب: "مرتا، مرتا. أنت مهتمة ومضطربة في أمور كثيرة، أما الحاجة فهي إلى واحد"، هو الجلوس عند قدمي الرب والإصغاء إلى كلامه بشوق. هذا هو النصيب الأفضل الذي لا ينتزعه أحد من الراهب" (لوقا 10 : 41 - 42).

25 تكون مسيرة اكتساب الفضائل، التي يصفها القديس إسحق، كالتالي: الإيمان، مخافة الله، ضبط الذهن وعدم التششتت، التجرد عن حبّ المقتنيات، التأمل في الإلهيات، اكتساب الفضيلة. فكما يقول المرئم: "رأس الحكمة مخافة الله" (أمثال 9 : 10 ؛ 1 : 7)، كذلك يقول القديس إسحق إن رأس اكتساب الفضيلة مخافة الله.

26 السبل المستقيمة: أي الوصايا الإنجيلية: "كلمتكم مصباح لخطاي و نور لسبيلي" (مزمور 118 : 105).
أنظر أيضاً المزمور 18 : 8-12 والمزمور 111.

2. في بدء طريق الحياة: بدء طريق الحياة تأمل الذهن بصورة دائمة في أقوال الله 27، و العيش في الفقر. الارتشاف من الأقوال الإلهية يساهم في إكمال الفقر (وعدم تعلق القلب بالماديات)؛ و اللاقنية 28 تُتيح فرصة للتأمل في أقوال الله.

التأمل والفقر يُساعدان في (الابتعاد عن أمور العالم و تأثيراه و شهواته)، وفي ارتفاع بُنيان الفضائل بسرعة. فلا يمكن الاقتراب من الله من دون الابتعاد عن العالم. ولا أعني الابتعاد الجسدي، بل الابتعاد (القلبي) عن أمور العالم.

3. في العالم و تجارب الحواس و الخيال: تكمن الفضيحة في إفراغ الذهن من (تأثير الحواس، الذي من) العالم. ["أما من لا يزال متمسكاً بالعالم فيتأمر على نفسه"] 29 مادام فعل الحواس سارياً (في الذهن)، حتى في أقل الأمور العالمية، لا ينال القلب الهدوء، ولا ينعقد من (التشتت و شرود) الخيال (وفساده). لذلك لا تُقَمع لأهواء الجسدية ولا تُباد الأفكار السيئة من دون الصحراء. 30 [الاختلاء في القفر يقطع الذهن عن تشتت الحواس، فيقوى في النفس الإيمان والمحبة لله]. [لا شفاء لضعف الحواس سوى بمحبة الله] عندما تُصبح النفس سكرى بالإيمان بالله (و محبته)، بفعل قوة حسها (الروحي)، تشفى الضعف الذي في الحواس، و تطأ (تجارب) المادة المنظورة بما في داخلها (من شجاعة و قوة روحيّتين). (عندها) تُحسّ (تُميّز حُطورة) رأيها (فكرها الفاسد) النَّاجم عن حُرِيّة (تَفُلت) الإرادة [التي كانت واهنة بسبب تأثير تشتت الحواس] 31.

27 أي التأمل الدائم في الكتب المقدسة، و مطالعتها بالعقل والقلب والروح، بحسب قول الرب: "الكلام الذي كلمتكم به هو روح و حياة" (يوحنا 6 : 63). و المقصود هنا التأمل النسكي بالكتاب المقدس الذي قوامه اعتزال العالم و عدم الاختلاط غير الضروري بالناس، و عيش الفقر و الزهد بالمقتنيات، كي لا يتشتت بها الراهب.

28 اللاقنية: عدم تعلق القلب بالماديات و المقتنيات، واقتناء ما هو ضروري منها فقط، ومقاومة شهوة المال، و عدم الرغبة في تكديس الثروة.

29 القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 6 : 21

30 أنظر تحديد عبارة " الصحراء " في المقدمة، الفقرة 5.

31 متى تقدّست الإرادة بمطابقتها لإرادة الله ، يكون رأيها صائباً، أي لا تميل إلا نحو ما هو حسن. والعكس صحيح أنظر فيلبي 2 :
13

ثمر التأمل (في الإلهيات)، والفقر، سُكر النَّفس بالإيمان بالله و الابتعاد عن العالم. و من دون (السكر بالله) لا يتمّ (الابتعاد). و بثبات (الابتعاد) تتقيّد (حرية الإرادة) كما بلجام. [وعندما تُضبط حرية الإرادة تُضبط الحواس و يستقيم الفكر و ينال الرَّاهب الرأي السديد] 32.

4. في مفاعيل النعمة: عندما تُراود النعمة الإنسان (و تفعل فعلها فيه) ، يُصبح احتقارُ [المشقة] و الموت سهلاً عليه (فلا يكثرث لهما)، و ذلك (لمخافته الله) و توقه إلى البرّ 33. فيجد في مخافة الله أسباباً كثيرة تدعوه إلى احتمال الضيقات، و يحترق ما يؤذي الجسد و ما يُلم بالطبيعة (النفس و الجسد) من آلام مفاجئة (فيعتبرها كلا شيء) إذا قورنت بالمرجوات 34.

هذه التجارب (و ما يُرافقها من تعزية و موعظة إلهية) هي السبيل إلى معرفة الحقيقة، لأنها تؤكد جلياً عظمة عناية الله بنا، و أننا جميعاً تحت عنايته، و بخاصة الذين يبتغون وجهه و يحتملون الآلام من أجله (و حباً به). أما إذا تفاقم فقدان النعمة في الإنسان، فينعكس، بالنسبة إليه، كل ما سبق ذكره 35. عندها، المعرفة (الدينيّة المجردة من النعمة)، في أثناء التجارب و الضيقات، تتغلّب على الإيمان 36، و الاتكال على الله لا ينجح في كل شيء 37

32 يقول القديس إسحق إنّ سبب فساد الرأي والأفكار السيئة هو تشتت الذهن و شرود الخيال و تفلت الأهواء. وعلاج هذه جميعها سُكر النَّفس بالإيمان بالله بفعل قوة حسنها الروحي، وبالفقر والتأمل و الابتعاد عن العالم.

33 المشقات تُعين على تحصيل البرّ، الذي يتحقق بملئه للمُجاهد عندما ينتقل إلى جوار الله بعد الموت.

34 المرجوات: الخلاص الآتي و الخيرات الأبدية في السماء. أنظر رومة 8 : 18.

35 أي لا يعود يتوق إلى البرّ، ولا يلتمس المرجوات، و يخاف المشقة و الموت وكلّ ما يؤذي الجسد، و لا يدرك الحقيقة اليقينية من أننا تحت نظر الله ورعايته.

36 يضعف اتكال الإنسان على الإيمان و يزداد اتكاله على المعرفة الدينيّة والوسائل العالميّة لمساعدته.

37 لهذه العبارة معنيان: لا يعود الإنسان يتكل على الله في كل شيء، ولا يعود الله يُعين الإنسان في كل أمر.

ولا يعود الإنسان يُعطي عناية الله الأهميّة المطلوبة (الكافية)38، وبالتالي، يُصبح عرضةً لمكائد الشياطين الأشرار التي تُصوّب نبالها عليه (وترميه بها) في الخفاء.

5. في مخافة الله والحفاظ عليها: مخافة الله هي بدء الحياة الحقيقية. ولا يمكن استمرار هذه المخافة ما دامت النفس مُشتتة في أمرٍ من أمور العالم. فالقلب يفقد ملذّته بالله في أثناء عمَل الحواس 39، لأن المعاني السريّة مُرتبطة بوسائل حواسّها الخارجية التي تخدمها (كالنظر والسمع..). 40 [فالحواس إما تكون مُنضبطة و تُساعد على تحصيل المعاني السريّة، أو تكون مُشتتة، مُلتمسة اللذّة، فتضعف عندها ملذّة القلب بالله.]

6. في الشكوك و عدم يقين الإيمان: تردّد القلب (تذبذب الإيمان و ضعفه و عدم ثباته)41 يؤلّد الجُبْن في النَّفس (فيضعف جهادها و اتكالها على عناية الله و الثّقة بحسب تدبيره. و يزداد حبّ الراهب لجسده، و العناية به، و يخشى الخسارة الماديّة و أذيّة الجسد، و المرض و الموت). أما الإيمان (الثّابت) فيُقيوي عزم النَّفس حتى في أثناء تقطيع الأعضاء. فما دام حبُّ الجسد مُسيطرًا عليك [لضعف إيمانك] فلن تكون شجاعاً و خالياً من الفزع تُجاه ما يُداهم جسدك من مُضادات (أمر مُعاكسة). 42

38 أي لا يعود يكثر كثيرًا لعناية الله، و يضعف اتكاله عليها.

39 إنّ محبة الإنسان لله ترتبط بقدرته على ضبط حواسه. فإذا تشتت الحواس و فُسدت، ضعفت قدرة الإنسان على محبة الله و التلذذ بذكره.

40 للحواس تأثير مباشر على قدرة الراهب على تحصيل المعاني و الأسرار الإلهيّة. فإذا فُسدت الحواس بالتشتت و الخطيئة، تتعطل قدرته على تحصيل تلك المعاني.

41 تردّد القلب: أي تذبذب الإيمان و عدم ثباته. أنظر يعقوب 1 : 6 – 8

42 " الجبن سَجِيٌّ طفلٌ في نفسٍ عجوزٍ مُعجبةٍ بذاتها. إنه ارتدادٌ عن الإيمان يجعلنا نخشى وقوع شُرورٍ غير مُتوقعة أصلاً. إنه الاغتمام مُقدماً لخطر وهميٍّ، وارتعادٌ قلبٍ قَلِقٍ لمصائبٍ مُبهمةٍ غير مُحددة. و سببُ الجبن الكبرياء. فالنفس المتكبرة عبدة الجبن، و من لا يهاب ربّه يخاف من ظلّه". (القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 21 : 2 و 4 و 11، 5 : 7).

7. في العفة: العفيف ليس من يظن أن الأفكار القبيحة كفت عنه في أثناء المعركة و الجهاد فقط، بل هو الذي جعل مشاهدة ذهنه عفيفةً بيقين قلبه **43**، لكي لا ينجذب بصورة قبيحة نحو أفكار سَمحة. و متى شهدت له جودة ضميره شهادةً أمينة، من خلال (حفظ النظر و التَّحرُّز في) رؤية العيَّين، يُصبح الحياء مثل ستار مُسدل فوق سريرة أفكاره، كالعدراء التي تصون طهارتها بالإيمان بالمسيح. [و تستعيد النفسُ حياءها بعد أن تتحرَّر من تسلُّط وقاحة المشاهدات غير العفيفة].

8. الذكريات و الكتاب المقدس: لا شيء يردع و يطرد الذكريات القبيحة المتحرّكة و التآثر على الجسد، فتلهبه و تُسبب له الاضطراب ، **44** مثل الغوص بشوق في الكتاب المقدس و كشف معانيه العميقة.

عندما تغوص الأفكار مُفتتتةً بلذةٍ عن الحكمة المُدخرة في أقواله، و التي تَبُرُّ بقوة الإعلان الكامن فيها **45**، ينسى الإنسان العالم وما فيه، و يمحو الذكريات التي تحمل له، صوراً حيّةً عن العالم. و كثيراً ما يتحرَّر من أفكار (عالمية) تُراود طبيعته بمقتضى الصرورة والعادة. أما النفس فتكون في حالة ذُهول تُسببها لقاءات (معاني) جديدة (تكتشف من) تبع الأسرار (الكامنة في) بحر الكتاب المقدس.

9. في الرأفة: لكي تحصل على لذة الحس (الروحي) **46** غير المُستعبدة للحواس الجسدية،

43 الإيمان القلبِي الثَّابت و العميق يَنْصُرُ المجاهد على هجمات الأهواء و الحواس والأفكار القبيحة، و يبطل المشاهدات الذهنية غير العفيفة و يُولد في الذهن مشاهدات عفيفة و طاهرة.

44 الأفكار والذكريات غير العفيفة التي تُراود الذهن تُلهب الجسد بالشهوة و تُثير الغرائز. لذلك، تتوقَّف عفة الجسد، إلى حدِّ كبير، على حفظ الحواس و قطع الأفكار والذكريات غير العفيفة، و من أفعال السبُل لذلك " الغوص بشوق في معاني الكتاب المقدس." بهذا يجعل القديس إسحق المثابرة على الغوص في معاني الكتاب المقدس في رأس الوسائل لاقتناء طهارة الذهن و اكتساب فضيلة العفة.

45 تكمن في معاني الكلام الله قوّة. تلك القوّة تُعلن للراهب المتأمل فيها الإعلانات والأسرار الإلهيّة، و هذه بدورها تُحارب الأفكار و الذكريات القبيحة.

46 لذّة الحسّ الروحي: يكتنيتها الراهب من خلال التأمل في الإلهيات، حيث يكشف الله له الأسرار الإلهيّة. لذّة الحسّ الروحيّ، هذه، غير مُستعبدة للحواس أي مُتحررة منها ولا تخضع لتأثيراتها.

إتبع الرأفة **47**. فإذا صارت في داخلك، ترتسم فيك صورة الجمال المقدّس الذي وُسِّمَ به. إنّ شموليّة الرأفة (أي المحبّة **48**) تجعل النفس شريكة الألوهة و مُتحدّة بها.

لا يوجد طريق يقود إلى المحبّة الروحيّة (المحبّة النقيّة نحو الله و القريب) التي ترسّم (في النفس) صورة الله غير المنظورة سوى عمل الرأفة، الذي نوّه به ربنا عن كمال أبيه. فقد أوصى مُطيعيه أن يجعلوها أساساً للكمال.

10 كلام الخبرة، و الكلام المنمّق: الكلام النَّابع من الخبرة

(الروحيّة) هو غير الكلام المنمق. من دون الخبرة الروحيّة **49** لا تستطيع الحكمة أن تعرف الحقيقة (الحقائق الإلهيّة) ولا أن تتكلّم عنها.

لا يُمكن لأحد أن يُظهر أسرار الفضيلة و هو يجهل خبرة عملها **50**. الكلام النَّابع من الخبرة (الروحيّة الشخصية هو) خزانة الرّجاء [يملأ صاحبه بالرّجاء، فيُعطي الرّجاء للآخرين] أما الحكمة العارِيّة من العمل **51** فهي وديعة الخزي **52** وكما أنّ الماء الذي يرسم به الفنّان لا يطفئ ظمأه، و أحلام النَّائم لا ترويه مهما كانت جميلة، هكذا مصير الكلام العاري (الذي لا ينجم عن) عمل (الجهاد).

من يتكلّم على الفضيلة من خلال خبرته يُعطي السّامع، كمن يُعطي أموالاً من تعبته الخاص. و من يزرع ما يملكه من تعليم في آذان السّامعين

47 الرأفة: الشعور بالرحمة تجاه جميع الناس وجميع المخلوقات، المقرون بالعمل الصالح، أنظر: " في من هو رحيم القلب"، المقالة **81**، الفقرة **2**.

48 متى **5** : **48** ؛ لوقا **6** : **36**

49 الخبرة الروحيّة: اختبار الراهب لحضور الله في حياته، و مُكاشفاته، و استجابته لصلاته، و الآيات التي يصنعها فيه و من خلاله.

50 أي لم يَحْتَبِر طريقة عملها.

51 الحكمة الخالية من العمل: أي الحكمة الخالية من العمل النسكي، وهي أقرب إلى المعرفة العقلية وحكمة العالم. ولذلك يقول إن هذه الحكمة هي "وديعة الخزي"، أي مُستودع العار، لأنها تخزي صاحبها فلا يجني منها ثماراً روحية. أنظر تعريف العمل في المقدمة، الفقرة 5.

52 لا تُفيد صاحبها ولا سامعيه روحياً، بل هي هزيمة له.

ويفتح فاهُ بجرأةٍ 53 ويكلم أولاده الرّوحيين، يكون كيعقوب الذي قال ليوسف " أعطيتك سهماً علاوةً على إخوتك، و قد أخذته من (أعدائي) الأموريين بسيفي و قوسي " 54 . (يعقوب أعطى من تعب جهاده لابنه يوسف).

11. الخيرات و السيئات: اعتبر الخيرات والسيئات الحاصلة

للجسد أحلاماً، فتتحرر منها، ليس فقط عند ساعة الموت، بل وغالباً قبل مجيئه 55، و إذا كانت (الخيرات و السيئات) متصلة بنفسك (لا بجسدك)، فاعتبر أنها (ستلازمك) في هذه الحياة، و (قد) تُرافقتك في الدهر الآتي. فإذا كانت حسنةً، افرح و اشكر الله أما إذا كانت سيئة فاحزن و تنهد (متحسراً) عليها، و اسع (بالصلاة الحارة) إلى التحرر منها ما دمت في الجسد.

12. أكتم كل صلاح: أكتم كل صلاح يتحرك فيك عقلياً 56،

ولا تُعلم به أحداً، لأن المعمودية والإيمان أصبحا وسيطين لك عند الله، و هما اللذان دعاك بهما ربنا يسوع المسيح إلى الأعمال الصالحة 57.

53 المُجاهد لا ينال من الربّ خبرةً الفضيلة وحسب، بل وينال جرأةً التكلّم فيها، فيصحّ فيه قول الربّ: " من يعمل و يُعلم

يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات " (متى 5 : 19) والعمل هنا يعني أيضاً العمل النسكي.

54 تكوين 48 : 22.

55 سبق للكاتب أن قال إنّ عدم الخوف من الألم و المشقة والموت هو من مفاعيل النعمة الإلهية. المقالة الأولى ، الفقرة 4.

56 الصلاح هنا هو أفكار الفضيلة و التَّقوى التي تُراود الراهب، و الرغبة في العمل الصالح. على الراهب أن يَكْتُم هذه لأنها ليست منه، بل من الله، ولكي لا يَتَبَجَّح أمام الناس و يُصاب بالغرور بسببها فيخسر تبعه.

57 الأعمال الصالحة ليست من الراهب، بل الله هو الذي يحفزها لعملها، بسبب نعمة الإيمان و المعمودية.

= المقالة الثانية =

1. في الضحك و المزاح والتشتت: لا شيء يجعلنا ننفصل عن كُنُوزِ حكمة الله و معرفة أسرارهِ أكثر من الضحك و التشتت (المقرونان بمُسايرة أهل العالم). لذلك، تحفظ من تأثيرات العدو (إبليس) الذي يُغريك بالهزل، لئلا يُفقدك المزاح حرارة محبة المسيح، الذي ذاق المر على الصليب من أجلك، فلا تأخذ عذابه بخفة 58.

2. المزاح عدو التأمل: اقتن حلاوة التأمل و الدالة (التي تجعلنا، و تجعل صلاتنا، أكثر قبولاً) لدى الله. أما المزاح (فيصرف الراهب عن التأمل و يشغل الذهن بأفكار واهية) ويملاً النفس بخيالات كثيرة (باطلة) و يجعلها أسيرة أحلام النوم و اليقظة (التي تبعدك عن الواقع و تجعلك تستسلم لهجمات الأهواء). هذه الأحلام كريهة الرائحة ولا تحتملها ملائكة الله، و بالتالي تُصبح أنت عثرة للآخرين و شوكة لذاتك (تؤذي نفسك).

= المقالة الثالثة =

1. قديم أحزانك ذبيحة حب: لقد خرجت إلى البرية المملأ بالشدائد من أجل عمل البر، و صرت مُطيعاً لمشيئة الله. و باطلُ تعبك إن لم تُقدم (ضيقاتك) و أحزانك ذبيحة حب لله، هذا الأمر يميّزه جميع الذين يُحبون الله. فالذين ارتضوا أن يعيشوا مع المسيح بمخافة الله، و يُحبوه، يحتملون الضيقات و يصبرون على الاضطهادات [لأنه ينبغي لنا بمضايق كثيرة أن ندخل ملكوت السموات. 59"] أما هو (الرب يسوع) فيكشف لهم أسرارهِ و يجعلهم أسياداً على كنوزه الخفية 60.

57 الأعمال الصالحة ليست من الراهب، بل الله هو الذي يحفزها لعملها، بسبب نعمة الإيمان و المعمودية.

58 يستغل الشّرير اختلاط الراهب بأهل العالم ليغريه بالضحك و الهزل و المزاح، فيبعده عن حرارة محبة المسيح و يُلهيهِ عن اقتناء كُنُوزِ حكمة الله و معرفة أسرارهِ.

59 أعمال 14 : 22

60 أي مكاشفاته و أسراره المتعلّقة بالمعاني الخفيّة الكامنة في الكتب المقدّسة وبخاصة المتعلقة بطبيعة الله و نوره وإيضاح إرادته؛ " فكلّ كاتب تتلمذُ للكتّاب السماوات يُشبهُ ربَّ بيتٍ يُخرِجُ من كنزهِ كلَّ جديدٍ و قديمٍ " (متى 13 : 52).

2. في حفظ اللسان: [مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِجَامِ جَسَدِهِ كُلِّهِ. 61] حِفْظُ اللِّسَانِ لَا يَرْفَعُ الدَّهْنَ نَحْوَ اللَّهِ وَحَسَبَ، 62 بَلْ إِنَّهُ يُعْطِي قُوَّةً عَظِيمَةً لِإِتْمَامِ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ 63 الَّتِي تُصَيِّرُ بِوِاسِطَةِ الجَسَدِ، وَيُنِيرُ الدَّهْنَ فِي أَعْمَالِهِ (تأملاته وعباداته) الخفيّة. لِأَنَّ حِفْظَ الفَمِ بِمَعْرِفَةِ 64 يَرْفَعُ الضَّمِيرَ نَحْوَ اللَّهِ 65

61 يعقوب 3 : 2

62 بدلاً من التكلّم على عيوب الآخرين، يرفع المجاهد ذهنه نحو الله، مُتَخَطِّياً هفوات الآخرين، وحتى إساءاتهم إليه.

63 الأعمال الظاهرة: أعمال الخير (الخارجيّة) ، بخلاف الأعمال الخفيّة، التي قوامها الجهاد الروحيّ و اكتساب الفضائل.

64 أي بتمييز، فلا يتكلّم الراهب إلّا عند الحاجة، عملاً بقول الكتّاب: " لا تخرُجَنَّ من أفواهكم كلمة خبيثة، بل كلّ كلمة طيِّبة تُفيد البُنَيان عند الحاجة و تهب نعمةً للسامعين " (أفسس 4 : 29).

65 حفظ اللسان، أو تعفّف اللسان يُوقظ نفسَ الراهب فلا يتشَتَّت بالأُمور الخارجيّة، بل يرفع جميع أمورهِ واهتماماته نحو الله. أنظر أيضاً المقالة 43، الفقرات 1 و 4 و 8؛ و المقالة 73، الفقرة 17.

= المقالة الرابعة =

1. في أن التجارب صليبٌ يوميّ: لا تفرح في السّعة (عندما تهدأ الحرب عليك)، ولا تحزن في الشدّة (عند هجمات التجارب)، بل اعتبر (الفرح والحزن) غريبين عن سُبُل الله، لأنّ طريقَ الله يطأها الصّليب والموت منذ الدُّهور. (مَن حملَ صليبَ الربِّ وماتَ عن العالم لا يكثرث لأفراح العالم و أحزانه، لأنّه حملَ الصليب وتبعَ الربَّ يسوع في كلّ لحظة من حياته، واحتملَ جميعَ التجارب و الضيقات بصبر وثبات، حتى الموت، فهذا هو سبيل جميع القديسين الذين تبعوا يسوع.)

إذا اعتقدت أنك تستطيعُ سلوكَ طريقِ الربِّ (براحة) ومن دون تجارب ومن دون ألم، فاعلم أنك ترسمُ طريقاً خاصاً بك ، وتسيرُ خارجَ طريقِ الصّليب، و بعيداً عنها، وعلى غير خُطى القديسين. [فجاهلٌ ومخدوعُ الراهب المبتدئ الذي يعتقد أنّ حياته الرهبانية سوف تكون سهلاً وخاليةً من التجارب، و سوف تؤمّن له الراحة، أو إذا عزمَ في قلبه أن يعيش في الحياة الرهبانية عيشة الراحة والرفاهية.]

طريقُ الربِّ صليبٌ يوميّ (بحسب قول الربِّ: " من لا يحمل صليبه كلَّ يوم و يتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً 66"). لم يصعد أحدٌ إلى السماء براحة. إننا نعلم إلى أين ينتهي طريق الراحة! 67. أما من يُكرّس نفسه لله من كلّ قلبه، فلن يتركه الله من دون اهتمام (مشقّة)، بل يجعله يهتمّ من أجل (أن يدرك) الحقيقة (ويسعى إليها). عندئذٍ يدرك أنّ الأحزان المرسلّة إليه ليست سوى دليل عناية الله به.

67 قال الكتاب: " رُبَّ طريق يَسْتَقِيمُ في عيني الإنسان وأواخره طُرُقٌ إلى الموت " (أمثال 14 : 12). وقال رُبنا: " أدخلوا من الباب الضيق. فَإِنَّ البابَ رَحْبٌ والطريق المؤدي إلى الهلاك واسع، و الذين يسلكونه كثيرون. ما أضيقت الباب وأخرج الطريق المؤدي إلى الحياة، والذين يَهْتَدُونَ إليه قليلون " (متى 7 : 13-14).

= المقالة الخامسة =

1. في الملاذ الآمن: أدخل إلى ذاتِكَ (بالصلاة والتأمل وفحص الذات وممارسة الفضائل) فتنجو من الهلاك 68.
2. في أن ذكر الضعف ضمانته: إذا تَذَكَّرْتَ ضَعْفَكَ بصورة دائمة، تَظَلَّ مُحَافِظاً على ذاتِكَ ضمن السور بأمان (بمنجاةٍ من التجارب). 69
3. في التشوش والنسيان والحكمة: الذهن المشوش (بالأهواء و كثرة الاهتمامات العالمية) لا ينجو من نسيان (ما تعلمه و اكتسبه من الروحيات). والحكمة لا تفتحُ بابها لمثل هذا. 70 [الحكمة العلوية الطاهرة 71 لا تُعطي إلا للذهن الطاهر النقي]
4. في مفاعيل الأهواء: مَنْ لا يبتعد بإرادته عن أسباب الأهواء (الرغبات غير المرتبة وغير اللائقة في النفس)، تَجذُّبُهُ الخَطِيئَةُ رُغْمًا عنه. 72.
5. في العمل الصالح والتجارب المرافقة له: إذا أردتَ أن تبدأ بعملٍ صالحٍ 73 فهَيِّئِ نَفْسَكَ أولاً للتجارب التي ستعترضُكَ،

68 أدخل إلى ذاتِكَ: بحسب قول الرب: " إِنْ مَلَكَوتَ اللهُ في داخلكم " (لوقا 17 : 21). الدخول إلى الذات يعني أن يضع الراهب نفسه في حضرة الله، بالصلاة والتأمل، فهناك ملاذه من التجارب ومن الهلاك، وسبيل اكتسابه الفضيلة.

69 مثلاً، مَنْ ضَعْفُهُ الغضب، فليَذْكُرْ ضَعْفَهُ عندما يختلط بالناس، فلا تقوى عليه التجارب. وعبارة " أذكر " تعني أيضاً أن يتناول المرء ضعفاته بالصلاة، التي هي سور له.

70 ليس حكيماً الراهب الذي يشنت ذهنه باهتمامات عالمية ويستسلم لأهواء شتى. والحكمة لا تفتح بابها لراهب كهذا.

71 يعقوب 3 : 17

72 مَنْ لَا يَبْتَعِدُ عَنْ أَسْبَابِ الْأَهْوَاءِ يُبْقِي بَابَ ذَهْنِهِ مُشْرَعًا لِلتَّجَارِبِ وَهَجَمَاتِ الشَّرِيرِ، فَتَجْذِبُهُ الْخَطِيئَةُ رُغْمًا عَنْهُ. فَلَا يَسْتَطِيعُ الرَّاهِبُ أَنْ يَتَجَنَّبَ خَطِيئَةَ النَّمِيمَةِ وَالذَّيْنُونَةِ وَالتَّشْتُّتِ إِذَا اسْتَرَسَلَ فِي أَحَادِيثِ عَالَمِيَّةٍ، وَلَا أَنْ يَحْفَظَ عَفْتَهُ إِذَا اسْتَرَسَلَ فِي ذِكْرِيَاتِ اللَّهِ.

73 الْعَمَلُ الصَّالِحُ (الْمُوَافِقُ لِلرَّاهِبِ) يَعْنِي الْجِهَادَ الرُّوحِيَّ وَ اكْتِسَابَ الْفَضِيلَةِ (لهذا يقول : " إذا باشرتَ سيرةً صالحةً بإيمان حارٍ")؛ والعمل الصالح أيضاً هو خدمة الربِّ في التَّبَشِيرِ وَالتَّعْلِيمِ وَالعِظْمِ وَالإِرشَادِ وَأَعْمَالِ الرَّحْمَةِ وَخِدْمَةِ الْمَرْضَى وَإِيوَاءِ الْمَسَاكِينِ، وَ أَيْ عَمَلٍ خِدْمَةٍ يَقُومُ بِهِ الرَّاهِبُ، وَيُؤَافِقُ حَالَتَهُ.

74 ، وَلَا تَتَرَدَّدُ الْبَتَّةَ. لِأَنَّكَ إِذَا بَاشَرْتَ سِيرَةً صَالِحَةً بِإِيمَانٍ حَارٍّ، سَوْفَ يَعْتَرِضُكَ الْعَدُوُّ بِتَّجَارِبٍ مُنْتَوَعَةٍ وَ مُرْهِبَةٍ لِئُرْعِبَكَ وَ يُبَرِّدَ عَزْمَكَ الصَّالِحَ حَتَّى تَفْقِدَ حَرَارَتَكَ، فَلَا تَتَمَكَّنُ مِنْ تَحْقِيقِ مَا يُرْضِي اللَّهَ. فَاسْتَعِدَّ بِشَجَاعَةٍ لِمُجَابَهَةِ التَّجَارِبِ الْمُعَاكِسَةِ لِلْفَضَائِلِ 75، وَبَعْدَ ذَلِكَ ابْتَدِئِ بِالْجِهَادِ لِاِكْتِسَابِهَا، لِأَنَّكَ إِذَا لَمْ تَتَأَهَّبْ لِهَذِهِ الْمُجَابَهَةِ فَسَوْفَ تَبْتَعِدُ عَنْ عَمَلِ الْفَضَائِلِ.

6. فِي الْخَطَايَا الصَّغِيرَةِ: مَنْ يَحْسِبُ خَطَايَاهُ صَغِيرَةً يَقَعُ فِي أَسْوَأِ مِنْهَا، وَيَدْفَعُ جَزَاءَهَا سَبْعَةَ أَضْعَافٍ [لِأَنَّ مَنْ يَسْتَهِنُ بِالصَّغَائِرِ يَقَعُ فِي الْكِبَائِرِ] 76. اقْتَلِعِ الْهَفْوَةَ فِي أَوَانِ الزَّهْرِ، قَبْلَ أَنْ تَنْمُوَ وَ تَنْضَجَ. لَا تَسْتَهِنِ بِالْخَطِيئَةِ وَ إِنْ بَدَتْ لَكَ صَغِيرَةً، لِأَنَّهَا سَتُظْهِرُ لَكَ فِيمَا بَعْدَ سَيِّدَةٍ عَدِيمَةِ الرَّحْمَةِ، تَقْوِدُكَ أَمَامَهَا مِثْلَ عَبْدٍ أُسِيرَ. إِذَا قَاوَمْنَا الْهَوَى مُنْذُ نَشَأَتِهِ نَقْوَى عَلَيْهِ بُسْرَعَةً.

74 يَهَيِّئُ الرَّاهِبُ نَفْسَهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْيَقِظَةِ وَالصَّلَاةِ ، لِأَنَّ الْعَمَلَ قَدْ يُخْرِجُهُ عَنْ هُدُوئِهِ وَ يَسَبِّبُ لَهُ التَّشْتُّتَ وَالْعَثْرَاتِ. لِذَلِكَ يُصَلِّي الرَّاهِبُ قَبْلَ الشُّرُوعِ بِذَلِكَ الْعَمَلِ، لِكَيْ يَبْقَى فِي هُدُوئِهِ وَيَقِظَتَهُ وَ سَكِينَتَهُ؛ وَ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، يَعْمَلُ الشَّرِيرُ جَاهِدًا لِيَمْنَعَ الرَّاهِبَ مِنْ اِكْتِسَابِ الْفَضِيلَةِ وَخِدْمَةِ الرَّبِّ وَ الْقِيَامِ بِعَمَلِ صَالِحٍ، وَيَسْعَى لِتَشْتِيئِهِ وَ إِفْشَالِ عَمَلِهِ وَ التَّسَبُّبِ لَهُ بِالْإِحْبَاطِ. وَ يَكُونُ اِلْتِمَادُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالصَّلَاةِ الْحَارَّةِ وَتَقْدِيسِ الذَّاتِ وَالتَّمَاسِ الْمَعُونَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَ الصَّبْرِ وَالِاتِّكَالِ عَلَى اللَّهِ، فَيَكُونُ الرَّاهِبُ بِمَنْجَاةٍ مِنْ هَجَمَاتِ الشَّرِيرِ الْخَبِيثَةِ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِ، كَمَا قَالَ الْكُتَابُ: " إِذَا أَقْبَلْتَ لَخِدْمَةِ الرَّبِّ الْإِلَهَ فَانْتَبِثْ عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَاعْدِدْ نَفْسَكَ لِلتَّجْرِبَةِ" (سيراخ 1 : 2). وَ يَقُولُ بُولَسُ الرَّسُولُ: " كُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْيَا فِي الْمَسِيحِ حَيَاةَ التَّقْوَى أَصَابَهُ الْاضْطِهَادُ" (2 تيموطاوس 3 : 12). بِهِذَا يُؤَكِّدُ الْقَدِيسُ إِسْحَقُ أَنَّنَا لَا نُنْجِزُ أَيْ عَمَلًا صَالِحًا بِقُوَّتِنَا الْذَاتِيَّةِ.

75 لكل فضيلة تجربة مُعاكسة لها، تأتي من الجسد أو العالم أو من الشرير . هكذا يُهاجم الراهب ليخسر فضائله. مثلاً، فضيلة التواضع تُحارب بالكبرياء وحبّ الظهور.

أما الذي يخاف الخطايا و لو بدت صغيرة في عينيه (فلا يستهين لا بفكرة ولا بعمل لا يلائم الراهب، ولو بدا بسيطاً)، فيقطع المسيرة المخيفة (في وسط التجارب وهجمات الأهواء) من دون عثرة. فإذا أدركه الظلام و جدّ النور مُشرقاً في داخله. الربّ يحفظ خطوات من يخشى الخطايا، وعند انزلاقه تُدركه رحمة الله.

7. في الايمان: الذي يشك في أنّ الله يُعينه في العمل الصّالح يخاف من ظله، وفي زمن الطمأنينة يبقى قلقاً. و في البُحبوحة يبقى جائعاً، و يمتلئ تشويشاً حتى في بيته الهادئ. أما المتوكّل على الله فيتنشّد قلبه و تظهر كرامته، و يمتدحه أعداؤه.

8. في استعادة الصّلاح: إنك لا تستعيد الصّلاح إلا بابتعادك عما أفقدك إياه 77.

9. في أنّ الدنيا غادرة: سلّم كل شيءٍ إلى سابق معرفة الله، ولا تثق بعدم تبدل الأشياء (أحوالك) في هذه الدنيا 78. [أحوالك ستتغير حتماً، فكن على استعداد دائم]

10. في احتمال الظلم و التهمة: من يحتمل الظلم بفرح، مع أنه قادر على صدّه، ينال تعزية من الله، لإيمانه به. ومن يصبر على التهمة الباطلة يصل إلى الكمال (كمال الفضيلة) 79 و تتعجب منه الملائكة، لأنه لا توجد فضيلة أعظم من احتمال الظلم بفرح ، ولا يوجد أصعب من (هذه الفضيلة) منالاً.

76. أن يحسب المرء خطيئته صغيرة يعني أن يكون جاهلاً بأبسط مبادئ الحياة الروحية. فهو يتهاون بشأن خطيئته و يتقاعس عن محاربتها وعن قطع أسبابها والتوبة عنها، وبهذا يبغي باب الخطيئة مُسرّعاً لتدخل منه خطايا أخرى، تتعاضم و تتسلط و يصعب الإقلاع عنها. والخديعة هنا أنّ الخطيئة ليس لها حجم ولا يمكن اعتبارها صغيرة أو كبيرة. الخطيئة لا تُقاس بحجمها بل بتأثيرها؛ و مهما كانت، فهي دائماً مؤذية للنفس، و تُحسب تراجعاً في حياة الراهب. لهذا يقول القديس إسحق إنّ الذي يستهين بخطيئته "يدفع جزاءها سبعة أضعاف". لذلك وجبت مُحاربة الخطيئة في بداية ظهورها ، وهذا هو معنى اليقظة، أن يخاف الراهب من ارتكاب أي هفوة، " فلا يترك لإبليس سبيلاً (أفسس 4 : 27)

77 مثلاً: إذا خسر الراهب فضيلة محبة الفقر بسبب تحوله إلى حبّ المقتنيات، فلن يستعيد فضيلة محبة الفقر إلا بتراجعه عن حبّ القنية.

78 ليس من الحكمة الاعتقاد أن الطمأنينة و الهناءة و رغد العيش و الصحة.. ستبقى على حالها. كثيرون يتصرفون وكأن استقرار حياتهم لن يتغير، فيعيشون في طمأنينة كاذبة، و عند تغير أحوالهم يُصابون بالإحباط، وقد يتزعزع إيمانهم. و مثال ذلك الغنيّ الجاهل الذي قال له الله: " يا جاهل، اللية تؤخذ منك نفسك" (لوقا 12 : 20). و نذكر قول الرب لبطرس:

11. في أن الله يعتني بك: إذا آمنت أن الله يعتني بك، فلا تشغل نفسك بالزمنيات وحاجات الجسد. و إذا كنت لا تؤمن بذلك، و تنصرف إلى حاجاتك، مُستغنياً عن الله، فأنت أشقى الناس. 80 " ضَع على الرب همك وهو يعولك" 81.

كرس نفسك لله { وثق بأنه يعتني بك في جميع حاجاتك }، تعيش مُرتاح الفكر. فالنفس لا تتحرر من تشوش الأفكار بغير اللاقنية (عدم التعلق بالمقتنيات)؛ و بغير سكينه الحواس (و عدم جنوحها نحو الماديات) لا تُحسّ بسلام الذهن 82. رجل الله هو من مات عن حاجاته الضرورية لرأفاته الكثيرة 83 (و يتعطف بإعطائها لذوي الحاجة). من يرحم فقيراً تتلقفه عناية الله، و من يفتقر (مادياً) من أجل الله يجد كنوزاً (روحياً) لا تُنفد.

12. في درجات الحكمة: حكمة الروح تُقتنى بالتجارب (أتعب الجهاد)، و بالمطالعة يكد تُعرف حكمة المعاني (الكامنة في الأسفار المقدسة). اقتناء الأسرار الخفية يتم بصفاء الأفكار (أي بطهارتها) 84. يقدر القلب أن يرجو الله باقتناء خبرة العناية الإلهية الفعالة؛ 85 أما (خبرة) الشركة مع المسيح فلا تحصل إلا بتدوq النفس آلامه بمعرفة (بفطنة واعتدال). 86

متى شخت يُمنطقك آخر و يسير بك إلى حيث لا تشاء" (يوحنا 21 : 18). فالموقف الحكيم في هذا المجال أن نعتبر أن لا شيء يبقى على حاله في هذه الحياة؛ ولا يجب أن يدعونا هذا الأمر إلى القلق، أو أن يززع إيماننا. بل علينا أن نُسلم كل شيء " إلى سابق معرفة الله، " أي إلى مشيئته و حكمته و حسن تدبيره، مُعتبرين أن الله يعلم سلفاً بما سوف يُصيبنا، و أنه، بالرغم من تغير أحوالنا، عاجلاً أم آجلاً، سوف يكون معنا و يُعيننا و يرعانا، لأنه هو أبونا و مُسير حياتنا.

79 ليس المقصود هنا بلوغ الكمال الرهباني، بل بلوغ فضيلة من أسمى الفضائل.

80 هنا موقف غير حكيم: أن يطلب الإنسان اقتناء ما يفوق حاجته، فيكون أشقى الناس، و أن يستغني عن الله و الاتكال عليه لأجل معيشتة، و أن يسعى، بلا طائل، إلى اقتناء الضروريات التي يُوفرها الله له إن هو توكل عليه.

81 أمثال 3 : 25.

82 سكينه الحواس: عدم تشننتها و تلهيها بالملذات و الماديات. تشننت الحواس يُفقد الذهن صفاءه و سلامه.

83 اللاقنية لا تعني فقط عدم التعلق بالماديات، بل يُقابل تلك الفضيلة فضيلة أخرى هي الاهتمام بإعالة المحتاجين. رَجُلُ الله، لشدة رحمته، يهتم بإعالة المساكين أكثر مما يهتم بحاجاته الضرورية. وهذا الأمر هو علامة تجرد كبير.

13. في تأديبات الله الخلاصية: يجعلنا الله قابلين (عُرْضَةً) للضيق والخوف حتى لا نَقَع في الراحة الكاملة، 88 فننسى إلهنا ونحيد عنه ونَقَع في عبادة كثرة الآلهة، 89 كما سَقَطَ كثيرون، حتى تجاسروا على الله نفسه. 90 فهو يَسْمَح (أن تُصِيبَنَا) الضيقات، كي لا نُغْضِبُهُ بابتعادنا عنه (بل نَجِدَّ في الاقتراب منه). وهو يُنمِّي ذِكْرَهُ في قَلْبِنَا بِالآلامِ والمُحْزَنَاتِ، و يجعلنا نَحْشَى الأمور المعاكسة، (أي) الأهواء والتجارب والتراخي، حتى نستيقظ ونقرع باب تحنُّنه. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنْ تَعْرِفَ عناية الله واهتمامه لو لم تُصادفك أمورٌ مُضادَّة؟ 91

بطهارة الذهن؛ مع التأكيد على أن الطهارة شرطٌ لاقتناء كلِّ حكمة. وسبق القول إن صفاء الأفكار يتحقق بضبط الذهن والحواس عن التشتت بأمور العالم ومُغرياتِه

84. يتكلم القديس إسحق على حكمة الروح، وهي الحكمة المفيدة للحياة الروحية ومواجهة التجارب؛ وحكمة المعاني، وهي الحكمة الكامنة في الكتاب المقدس والمفيدة لفهمه وإدراك أسرارِه؛ والحكمة الأسمى، وهي اقتناء أسرار الله، التي تُقْتَنَى في ذكر الله: أذكر الله في كلِّ حين حتى يَذْكُرَكَ عندما تَسْقُطُ في الخطيئة 87.

85 يقنتني الراهب " خيرة العناية الإلهية الفعالة " عندما يلمس لمس اليد حضور الله الدائم في حياته وعناية الله الدائمة به، فيعطيه ذلك رجاءً (ثقةً) بعناية الله به في الحاضر والمستقبل. بهذا يصف القديس إسحق إحدى الوسائل الفعالة لاقتناء الرجاء.

86 خيرة الشركة مع المسيح تحصل بتدوُّق النفس آلامه بمعرفة، أي بالتفكير القلبي بآلامه، و تقبل مشقات الجهاد بفتنة واعتدال. بهذا يجعل القديس إسحق " خيرة العناية الإلهية الفعالة"، " وخيرة الشركة مع المسيح بتدوُّق آلامه"، نوعان من الخبرة الروحية النسكية، أي الحكمة، أو المؤدية إليها.

87 مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ دَائِمًا ، عندما تُدَاهِمُ ذَهَنَهُ التَّجَارِبُ ، يَدْحَرُهَا بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ ؛ وَ أَيْضًا : مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ دَائِمًا ، يُنْجِدُهُ اللَّهُ فِي أَوَانِ التَّجْرِبَةِ .

88 إِنَّ تَعَرُّضَ الْمَجَاهِدِ لِلضَّيِّقَاتِ يَجْعَلُهُ يَزِيدَ مِنْ جِهَادِهِ وَ اتِّكَالِهِ عَلَى اللَّهِ ، فَلَا يَتْرَاحِي ؛ وَبِهَذَا أَيْضًا يَكْتَسِبُ مِنَ اللَّهِ أَنْعَامًا وَفَضَائِلَ ، فَيَشْكُرُ اللَّهَ لِأَجْلِهَا .

الخيرات التي تَقْتَنِيهَا بِالْمُحْزَنَاتِ (الضَّيِّقَاتِ الَّتِي تُسَبِّبُ الْحُزْنَ) تُعَلِّمُكَ الشُّكْرَ 92 . فَادْكُرِ اللَّهَ (عَلَى الدَّوَامِ) لِكَيْ يَذْكُرَكَ ، فَتَنَالَ مِنْهُ كُلَّ غِبْطَةٍ . لَا تَنْسَهُ بِتَشْتُّتِكَ فِي الْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ ، لِئَلَّا يَنْسَاكَ أَيَّامُ حُرُوبِكَ (الرُّوحِيَّةِ) . 93 كُنْ مُطِيعًا لَهُ فِي وَقْتِ الرَّاحَةِ (عِنْدَ خُلُوكِ مِنْ هِجْمَاتِ التَّجَارِبِ) لِكَيْ تَحْظِيَ بِالذَّالَّةِ (العناية واستجابة الصلاة) لَدَيْهِ عِنْدَ الشَّدَّةِ ، بِالصَّلَاةِ الْقَلْبِيَّةِ الْمُسْتَمْرَةِ . 94

14. فِي الذَّالَّةِ لَدَى اللَّهِ بِالتَّنْقِيَةِ وَالدُّكْرِ الدَّائِمِ : طَهَّرْ ذَاتَكَ أَمَامَ الرَّبِّ ، مُحْتَفِظًا بِذِكْرِهِ فِي قَلْبِكَ 95 أَمَا ابْتِعَاذُكَ الطَّوِيلَ عَنِ ذِكْرِهِ فَيُقْفِدُكَ الذَّالَّةَ لَدَيْهِ فِي أَثْنَاءِ دُخُولِكَ إِلَيْهِ . لِأَنَّ الذَّالَّةَ (قَبُولَ اللَّهِ لَنَا وَ لَصَلَاتِنَا) تُقْتَنِي بِالْهَيْذِ (ذِكْرَ اللَّهِ) الْمُسْتَمْرَ وَ الصَّلَاةَ الْكَثِيرَةَ 96 . الْعِلَاقَةُ مَعَ النَّاسِ وَ الْبَقَاءُ مَعَهُمْ (مَنْ دُونَ تَحْفُظِ) يَتِمَّانُ بِالْجَسَدِ (مَعَ مَا يُرَافِقُ ذَلِكَ مِنْ تَشْتُّتٍ) ، أَمَا الْعِلَاقَةُ مَعَ اللَّهِ فَتَتَمُّ بِالسَّهْرِ عَلَى النَّفْسِ (وَالْيَقِظَةِ) وَ الْإِتْبَاهِ فِي الطَّلِبَاتِ (أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ) ، وَ بِتَضْحِيَةِ الذَّاتِ (إِمَاتَةِ الذَّاتِ عَنِ الشَّهْوَةِ ، وَ الْأَهْوَاءِ ، وَ الْعَالَمِ) 97 الْحِفَاظِ الطَّوِيلِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يُوَدِّي إِلَى دَهْشٍ وَ تَعَجُّبٍ . 98 "وَلْتَبْتَهِّجْ قُلُوبُ مُلْتَمِسِي الرَّبِّ" 99 .

89 . لَيْسَ الْمَقْصُودُ آلِهَةَ الْوَثْنِيِّينَ ، بَلْ آلِهَةَ الشَّهَوَاتِ كَالْكِبْرِيَاءِ وَ حُبَّ الْمُقْتَنِيَّاتِ وَ مُتْعَةَ الْحَوَاسِ

90 . كَقَوْلِ زَوْجَةِ أَيُّوبَ لَهُ : " جَدِّفْ عَلَى اللَّهِ وَ مُتْ . " (أَيُّوبَ 2 : 9) .

91 اللَّهُ يَسْتَعْمَلُ مَا يُصِيبُنَا مِنْ مُحْزَنَاتٍ لِكَيْ نَذْكُرَ إِلَهَنَا وَ نَلْتَمِسَ مَعُونَتَهُ وَ عَفْوَهُ وَ رَحْمَتَهُ .

92 الْأُمُورُ الْمُحْزِنَةُ وَ الضَّيِّقَاتُ تُعَلِّمُ الْمَجَاهِدَ الصَّبْرَ وَ التَّسْلِيمَ لِعُنَايَةِ اللَّهِ وَ التَّمَاسَ رَحْمَتَهُ ، وَ هَذَا الْأَمْرُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْجِهَادِ الرُّوحِيِّ يَقُومُ بِهِ الرَّاهِبُ . وَ الرَّبُّ يُعِينُهُ فِي جِهَادِهِ ، فَيَشْكُرُهُ لِأَجْلِ مَعُونَتِهِ وَ مُعَاذَتِهِ .

93 اللَّهُ لَا يَنْسَى الْمَجَاهِدَ ، لَكِنَّ الْإِبْتِعَادَ عَنِ اللَّهِ يُضْعِفُ اتِّكَالَ الْمَجَاهِدِ عَلَى إِلَهِهِ وَ يَخْسِرُ مَعَاذَتَهُ ، وَ قَدْ قَالَ الْكِتَابُ : "إِقْتَرِبُوا مِنَ اللَّهِ يَقْتَرِبْ مِنْكُمْ" (يَعْقُوبَ 4 : 8) .

94 تعني الدالة أن يكون الراهب أكثر قرباً من الله، وتكون صلاته، أكثر قبولاً لديه. والصلاة القلبية المستمرة هي صلاة اسم يسوع المسماة أيضاً صلاة القلب: "أيها الرب يسوع المسيح، يا ابن الله، إرحمني."

95 بهذا يجعل القديس إسحق ذكر الله الدائم سبيلاً للتطهر.

96 يقول القديس إسحق إنَّ التطهر يُكسب الراهب دالة لدى الله.

15. في الاستعداد الدائم: "تسلحوا بسلاح الله لتستطيعوا مقاومة مكاييد الشرير

في يوم الشر" 100. قبل أن تبدأ الحرب (الروحية) استعن بالحلفاء (التطهر والصلاة والاتكال على الرب)، وقبل أن تقع في المرض (الروحي) أطلب الطبيب (الإلهي). قبل أن تُداهمك الشدائد، صل إلى الله تجده في وقت الحزن، 101 فيستجيب لك قبل أن تنزلق (تسقط) توسل إليه و تضرع، 102 وقبل أن تبدأ الصلاة هيء الوعود (التي يعدك الله بها)، أي غنائم الصلاة 103. سفينة نوح صُنعت في وقت السلام، لكن أحشائها زُرعت قبل ذلك بمئة سنة. [وكذلك الراهب يزرع زرع الصلاة و الجهاد في وقت السلام ليكتسب الفضائل و ينال ثمرة أتعابه والنَّجاة في وقت الشدة].

16. في هجر العالم واحتمال الظلم: إن الذين أماتوا (شهوات واهواء) العالم في

داخلهم يحتملون التجارب (الظلم و المشقة). أما الذين يحيون للعالم فلا يقدرون أن يتحملوا الظلم. هؤلاء يتحركون بدافع المجد الباطل فيغضبون و يضطربون، أو أنهم مستحوذون بحزن (العالم).

97 إن العلاقة بالناس تتم "بالجسد" لأنها تُشئت الراهب و تُلهيه عن اليقظة الروحية. فصير عنده دالة على الناس، ويلتمس الكرامة و التعزية البشرية... وهذه العلاقة مُضادة للعلاقة بالله، التي تتم "بالروح" و تتضمن اليقظة والسهر و ذكر الله الدائم.

98 دهش وتعجب: على مثال الملائكة الذين يُسبحون الله على الدوام وهم في حالة دهشة دائمة وفرح أبدي (إشعيا 6 : 1 - 3).

99 مزمو 104 : 3.

100 أفسس 5 : 11 و 13.

101 أنظر تعريف الحزن في المقدمة، الفقرة 5.

102 يؤكد القديس إسحق مراراً على وجوب الاستعداد بالسهر والصلاة قبل وقوع التجارب و الضيقات، فيكون ذلك الاستعداد بمثابة حصن ضدها، ويكون ذلك بمثابة إيمان بالله و ثقة بعنايته الدائمة، كما فعل نوح.

103 أي كن على يقين بأن الله يستجيب صلاتك، بحسب وعده لأبراره.

ما أعظم اقتناء فضيلة احتمال الظلم (من أجل الرب)، و ما أعظم مجدها عنده! من أراد نيل هذه الفضيلة، أي تحمّل الظلم (بصبر) وطول أناة، يحتاج إلى ابتعاد و تغرّب عن الأهل و الأقرباء، لأنه يستحيل نيلها في الوطن 104. فاحتمال ألم هذه الفضيلة وسط الأخصاء، هو من شيمة الأقوياء الذين مات العالم فيهم، و فقدوا كل رجاء في التعزيات الحاضرة 105.

17. في التواضع والهرب من الكرامات: 106 اتضع تر مجد الله في داخلك، لأنه حيث ينبت التواضع، فهناك ينبع مجد الله. جاهد في أن تحتقر الكرامات، تمتلئ من كرامة الله. 107 من جاع و عطش من أجل الله، يسكره الله بخيراته. و من افتقر من أجله يعزبه بغناه الحقيقي. حقر ذاتك من أجله، يكثر مجده فيك كل حياتك من دون أن تعلم. لا تطلب إكراماً و أنت مثخن بالجراح (ومثوة بالسقطات والأهواء والشهوات والخطايا) من الداخل 108 أهرب من المجد الباطل تتجدد؛ خف من الكبرياء تتعظم. إذا كنت قد رفضت بإرادتك جميع أمور الحياة، فلا تُخاصم أحداً على شيء البتة.

104 في الوطن: أي بين الأهل و الأقارب، تلميحاً إلى قول الرب إنه لم يكن له كرامة في وطنه (مرقس 6 : 4)

105 من الواضح أن الأهل لن يقبلوا المهانة لابنهم، و سوف يطلبون ردّ الإساءة بمثلها، كما أن الشخص نفسه يصعب عليه احتمال المهانة بين أهله. يحبذ القديس إسحق العزلة لأجل اكتساب الفضائل؛ هذا الكلام موجّه بخاصة إلى الرهبان المتوحدين.

106 في هذا المقطع يوضح القديس إسحق أسس التواضع، وهي : عمَل الرَّحمة، و الفقر والجوع والعطش من أجل الله، وعَدَم طلب الكرامات، وعَدَم مُخاصمة أحد من النَّاس.

107 وهذا معنى قول الربّ: " إذا دُعيتَ إلى عرس، فاجلس في المقعد الأخير، حتى إذا جاء الذي دعاك قال لك : قم إلى فوق، يا أخي. فيَعظّم شأنك في نظر جميع جُلسائك. فَمَن رَفَع نفسه وُضِع، و من وَضِع نفسه رُفِع" (لوقا 14 : 8 - 11)

108 جراح السَّقَطات والخطايا والأهواء.

18. في محبّة الفقراء: أحبب الفقراء تنل الرحمة بسبب إحسانك إليهم، 0 لأن الرحمة لمن يرحم)109. لا تشمئز من ننانة المرضى وبخاصة الفقراء منهم، فإنك تملك جسداً مثلهم. أحبب الخطاة و أبغض أعمالهم، ولا تحتقرهم بسبب نقائصهم حتى لا تُجرب بما هم مجربون. أذكر أنك شريك في الطبيعة الأرضية (ومُعَرَّضٌ لسنوف الأمراض والنوائب) واصنع الخير مع الجميع (لأنه قد يأتي يومٌ تحتاج فيه إلى معونة الآخرين).

19. لا تُخاصم أحداً: لا تُخاصم من هم بحاجة إلى صلاتك 110 ولا تحرمهم من أقوالك اللينة المعزية. 111 إقتد بالأطباء الذين يُعالجون الآلام الحادة بالأدوية المبردة، والآلام الباردة بالأدوية الحارة (كن ليئناً مع الخطاة ومع المسيئين إليك) 112.

20. صلاتك: (تقواك، وخصوصاً صلاتك هي ما يجذب الآخرين

إليك 113

109 يعقوب 2 : 13 و 3 : 13 ؛ أمثال 19 : 17 و 21 : 31.

110 يقول القديس إسحق إنّ الراهب لا يُخاصم أحداً، وحتى لو تعرّضَ للظلم وهُدِرت حُقوقه، لأنّ الأوليّة هي خلاصة وخلص الآخرين. الراهب مدعو إلى أن يحتمل الظلم، ويرضى أن تُهدر حُقوقه، في سبيل خلاص القريب، فحريّ بالراهب أن يصلّي لأجل جميع الآخرين، بدلاً من أن يُخاصمهم. فالخصام هو من الأهواء والخطايا، ويُولد في النَّفس الغضب والأحقاد. الخصام و النزاعات و المشاحنات هي من تصرفات أهل العالم، الذي خرج منه الراهب لكي يتحرّر من أهوائه.

111 بدلاً من مُخاصمة الآخرين، واجبُ رَجُلِ الله أن يُقدِّمَ لهم كلامَ النَّصْحِ و التَّشْجِيعِ و التَّعْزِيةِ، وكلَّ ما يبني نُفوسَهُم.

112 الذين يَجْرُونَكَ إلى الخِصَامِ قد يكونون مَرَضَى رُوحِيّاً و بِحَاجَةٍ إلى شِفاءٍ، وخصامُكَ لهم يحرمهم العلاجات التي بإمكانكَ أن تُقدِّمها إليهم.

113 ليس المقصود مَظَاهِرُ صَلَاةِ الرَّاهِبِ، ولا ذِكَاءَهُ ولا فَصَاحَتَهُ و بلاغته في الكلام ولا دِهاءَهُ ولا سَعَةَ عِلْمِهِ ولا قُوَّةَ شَخْصِيَّتِهِ ولا شِعْبِيَّتَهُ و كثرةَ عِلاقاتِهِ؛ بل إنَّ حَيَاتِهِ الدَّاخِلِيَّةَ و إشعاعه الرُوحِيَّ هي ما تُؤَهِّلُهُ لإفادَةِ الآخرين رُوحِيّاً، في التَّعْلِيمِ و الوَعْظِ و الإرشادِ و سَماعِ الاعترافاتِ، و المَثَلِ الصَّالِحِ، وهذا ما يَجْذِبُ الآخرين إليه، كما قال الكتاب، إنَّ الأبرارَ "يُضِيؤُونَ كالنَّيِّرَاتِ فِي الكَوْنِ" (دانيال 12 : 3 ؛ متى 13 : 43 ؛ فيلبي 2 : 14 - 15).

=المقالة السادسة=

1. في مَنفَعَةِ الهَرَبِ مِنَ العَالَمِ: 114 أدركَ آباؤنا أنَّ الجِّهَادَ وسطَ المُغْرِبَاتِ صَعْبٌ جدّاً، وأنَّ الدَّهْنَ لا يثبُتُ على حالَةٍ واحدة، ولذلك لا يستطيع أن يَصونَ نَفْسَهُ بالاحتراسِ ممَّا يؤذيه. لذلك تَشاوروا بحِكمةٍ و اتَّشَحوا بَعَدَمِ القِنِيَّةِ (بمحبَّةِ الفِقرِ) سَلاحاً يُغْنِيهِم عن جِهادَاتٍ كثيرة. لأنَّ الفَاقَةَ تُبْعِدُ الإنسانَ عن زَلَّاتٍ كثيرة، وذهبوا إلى البرِّيَّةِ بعيداً عما يُسبِّبُ الأهواءَ، حتى لا يَجِدُوا أثناء الضَّعْفِ أسباباً تُؤدِّي بهم إلى السَّقُوطِ. و أعني بالأسبابِ: الغُضبُ و الشَّهْوَةُ و الحَقْدُ و المِجْدُ (الباطل).. هذه الأهواءُ و غيرها تَنخَفِضُ حَدَّتُها في البرِّيَّةِ. لذلك جَعَلُوا الصَّحْرَاءَ حِصْناً لهم و سُوراً، و تَمَرَكَزُوا فيها مثل بُرْجٍ لا يُقَهَّرُ. وهكذا استَطاعَ كُلُّ مِنْهُم أن يُتِمَّمَ جِهادَهُ بهدوءٍ، حيثُ لا تَجِدُ الحِوَسَ سَبباً لِتَتَحالَفَ مع العَدُوِّ (الشَّرِيِّ) الذي يُصارِعنا من خلال اقترابنا من الأشياءِ المؤذِيَّةِ (فقد أيقن آباؤنا) أنَّ الموتَ في الجِهادِ خَيْرٌ مِنَ الحَيَاةِ فِي السَّقُوطِ.

114 أنظر أيضاً: " في حلاوة العالم و شهواته " ، المقالة 85 ، الفقرة 4.

= المقالة الثامنة =

1. في نظام التَّمييز الدَّقِيق: إذا كانت الأهواء القديمة التي كانت مُتسلِّطَةً عليك لا تزال تُزعجك، فهي لم تُمَحَ منك بالكلية، والحرب لا تزال قائمة في النَّفس، بالرغم من اعتقادك أنَّ النَّفس قويَّة أمامها. وهذا مُطابق لما قال الكتاب: " سكنَ الملك في بيته [والراهب في بَرِيَّتِهِ] فأراحهُ الربُّ من جميع الجهات من جميع أعدائه " 115. والكتاب لا يتكلم على ارتياح الملك من هوى واحد، بل منها جميعها (جميع أعدائه): أي من أهواءه الطَّبِيعِيَّة و الشَّهوانية والنَّفْسِيَّة، وحبُّ المجد، وحبُّ الغضب...
حرَّكَ نفسَكَ (انهض) الآن و تَضَرَّعْ إلى مُخلِّص الجَمِيع و اسأله أن يُزِيل السِّتار (الحجاب الذي يَمْنَعُكَ من الرُّؤية) عن باب قلبك و يُبَدِّدَ من الفُلك (السَّفِينَةَ) الداخليَّ عاصفةَ الأهواء الدَّاخِلِيَّة و يُوَهِّكَ لرؤية أشعة النهار 116، (فتنال نعمة التَّمييز، و تُحارب أهواءك)، فلا تَبْقَى جالساً كالميت في ظُلْمَةِ (الأهواء والشَّهوات) إلى الدَّهر.
2. القلاية تُعَلِّمُكَ: اجلس في قلايتك (مخدعك، مكان جهادك) وهي وحدها تُعَلِّمُكَ كلَّ شيء 117.
3. مَنْظَرُكَ مَنْفَعَةٌ لِلآخِرِينَ: يجب أن تكون أعمال الرَّاهب (المُجاهد) و تَصَرِّفاته نموذجاً لمنفعة كلِّ مَنْ يَنْظُرُ إليه 118.
4. في الأهواء... أيضاً: لا تتعجَّب عندما تَفحص ذاتك، فلا تجد فيها السَّلام، بسبب إزعاج الأهواء (الميول والرغبات غير اللائقة في النَّفس). فإذا كان جوفُ الأرض يُحافظ على حرارة الشمس بعد غروبها، فماذا تكون حالُ الأهواء؟ 119 إنها

تُشبهه كلاباً اعتادت (أدمنت) لحس الدّم من دُكّان الجزّاز، فإذا مُنعت عنه، مكّنت عند الباب نابحةً، ولا تُفارقهُ حتى تستنزف قوتها الغريزيّة الأولى بكاملها120.

115 2 ملوك 7 : 1 والمقصود: لا راحة إلا بالصلاة الدائمة والنزول إلى بيت القلب.

116 يُشبهه الكاتب حياة الجهاد بسفينة غايثها بلوغ ميناء الخلاص. و يُشبهه الأهواء بالأعاصير التي تهبّ على هذه السفينة، فتجعلها تدخّل في الظلمة التي تُعيق تقدّمها.

117 بالصلاة الدائمة والمطالعة الروحية و التأمل وذكر الله، و التواضع والطهارة، ينال الراهب نعمة التمييز و يتعلّم أسرار الملكوت. أنظر تعريف التمييز في المقدمة، الفقرة 5.

= المقالة الثانية عشرة =

1. الفتور الروحيّ سببه التهاون: عندما يتسلّل إليك التهاون كحصّ، وتبدأ نفسك بالتقهقر، وسط غمام (الأفكار المقلقة والمشوشة)، و يوشيك البيت (الداخلي) أن يظلم، تظهر (فيك) الدلائل التالية: تُحسّ بأنك قليل الإيمان؛ تطمّع في الأشياء المنظورة؛ تضعف ثقّتك؛ 121 تشكّ بقريبك؛ تذمّ كلّ من تُصادفه بفكرك و حواسك، بل وتذمّ خالقه أيضاً. ويتسرّب إليك الخوف على الجسد، 122 والخوف يُسبّب لك صغر النّفس (الجبن)، مما يجعل نفسك تخاف من ظلّها. 123 الإيمان (هو) القوّة العقلية التي تدعم القلب بنور الذّهن 124. تلك القوّة تولّد في النّفس، بشهادة الضمير، ثقةً كبيرةً بالله، فلا تعود تهتمّ بذاتها، بل تلقى همّها على الله في كلّ شيء125.

118 يجب أن يكون الراهب مثلاً يُقتدى به، عملاً يقول الربّ: " فليضيء نوركم للناس ليروا أعمالكم الصالحة و يمجّدوا أباكم الذي في السماوات" (متى 5 : 16)

119 حرارة الشمس لا تزول بغروبها، و تسلط الأهواء لا يزول لمجرد الانقطاع لفترة ما عن تلبيتها. الأهواء لا تُفارقنا بسهولة، بل تستمرّ في مُحاربتنا لأمد مُعيّن، حتى بعد أن نقطع عنها الأسباب والمواد التي تُغذيها.

120 إن تلبية مُتطلّبات الأهواء تتحوّل إلى إدمان يُشبه إدمان الكلاب المسعورة التي اعتادت لحس الدم، ولا تكفّ عن أن تلتمس بشراسةٍ ونهمّ المادة التي تُغذي إدمانها. وكما تستنزف الكلاب كلّ قوتها الغريزيّة في طلب مادة إدمانها، كذلك تستنزف النّفس طاقتها الغريزيّة لتلبية مُتطلّبات أهوائها. ويضع الراهب كلّ جهده في هذا الأمر بدلاً من أن يبذله في الجهاد. في هذه الفقرة يُعبّر القديس إسحق عن مدى قوّة الأهواء، و يقول إنها تكاد تكون قاهرة. وفي هذه الفقرة، أيضاً، وصف بليغ لحالة الإدمان.

121 تضعف ثقّتك: أي ثقّتك بحسن تدبير الله و عنايته بك، فتصير عرضةً المخاوف والشكوك.

122 الخوف على الجسد: أنظر المقدّمة، الفقرة 5.

123 من يشكّ في عناية الله له يخاف من ظله. المقالة الخامسة، الفقرة 7.

124 الإيمان يُنير الذّهن ويُعطي العقل قوّة تدعم القلب، فيصير جريئاً، مُقاوماً للخوف.

2. علامات التّقدّم: إذا تقدّمت في مسيرتك الروحيّة فستجد في نفسك العلامات الواضحة التّالية: تتقوى بالرجاء في كلّ شيء (ترجو الله و تتكلّ عليه بدلاً من أن تتكلّ على نفسك و على الأمور الخارجيّة)؛ تُصبح غنياً بالصّلاة؛ لا تُفارق المادّة المفيدة (الأفكار الصّالحة وأفكار الفضيلة) ذهنك في كلّ شيء تصادف؛ تُحسّ بضعف طبيعتك البشريّة، فيُصبح بإمكانك أن تتقي الكبرياء، ولا تُبالي بنقائص القريب 126. والشّوق إلى الله يُولد فيك شوقاً إلى الخروج من الجسد، لكي تلتقي الله بعد الممات. ثمّ تُواجه الضّيقات الظّاهرة والخفيّة بروح العدالة 127، ويُصبح كلّ شيء قريباً منك وواضحاً بدقّة وبعيداً عن الغرور. بهذا (لا تعود تتدّمّر من شيء وترى عناية الله بك و إحسانه إليك)، وترفع الاعتراف والشّكر على كلّ شيء. هذه العلامات هي ميراث اليقظين والحريصين والعائشين في السكينة، والتّائقين إلى بلوغ تمام السيرة، (أي سيرة الكمال الرّهباني).

125 ضمير الراهب يَشهد له أو يَشكوه؛ أنظر رومة 2 : 15.

126 من عادة المتكبر أن يُعيرَ الناس بأخطائهم. لذلك متى تواضع الإنسان ينظر إلى عيوبه و خطاياها أولاً ولا يعود يُبالي بنقائص الآخرين ويكف عن تعبيرهم وإدانتهم.

127 تؤمن أن الضيقات تُحقق عدل الله لأن سببها خطاياك، فلا تشكو ولا تتذمر من الآلام والضيقات.

= المقالة الثالثة عشرة =

1. في أن كثرة الاهتمامات تُبدد السكينة وتُضعف النور: كثير الاهتمامات (الدينيوية) لا يستطيع أن يصبح وديعاً وهادئاً، لأن الحاجات الضرورية تُضيقه وتُجعله مُجبراً على (كثرة) التفكير فيها، فيتبدد هدوء السكينة (في قلبه). 128 لذلك يجب على (المجاهد) أن يقف أمام وجه الله ويحدق إليه دائماً بنظر ثابت، إذا أراد أن يُحصن ذهنه ويُنقيه مما يجوب (يحوم) فيه من حركات (أهواء وتجارب) صغيرة (في بدايتها). و أن يتعلم الهدوء وتمييز الأفكار الداخلة إليه (إلى ذهنه) والخارجة منه (هل هي صالحة أم شريرة). اهتمامات الراهب الكثيرة تدل على التراخي في الاستعداد لإتمام وصايا المسيح، وتُظهر عيوبه تجاه الأمور الإلهية 129. لا تُفتش عن النور في نفسك إذا لم تنزع عنك الاهتمامات (الخارجية، الدينيوية) ولا (تبحث) عن الصفاء والهدوء، إذا كانت حواسك متراخية. إذا وُجِدَت بعض الاهتمامات (الانشغالات) فلا تَزدها حتى لا يُصيب التششت ذهنك أو صلاتك لأنك بغير الصلاة المستمرة لا تقدر أن تقرب من الله. وإذا أرهقت ذهنك في الصلاة، ثم شغلته بأمر ما، فإنك تُسبب لذهنك التششت [وقد تخسر تعبك].

2. في مضار الأحاديث الدينيوية: كما أن الجليد إذا سقط بقوة على رؤوس النباتات النَّضرة يُجففها ويُتلفها، هكذا تُجفف الأحاديث مع الناس، مهما كانت قصيرة ومفيدة، أزهار الفضائل المُفرعة حديثاً في ربوع السكينة، والتي تُحيط ببساطة ونُعمه بنبته النفس المغروسة على مياه التوبة 130.

128 يتبدد هدوء السكينة: كثرة الانشغالات تُرافقها حتماً الاهتمامات الكثيرة، فيتبدد هدوء السكينة، والمقصود طبعاً، سكينة قلب الراهب.

129 أي تُظهر تقصيره في الحياة الروحية.

130 أفعال التوبة الصائرة في السكينة وهدوء الصلاة تُفرع الفضائل في النفس، إن خروج الراهب عن سكينته للحديث مع الناس في الأمور الدنيوية و شؤون العالم، يؤخر نمو الفضائل في نفسه. هذا الكلام موجهٌ بخاصةٍ إلى الرهبان المتوحدين.

الأحاديث (العالمية) مع الناس تُتلف جذور الذهن (جذور الأفكار الصالحة) التي بدأت تُفرع نبات الفضائل. فكما أن الإنسان الشريف المكرم إذا سكر ونسي نَسبه يُهان مَنْصبه و تُنتهك كرامته بسبب أقواله المستغرِبة المتولدة من الخمر، هكذا عفة النفس تتشتت بأحاديث الناس (التي تُسبب غفلة تُشبه غفلة السكر)، فينسى الراهب طريقة حفظ (العفة) ويُنزَع منه أساس أحواله الروحية الممدوحة (الذي هو العفة) 131.

3. في ظلام الكبرياء: المتكبر لا يعلم أنه يسير في الظلام، ولا يدرك أنه يجهل معنى الحكمة. وكيف يدرك ذلك مادام في الظلام؟ إن فكرة المظلم يستكبر على الجميع، مع أنه أحقر الجميع و أضعفهم، ولا يقدر أن يتعلم طرق الرب. لهذا يُخفي الله إرادته عنه، لأنه يرفض السير في طريق المتواضعين 132.

4. تجربتان للعائش في السكينة: هناك تجربتان للعائش في السكينة، الأحاديث وحب الظهور. ومجرد الدنو (من هذين

الأمرين) 133. يكفي لتبريد حرارة الذهن (المتقّد بمحبة الله) وتشويش الأفكار الإلهية في داخله. فإذا كانت البرهة

القصيرة من التجربة تُسبب للراهب العفيف ضرراً كهذا، فما بالك باللقاءات المستمرة والعوائق المزمّنة؟

131 العفة هنا تعني التعفف عن الاهتمامات الخارجية.

132 الظلام هنا هو الجهل بالأمور الإلهية. الكبرياء يُدخل صاحبه في ظلمة الجهل لأن الله لا يكشف أسراره إلا للمتواضعين. وقد قال الكتاب: " تأتي الكبرياء فيأتي الهوان؛ "وقبل الانحطام الكبرياء" (أمثال 11: 2 ؛ 16 : 18). وقال أيضاً إن موسى كان أكثر الناس تواضعاً في الأرض (عدد 12 : 3) فأكرمه الله و كشف له ذاته وأعطاه الشريعة وجعله لشعبه قائداً ومُحرراً.

133 أي مجرد الحديث، ولو قليلاً، مع الناس، والخروج عن السكينة، ومجرد الرغبة في الظهور، ولو قليلاً، يُسبب للراهب برود محبته لله وللأمور الروحية. فكيف بالأحرى إذا استرسل الراهب في هاتين الرذيلتين، فتملكتا فيه؟

= المقالة الرابعة عشرة كاملة =

1. في التحوّل الحاصل للذين يسيرون في طريق السكينة التي رسمها الله: مَنْ يُوطن النفس على العيش في السكينة يجب أن يكون مُستعداً لإتمام أعمالها و نظامها طيلة حياته.

يحصل أحياناً تشويشٌ داخلي يُظلم النفس ويحرمها التعزية الروحية مدّةً من الزمن، ويتبدّد نور النعمة الداخلية بسبب غيوم الأهواء، ويُغطيّ الذهن ضبابٌ غير عاديّ هذا يحدث عادةً في نظام السكينة، و يؤثر في ما أُعطينا من النعمة الإلهية. عندها، لا يضطرب فكرك ولا تستسلم بداعي الجهل، بل اصبر و طالع كتب المعلمين وأرغم نفسك على الصلاة، فتأتيك المعونة من دون أن تعلم. لأنه كما أن الضباب الذي يُغطيّ وجه الأرض ينقشع ببزوغ الشمس، هكذا سحّب الأهواء المحيطة بالنفس تتبدّد بالصلاة، فيستضيء الذهن بنور التعزية والبهجة. يتولد النور في ذاكرتنا، بخاصة إذا توقّرت له المادّة من الكتاب المقدّس 134 ، واليقظة التي تصقل الذهن 135. إن مطالعة كتب القديسين تملأ النفس بالدهشة غير المدركة والبهجة الإلهية 136.

134 خبرة الراهب السابقة (والحاضرة) مع الكتاب المقدس تُعيّنه في التغلب على هجمات الأهواء، فيُشْرِق في نفسه النور الإلهي من جديد.

135 اليقظة تعني أن يُراقب الراهب الأفكار الدّاخلية إلى ذهنه والخارجة منه، فيرفض الفاسد منها. وهذا هو "صقل الدّهن" ، فيُشبه الراهب النحات الذي يصقل الصّخر.

136 بحسب قول يعقوب الرّسول: " مَنْ يُكَبِّ على الشريعة الكاملة، شريعة الحرية (التي بالمسيح)، فيواظب عليها، شأن مَنْ يَعْمَل، لا شأن مَنْ يَسْمَع ثمَّ يَنْسَى، فإنما يجد السعادة في الشريعة التي يَعْمَل بها" (يعقوب 1: 25).

= المقالة السادسة عشرة =

1. صلاة لأجل التحرّر من الإرادة الذاتية ، والتماس التّواضع: أيها الربّ يسوع المسيح إلهي ! أهلّني لأن أتحرّر من إرادتي الذاتية التي تولّد لي التّخيلات 137، فأعمل إرادتك و أسلم ذاتي لمشيئتك، لكي أراك على الدوام رؤيةً تُفوق الطّبيعة، من خلال ذهني المتحرّر من الأفكار المتنوعة (غير اللائقة) التي رفعتها على الصّليب 138.

زدّ محبتك فيّ لكي أترك العالم، مُنجذباً بعشقك. حرّكني واجتذبني لأدرك تواضعك الذي تسربلته و تصرّفت بحسبه حين كنت في الجسد، حتى إذا ما تذكّرت تواضعك على الدوام أستطيع أن أتقبّل حقارة طبيعتي بلذة 139 (ورضى).

2. في الطّاعة و الخضوع و التّواضع: لا يقدر الدّهن أن يُطيع (و يخضع لإرادة الراهب) ما لم يخضع له الجسد أولاً 140.

فملّكة الدّهن كامنة في صلب الجسد 141.

مَنْ يخضع ذاته لله لن يكون بعيداً عن أن يخضع له الكلّ [ذاته بكلّيتها] و مَنْ يعرف نفسه تُعطى له معرفة الكلّ، لأنّ معرفة الذات هي ملء معرفة الكلّ. بطاعتك (الله ووصاياه) يخضع الكلّ لك 142.

عندما يسود التّواضع فيك تخضع نفسك لك، و معها يخضع الكلّ [تسود على ذاتك بكلّيتها] عندئذٍ ينبع سلام الله في قلبك. أما إذا بقيت غريباً عن التّواضع، فستكون عرضةً للأهواء، وللنواب 143 أيضاً

التّواضع الحقيقي وليد المعرفة [معرفة الذات، و معرفة الأسرار الإلهية] والمعرفة (الروحية) الحقيقية وليدة التجارب [الخبرات التي يكتسبها المُجاهد من حروبه الروحية] فلا تكفّ ياربّ عن أن تدعونا إلى التّواضع 144.

137 عندما يرغب الراهب في تَتَمِيم إرادته الذاتية، تَتَوَلَّد في نفسه تَخَيُّلات شَتَّى. فإذا رَغِب، مثلاً، في الرئاسَة، تَتَوَلَّد في ذهنه تَخَيُّلاتٌ عن ترؤسه الأديار وإدارة شؤون الرُهَبان... فيُظلم ذهنُه ويَخسر جهادَه، ولا يَعْمَل مَشِيئَةَ اللَّهِ.

138 يقول القديس إسحق إنَّ الربَّ بموته على الصَّليب حرَّره من الأفكار الباطلة.

139 يصعُب على الراهب، بسبب طبيعته البشريَّة الساقطة، أن يَتَقَبَّل ضعفه. لكنَّه عندما يَرى تواضُع الربِّ، يَصير قادراً على تَقَبُّل ضعفه وحقارة طبيعته.

3. في أن صَلَبَ الجسد يتمُّ بالتحرُّر من الأهواء: " إنَّ الذين هم خاصَّة المسيح صَلَبوا جسدَهم بما فيه من أهواء و شهوات "

145 . هناك طريقتان للصَّعود إلى الصَّليب : الأولى صَلَبَ الجسد، و الثانية الارتقاء إلى " الثاوريا " (المشاهدة) 146.

الأولى (صَلَبَ الجسد)، تتمُّ بالتحرُّر من الأهواء، و الثانية (تحصل) بفعل الرُّوح القدس 147.

140 لا يستطيع الراهب أن يُحافظ على نقاوة ذهنه إذا أطلق العنان لنزوات جسده. لأنَّ شهوات الجسد تملأ الذهن بالأفكار و الذُّكُريات الفاسدة.

141 صَلَبَ الجسد يعني إخضاع نزواته باليقظة والتَّقوى والصلاة الدائمة والتأمل في الكتب المقدَّسة وكتابات القديسين، و مُمارسة أعمال الرِّحمة.

142 على الراهب أن يعرف ذاته (ومكامن ضعفه، فيُحاربها) لكي يُخضع ذهنه و إرادته وجسده له. و التواضُع شرطٌ لهذا كلِّه.

143 النّوائب: الحوادث المُعاكِسة، التي تُسبب الضّعف و التّشوّش.

144 خبرة الجهاد تُولّد المعرفة الروحيّة، وهذه تُولّد التّواضع. فالتّواضع يُقنّني بالجهاد.

145 غلاطية 5 : 24

146 أي مُعاينة الله من خلال خبرة روحيّة داخلية.

147 يقول القديس سيرافيم ساروف إنّ غاية الحياة الروحيّة هي اقتبال الروح القدس، وهنا يقول القديس إسحق إنّ الراهب بعد أن يصلب جسده بما فيه من أهواء وشهوات، على مثال المسيح، يبلغ مرحلة الثاوريا التي تتمّ بفعل الروح القدس.

= المقالة التاسعة عشرة =

1. في التّواضع والرّحمة: كما أنّ الظلّ يتبع الجسد، هكذا الرّحمة تتبع التّواضع (التّواضع يصير رحيم القلب بالضرورة). [أما المتكبر فيعجز عن عمَل الخير لأنّ قلبه يخلو من الرّحمة.]
2. في التّواضع: التّواضع هو رائحة آدم قبل المصيبة، والتي انثزعت منّا. غير أنّ يسوع جدّدها فينا وأعادها إلينا بحضوره الذي عطر (طيّب) الجنس البشريّ 148. [لهذا، فتواضع القلب هو بابُ الملّكوت 149].
3. في الإيمان وتدبير الربّ وعنايته: إذا آمنتَ بالربّ القادر على حفظك ، فلا تهتمّ، بل قلّ لِنفسك: إنّ الذي سلّمته ذاتي يكفيني في كلّ شيء، ولم أعد أنا المدبّر لحياتي بل هو. وعندئذٍ تُشاهد عجائب الله بالفعل وترى أنه قريبٌ لإنقاذ الذين يخافونه، و أنّ عنايته (حاضرة دائماً) ، وتشمل (خائفيه) بحالٍ غير منظورة. لا تشكّ بوجود حارسك الكائن معك بمحبّة ويشمّلك بمحبّته و عنايته (الدائمة). إنه لا يرى بالأعين الجسديّة، مع أنه يُمكن أن يُعلن للأعين الجسديّة بُغية تشجيعك 150.
4. في الصّلاة بلا ملل ولا فتور: صلّ بلا ملل وتضرّع بحرارة واطلب باجتهاد كثير لتنال الحماية (من هجمات التّجارب)، و احذر من أن تتراخي فيما بعد. وسوف تستحقّ الحماية إذا أرغمت ذاتك على وضع همك لدى الله بإيمان، و استبدلتَ عنايتك الذاتية بعنايته، (لأنك لا تقدر أن تدفع عنك التّجارب بقوتك الذاتية). عندما يرى الله أنّك آمنتَ به بفكرٍ طاهر أكثر من إيمانك بنفسك، وأنك أرغمتَ ذاتك على الرّجاء (الثقة) به أكثر من رجائك (ثقتك) بنفسك، فسيُظلك بتلك القوّة (قوّة عنايته و الثقة بها)، وتُدرك إدراكاً حسيّاً أكيداً القوّة التي

حَلَّتْ فِيكَ، والتي يحسُّ بها كثيرون (من المُجاهدين)، فيعبُرُون في وسط النَّار من دون وَجَلٍ ويمشون على المياه من دون خوف. لأنَّ الإيمان يُقوِّي النَّفسَ و يجعلُها تُحسُّ بوجود كائن غير منظور 151 يَحْتُها على عدم الاكتراث للمُشاهد المُخيفة والمُشاهد التي لا تَسْتَطيع الحواسُّ أن تَحتملها 152.

148 الطَّيب والعُطور بلُغة النَّسك هي رائحة القُداسة وأريج الفَضائل. يسوع عَطَّرَ بحضوره جنس البشر لأنه فتح لنا باب القُداسة بعد أن خسرتها بسقطة آدم.

149 القُدّيس يوحنا السِّلْمِي ، السِّلْم إلى الله، 25 : 30.

150 يُرسل الله أحياناً الملائكة إلى النَّسك لأجل تشجيعهم وتُعزيتهم.

5. في فوائد التَّجَرُّد من كلِّ معونة منظورة، و النَّعم المرافقة لذلك: عندما يَتَجَرَّد الإنسان من كلِّ معونة منظورة وكلِّ رجاء

بشريّ (رجاء بمعونة بشريّة) 153 ويَتبع الله بإيمانٍ وقلبٍ نقيّ، 154 تَتبعهُ النَّعمة حالاً، و تَكشف له قوَّتُها بمساعداتٍ مُتنوّعة. تُربيه (النَّعمة) معونتها أولاً من خلال الأشياء الظَّاهرة التي يحتاجُها الجسد، فيُدرك قوّة عناية الله به بشكلٍ أفضل.

ويتأكَّد من الخفيّات بإدراك الظَّاهرات، 155 لأنَّ حاجته تُهيأ من دون أن يَهتمَّ بها 156

كما أنَّ المعونة (الإلهيّة) تُنقذه من أضرارٍ كثيرة مُداهمة، و تتقيه في أحيان كثيرة من ظُروف خَطرة يَجهلُها، و تُقصيها (المعونة) عنه بأعجوبة كبيرة، من دون أن يُحسَّ بها. وتَصوِّفه كما تصون الدَّجاجة فِراخها، كي لا يمسَّها ضرر، و تُربيه بعينيه كيف أوْشَكَ على الهلاك، لكنَّهُ مع ذلك حُفِظَ بغير أذى.

ولا تكتفي نعمة المَعونة بالظَّاهرات، بل تُدربه أيضاً في الأمور الخفيّة و تَكشف له مكائد الأفكار والمعاني (الباطلة)، الصَّعبة وغير المُدرّكة، فيسهِّل عليه إدراكها (تمييزها و معرفة مصدرها) ومعرفة تسلسلها وكشف خداعها 157 . ويعرف (ويُميّن) الأفكار (الفاسدة) التي تلتصق به، وكيف تتوالد بعضها من بعض و تُهلك النَّفس، فتُخذل أمام عينيه مكائد الأبالسة وقواعد (أصول حيل) أفكارها، وتمنحهُ فهماً لمعرفة المُستقبَلات 158، ويُشرق في قلبه البسيط 159 نورٌ خفيٌّ لإدراك قوة معاني الأفكار الدَّقيقة في كل شيء 160، و تُربيه كما بإصبع (يُشير إلى) المصائب التي كانت مُزَمعة أن تحلَّ به لو لم يَستدركها.

151 حضور الله نفسه، والإحساس بعنانيته.

152 المقصود هنا المشاهد الناشئة عن خداع الشياطين لحواس الراهب، فيرى ويسمع ويحسّ بأمور مخيفة ومرعبة يصعب عليه احتمالها.

153 التجرد من المعونة المنظورة، ومن الرجاء البشري، يعني أن لا يتوقع المجاهد مساعدةً أو نجدةً أو نُصرةً، أو إنصافاً، أو عدالةً من أحد من الناس، وبالتالي، أن لا يضع رجاءه في إنسان. ويلي ذلك أن لا يأمل في معونة بشرية، وأن لا يطلبها، بل أن يتكل على الله وحده، بالصلاة. هذا النوع من التجرد صعب، لكنه فضيلةٌ تدلّ على عمق الإيمان بالله والرجاء بمعونته وحدها. وقد يبدو للمبتدئ في الحياة الروحية أنّ المعونة البشرية هي أقرب منالاً، خاصةً إذا أمكن الاعتماد على الأخصاء والأقربين لكنّ فضيلة التجرد تُعلّمنا الاتكال على الله أولاً، لأنّ معونة البشر محدودةٌ وضعيفةٌ وعرضةٌ للفشل، وفيها منةٌ أحياناً، وقد تُخيب مُلتمسيها، وكثيراً ما تكون في غير محلّها بخلاف معونة الله الأكيدة، والتي لا حدّ لها.

154 إنّ فضيلة التجرد هي من مظاهر نقاوة القلب، وعلامةٌ لها.

وهكذا يعي أن كلّ شيءٍ، كبيراً كان أم صغيراً، يجب أن يُطلب من خالقه بالصلاة.

6. في التجارب المرافقة لفضيلة التجرد من المعونة البشرية: متى تُبنت النعمة الإلهية عقل المجاهد في هذه الأمور كلّها (المذكورة آنفاً، وتعلّمها وحفظها جيداً)، وجعلته (النعمة) يثق بالله، يبدأ بالدخول في التجارب (الشدائد) التي تبدأ قليلةً، ثم يسمح الله بأن تتكاثر إذا كان باستطاعته احتمال قوتها (أي يُجرّبهُ الله على قدر طاقته). وفي أثناء التجارب تأتيه المعونة الإلهية بصورة حسية لتشجيعه، حتى إذا تروّض بها تدريباً يقتني الحكمة، متكللاً على الله ومُزرباً (هازماً وذالاً) أعداءه في أثناء الحروب الروحية. [فالتجارب تنشئ الحكمة]. 161 ويحسّ بإلهه، ويدرك عنايته، فيتوطّد في الإيمان به سرياً (بطريقة سرية). هذه كلّها يُحسّ بها بسبب قوّة التجربة الآتية عليه (والتي انتصرَ عليها بالثبات في الجهاد، بمعونة الله).
أما إذا رأت النعمة الإلهية أنّ الإنسان أخذ يتعظّم بفكره ويتكبر، فإنها تسمح بدخوله في التجارب فوراً، وبشكل أقوى و أشدّ، لكي يعرف ضعفه ويلجأ إلى الله بتواضع، وبذلك يبلغ مرتبة الرّجل الكامل ويرتفع إلى محبة (الله) بالرجاء (أي بالثقة بالله والاتكال عليه) 162.

155 يُدرك الإنسان عناية الله الخفية من خلال الماديات الظاهرة التي أعطاه الله إياها تلبيةً لحاجات جسده.

156 لهذا قال الكتاب: "اعتصم بإلهك ولا تعتمص بذاتك" (مزمور 90 : 9)

157 معرفة تسلسل الأفكار التي يوسوسها إبليس : أي الترتيب المنطقي لتلك الأفكار، من جذورها إلى غايتها النهائية. مثلاً قد يُغري الشَّيرِ الراهب بمغادرة صومعته لخدمة المرضى و معونة الفقراء، فيتشتت وتضعف صلواته ويقع في التجارب. والراهب يكتشف عناية الله به عندما يكشف له الله حيلة إبليس هذه، بتسلسل أفكارها.

158 ليس المقصود هنا التنبؤ بما سيحصل في المستقبل، بل استشراف المستقبلات وإدراك النتائج (الفوائد أو العواقب) على صعيد الحياة الروحية.

159 القلب البسيط: غير المنقسم وغير المجزأ بسبب التشتت وكثرة الانشغالات

160 المقصود هنا الحكمة والتَّمييز ووضوح الرؤية. متى تعلَّم المُجاهد فضيلة التجرد والانتكال على الله، يُرسل له الله التجارب على قدر ما بوسعه أن يحتمل، ويُعلِّمه ويُعيِّنه في أثنائها، لينتصر عليها، فينال الخبرة الروحية ويتعلَّم

7. في أن التجارب هي علامة محبة الله: إنَّ محبة الله عجيبة. فهو لا يُظهر قوته التي تُخلص الإنسان إلاَّ عندما يكون في غمرة التجارب التي تقطع منه الرجاء الأرضي، فيشعر أن لا معونة له. والإنسان لا يقدر إطلاقاً أن يعرف قوة الله وهو في الراحة والرفاهية؛ والله لا يُظهر قوته بصورة حسية إلاَّ في مكان السكينة والقفَر (المملوء بالعبادة والعمل النسكي)، وفي أمكنة خالية من الحديث وضوء الناس.

لا تستغرب أن تُحيط بك الشدائد الصعبة والقوية عند بداية اكتسابك للفضيلة. لأنها لا تُعدُّ فضيلةً تلك التي لا تُمتحن في الصعوبات. إنَّ وجود الصعوبات يجعل الفضيلة فضيلةً. (الفضيلة لا يمكن نوالها و إتمامها من دون جهاد ومشقة وألم). وكلَّ فضيلة تتم بحسب وصية الروح (تطبيقاً للوصايا الإلهية) تُدعى صليباً 163. "فكلَّ من أراد أن يحيا في المسيح يسوع حياة التقوى أصابه الاضطهاد" 164 وقال الرب: " من أراد أن يتبعني فليُنكر نفسه وليحمل صليبه كلَّ يوم ويتبعني " 165. لهذا استدرك الأمر (تراجع عن تهاؤنك قبل فوات الأوان) وتخلَّ عن الراحة وحُذِّ الموت على عاتقك (تقبَّل المشقة)، واجعل الصليب أمامك واندفع للسَّير وراءه 166.

8. في الزهد وقوته التي لا تُفهر: الزهد من أشدَّ الأمور وأقواها. إنه لا يعرف الغلبة لا من اليمين (المسرات) ولا من اليسار

من خلال ذلك الحكمة ويزداد إيمانه بالله و بمعونته.

162 هناك نوع آخر من التجارب يُرسلها الله إذا اعتدَّ المجاهد بنفسه وتكبرَّ، فيُدرك ضعفه وحاجته إلى الله، ويتعلَّم بواسطة التجارب الاتكال على الله. وفي كلا الحالين، فإنَّ انتصار الراهب على التجارب، بسبب المعونة الإلهية، يُقوِّي ثقته ورجاءه بأنَّ الله سوف يُعيِّنه دائماً، وهذا الأمر يزيدُه محبةً لله.

163 تُسمَّى الفضائل صليبياً لأنها تُقتنى بالمشقة والألم والجهاد الكثير.

164 2 تيموطاوس 3 : 12

165 مرقس 8 : 34 - 35

166 اجعل الصليب أمامك : اجعل غايتك اكتساب الفضائل.

(المحزونات). لا يُوجد أكثر جرأةً من الذي يُصمِّم بفكره على قطع آماله من هذه الحياة، فبهذا لا يتجاسر أحدٌ من أعدائه
167 على مقاومته، ولا تستطيعُ شدةً أن تردَّه عن هدفه، لأنَّ الضيق أدنى من الموت بالنسبة لمن عزمَ على قبوله 168.
إذا عقدت العزمَ على العمل والجهاد واحتمال الحزن، تُصبح جريئاً ومُتيقظاً في مقاومة الصعوبات، وتزول منك الأوهام
المجزعة والمُرعبة المتولدة من الأفكار المشوشة النَّاجمة من الراحة، وتبدو لك المشاق التي تعترضك سهلةً، وتُحقق كلَّ ما
تشتهيه في كلِّ زمان ومكان. وسترى أنَّ الأمور التي تظنُّها مؤذية هي مُفيدة لك، و أنَّه لن يُصادفك شيءٌ مُضِرٌّ من بعد.

9. في القوَّة الفائقة للفضيلة: عندما يكون الذهن غيوراً في الفضيلة 169 لن تستطيع الأعمال (الأفكار) الغريبة الصَّعبة
الطارئة (التي ليست من الله)، ولا القوَّة الطبيعيَّة المحدودة (الميول والرغبات والمخاوف) أن تتغلَّب على حواسه الظاهرة
(المستنيرة بالفضيلة).

عندما يحتمد القلب بغيرة الرُّوح، يتوقَّف الجسد عن الحزن في الشدائد وعن الجزع في المخاوف، ويقف الذهن إلى جانب
القلب مُحارباً جميع التجارب ومُقاوماً إياها بصلاية الفولاذ. فلتكن غيرتُنا كغيرة الرُّوح 170 كما يشاء يسوع، ليطرُد عنا
كلَّ إهمالٍ يودِّي بعقولنا إلى التواني. لأنَّ الغيرة تلد الشجاعة وعزة النفس ونشاط الجسد

167 أعداء نفسه : رغبات جسده، وشهوات العالم، وذكرياته الباطلة، وأهواؤه، والشياطين؛ أنظر المقالة 83 ،

168 مَنْ كَانَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلجِهَادِ حَتَّى الْمَوْتِ ، لَنْ يَكْتَرِثَ لِلضِّيْقَاتِ .

169 أَيْ عِنْدَمَا يَكُونُ الذَّهْنُ فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى الْفَضِيلَةِ ، وَفِي جِهَادٍ لِاقْتِنَائِهَا ، وَغَيْرَافً عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا .

170 " إِنْ الرُّوحُ الَّذِي جَعَلَهُ فِينَا يَغَارُ شَوْقًا " (يعقوب 4 : 5 ؛ رومة 8 : 26) .

171 الْغَيْرَةُ تُولِّدُ الرَّغْبَةَ فِي النِّشَاطِ وَالجِهَادِ .

172 أَنْظِرِ التَّحْدِيدَ النَّسْكَيَّ لِعِبَارَةِ " الْخَوْفُ " فِي الْمَقْدَمَةِ ، الْفَقْرَةُ 5 .

173 الْمَكَافَاتُ الرُّوحِيَّةُ الَّتِي يَنْالُهَا الْمَجَاهِدُ كَاعْتِرَافٍ مِنَ اللَّهِ بِأَتْعَابِهِ وَثَمَارِ جِهَادِهِ .

174 إِنْ الْعُزْبُ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ وَالْأَهْوَاءِ يَرْفَعُ عَنِ الْمَجَاهِدِ أَلْمَ الْجِهَادِ وَ يُؤَلِّدُ فِيهِ غَيْرَةً تَجْعَلُهُ يَثْبِتُ فِي الْجِهَادِ فِينَالٍ مِنَ

اللَّهِ أَكَالِيلِ أَيِّ مَكَافَاتٍ جِهَادِهِ .

= المقالة العشرون =

1. فِي قِيَمَةِ التَّوَاضُعِ وَسَمُوهُ: التَّوَاضُعُ وَشَاحُ الْأُلُوهَةِ ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الْمُتَجَسِّدُ تَسْرِبَلَهُ وَكَلَّمْنَا عَنْهُ مِنْ خِلَالِ أَجْسَادِنَا (حِينَ أَخَذَ جَسَدًا مِثْلُنَا) . فَكَلَّ مَنْ تَسْرِبَلَ التَّوَاضُعُ يَتَشَبَّهُ حَقًّا بِذَلِكَ الَّذِي انْحَدَرَ مِنْ عُلوِّهِ وَغَطَّى فَضِيلَةَ عَظَمَتِهِ بِالتَّوَاضُعِ وَ سَتَرَ مَجْدَهُ بِهِ ، كَيْ لَا تَلْتَهَبَ الْخَلِيقَةُ بِمَنْظَرِهِ .

مَنْ يَرْتَدِي وَشَاحَ التَّوَاضُعُ الَّذِي ارْتَدَاهُ الْخَالِقُ ، يَرْتَدِي الْمَسِيحُ . لِأَنَّ الْوَشَاحَ الَّذِي ظَهَرَ بِهِ لِخَلِيقَتِهِ وَتَصَرَّفَ فِيهِ ، أَحَبُّ أَنْ يُلْبَسَهُ لِإِنْسَانِهِ الدَّاخِلِيِّ وَيُظْهِرَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ تَشَبَّهُ بِهِمْ ، فَتَزِينَ بِهِ عِيُوضَ لِبَاسِ الْمَجْدِ .

2. فِي تَعْرِيفِ التَّوَاضُعِ وَصِفَاتِ الشَّخْصِ الْمُتَوَاضِعِ: التَّوَاضُعُ قُوَّةٌ خَفِيَّةٌ يَنَالُهَا الْقَدِيسُونَ الْكَامِلُونَ بَعْدَ تَمَامِ سِيرَتِهِمْ . وَلَا تُعْطَى النِّعْمَةُ هَذِهِ الْقُوَّةَ إِلَّا لِلْكَامِلِينَ فِي الْفَضِيلَةِ ، وَبِمَقْدَارِ مَا تَسْتَوْعِبُ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةَ 175 .

لَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ مَنْ يَتَذَلَّلُ بِتَذَكُّرِ سَقَطَاتِهِ ، وَ يَنْسَحِقُ قَلْبُهُ وَيَتَضَعُ ذَهْنُهُ . لِأَنَّ فِكْرَ الْكِبْرِيَاءِ قَائِمٌ فِيهِ ، وَ إِنْ كَانَ هَذَا الْعَمَلُ (التَّذَلُّلُ وَانْسِحَاقُ الْقَلْبِ) مَمْدُوحًا وَلَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ هُوَ الْإِنْسَانُ الرَّؤُوفُ ، الْهَادِي ، الْفَهِيمُ ، الْوَدِيعُ بِطَبِيعَتِهِ . بَلِ الْمُتَوَاضِعُ هُوَ مَنْ يَمْلِكُ فِي سِرْبَرَتِهِ شَيْئًا جَدِيرًا بِالْعِظْمَةِ وَلَا يُفَاخِرُ بِهِ ، وَيَعْتَبِرُ نَفْسَهُ تُرَابًا .

الْمُتَوَاضِعُ الْكَامِلُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ الْعَقْلِيَّةِ فِي تَوَاضُعِهِ . فَهُوَ اقْتَنَى التَّوَاضُعَ بِصُورَةٍ كَامِلَةٍ ، طَبِيعِيَّةً ، كَمَنْ يَتَقَبَّلُ بِدُونِ جِهْدٍ مُوهَبَةً عَظِيمَةً تَفُوقُ كُلَّ خَلِيقَةٍ وَطَبِيعَةٍ ، وَيَرَى ذَاتَهُ مِثْلَ خَاطِئٍ وَحَقِيرٍ وَمَرْدُولٍ . وَهُوَ يَدْخُلُ إِلَى أَسْرَارِ الطَّبَائِعِ

كلها، لأن كماله في الحكمة والدقة يفوق الخليقة، ومع ذلك يعتبر نفسه جاهلاً، و تكون هذه حالة قلبه 176 من دون أي تكلف.

175 التواضع لا حدود له لأنه من صفات الألوهة (أنظر فيلبي 2 : 6-8)، ولذلك فإن طبيعتنا البشرية المحدودة لا تستوعب إلا قدرًا محدودًا من التواضع.

176 حالة قلبه : التواضع حالة قلبية، وليس مظهرًا أو تصرفًا خارجيًا.

177 في أعمال الفضائل قوة روحية سرية تمكنه من اقتناء درجة عالية من التواضع

178 أعمال 2 : 1 - 4 ؛ 1 : 4 - 5.

3. في كيفية اقتناء التواضع : هل يمكن أن يُغيّر الإنسان طبيعته ويصبح متواضعاً على هذا النحو؟ لا تشك في ذلك ! إن القوة السرية الموجودة في أعمال الفضائل 177 تكمل هذه الأمور فيه (ليصير عنده مميزات التواضع)، وهي القوة عينها التي قبلها الرسل المغبوطون بشكل ناري (في يوم العنصرة)، ومن أجلها أوصاهم المخلص ألا يبرحوا أورشليم حتى ينالوها من العلاء 178. أورشليم هي الفضيلة، والقوة هي التواضع أما القوة من العلاء فهي المعزي، أي الروح القدس 179. وعلى هذا قال الكتاب الإلهي إن الأسرار تُعلن للمتواضعين 180. إن روح الإعلان هذا الذي يكشف الأسرار، لا يؤهل لقبوله إلا المتواضعون. فالتواضع يكمل النفس بالرؤى الإلهية.

4. في كمال التواضع : كمال التواضع أن يتغلب الإنسان على الأرواح المضادة (روح الكبرياء و المباهاة والادعاء والانتفاخ وحب الظهور)، و ألا يدع شيئاً من أعمال الفضائل من دون أن يتمه ويكتسبه، و أن ينتصر على الأعداء (الروحانيين، أي الأهواء والتجارب والشياطين وشهوات العالم) ويذلل حوصونها كلها بشخصه. ثم يحس أن الروح (الإلهي) قد قبل الموهبة (قبل جهادنا وارتضى به، فيشهد معنا) كما يقول الرسول " الروح يشهد مع أرواحنا " 181. طوبى لمن اقتنى التواضع لأنه يغمر حزن يسوع ويقبله في كل لحظة. 182

= المقالة الحادية والعشرون =

1. في معرفة الضعف، و التواضع : " طوبى لمن يعرف ضعفه " 183 ، لأن هذه المعرفة تُصبح أساساً وجذراً وبداية لكل صلاح. 184 فعندما يعلم أحد ضعفه ويحس به

179 أعمال الفضائل تُنشئ في النفس قوّةً سرّيةً هي قوّة التواضع ، التي هي أيضاً قوّة الروح القدس السريّة التي نالها الرسل في العنصرة ، والتي تؤهّل المجاهد لنيل الأسرار الإلهية التي لا تُكشَف إلا للمتواضعين.

180 مزمو 24 : 14 ؛ مزمو 16 : 15 ؛ متى 5 : 8 و 13 : 11 ؛ 1 كورنثس 2 : 11-12 ؛ 2 كورنثس 3 : 18 ؛ عبرانيين 12 : 14 ؛ 1 يوحنا 2 : 3

181 رومة 8 : 16

182 إشارة احتضان يسوع للأطفال وقوله : " إن لم تعودوا كالأطفال (في تواضعهم) لن تدخلوا ملكوت السماء " 0متى 18

183 أيوب 37 : 7

إحساساً حقيقياً ، يَضْبَطُ نَفْسَهُ وَيَشَدُّ ارْتِخَاءَهَا (الذي يُشَوِّشُ المَعْرِفَةَ) وَيَجْعَلُ لِنَفْسِهِ حِصْنًا مَنِيعًا (ضدَّ التَّجَارِبِ وَهَجَمَاتِ الأَهْوَاءِ).

لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُحَسِّبَ بضعفه ما لم يُسَمِّحْ لَهُ بِالتَّجْرِبَةِ ، سِوَاءَ فِي مَا يُولِّمُ الجِسْدَ أَمْ النَّفْسَ . وَ إِذْ يُقَارِنُ مَعُونَةَ اللَّهِ بِضعفه ، يُدْرِكُ عَظَمَةَ (المَعُونَةِ الإلهية) 185. [المَشَقَّةُ تُولِّدُ التَّوَاضُعَ الَّذِي يُعِينُ المَجَاهِدَ فِي الحِفَاطِ عَلَى الفِضِيلَةِ ، وَاللَّهُ يُوَدِّبُنَا لِشِرْكَانَا فِي قَدَاسَتِهِ.] 186

2. فِي أَنَّ الصَّلَاةَ أُمَّ التَّوَاضُعِ ، وَمَلْجَأَ وَعُونَ ، وَتَرْسًا ، وَيَنْبُوعَ خَلَاصٍ : إِذَا أَدْرَكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى المَعُونَةِ الإلهية ، عَلَيْهِ أَنْ يُضَاعَفَ صَلَوَاتُهُ ، وَبِمَقْدَارِ مَا يُضَاعَفُهَا يَزِيدُ قَلْبُهُ تَوَاضُعًا ، لِأَنَّ مَنْ يَطْلُبُ وَيَسْأَلُ يَتَوَاضَعُ رُغْمًا عَنْهُ . وَمَا دَامَ القَلْبُ فَاقِدًا التَّوَاضُعَ ، لَنْ يَكْفَى عَنْ التَّشَتُّتِ ، لِأَنَّ التَّوَاضُعَ يَضْبِطُ القَلْبَ .

عِنْدَمَا يُصِيحُ الإِنْسَانُ مُتَوَاضِعًا تُحِيطُ بِهِ الرَّحْمَةُ حَالًا ، وَيُحَسِّبُ قَلْبُهُ بِالمَعُونَةِ الإلهية ، لِأَنَّهُ يَجِدُ قُوَّةً مَلِيئَةً بِالثِّقَةِ تَتَحَرَّكُ فِيهِ . وَمتى أَحَسَّ بِالمَعُونَةِ الإلهية ، أَي بِحُضُورِ قُوَّةِ تُسَاعِدُهُ ، يَمْتَلئُ قَلْبُهُ بِالإِيمَانِ ، وَيُدْرِكُ أَنَّ الصَّلَاةَ مَلْجَأَ وَعُونَ وَيَنْبُوعَ خَلَاصٍ ، وَكَنْزَ ثِقَةٍ وَ مِينَاءَ مُنْقِذٍ مِنَ العَاصِفَةِ ، وَنُورٌ لِلَّذِينَ فِي الظَّلَامِ وَسِتْرٌ فِي التَّجَارِبِ وَ سَنْدٌ لِلضُّعْفَاءِ وَ مَعُونَةٌ عِنْدَ اشْتِدَادِ المَرَضِ ، وَدَرْعٌ مُنْقِذٌ فِي الحَرْبِ (الجِهَادِ) وَسَهْمٌ مُصَوَّبٌ ضِدَّ الأَعْدَاءِ (الأَهْوَاءِ وَالتَّجَارِبِ وَهَجَمَاتِ الشَّيَاطِينِ وَمُغْرِبَاتِ العَالَمِ). 187

184 المتواضع يعرف ضعفه، بل ويسعى إلى معرفة ضعفاته ويُقرّ بها، فيكون ذلك تأكيداً لتواضعه، و سبيلاً لمداراة ما به من ضعفات وتسليمها للربّ لتقويته، فلا تغلبه، وأيضاً سبيلاً لمحاربة ضعفاته الروحية، كالأهواء والشهوات. أما المتكبر فيستحيل أن يعرف ضعفه ويُقرّ به، لأنه في الظلام، ويبقى قابلاً فيه. المقالة الثالثة عشرة، الفقرة 3.

185 التجربة الجسدية أو النفسية أو الروحية تجعل الشخص يُدرك ضعفه، فيتواضع وعندما يستغيث بالله، فيُنجدّه، يُدرك عظمة معونة الله، فيزيده هذا الأمر تواضعاً. الله أحياناً يُوقع المشقات بالمجاهد ليعلمه التواضع.

186 عبرانيين 12 : 5 - 10

187 عندما يحسّ الإنسان بحاجته لمعونة الله يُضاعف صلواته، وبذلك يتواضع، و تُحيط به رحمة الله، فيقوى إيمانه ويبتهج قلبه بالثقة بالله ويتخلى عن تصلبه السابق، وعن الكلام البطال، ويُدرك أنّ الصلاة ملجأ في جميع الظروف وقاهرة للأعداء، و يَقتنيها مثل كنز.

إنّ كلّ هذه الصّالحات هو الصّلاة. منه يدخُل الإنسان و يتمتّع بنعيم صلاة الإيمان. أما قلبه فيبتهج بالثقة بالله، مُتخلياً عن التصلّب السابق، وعن الكلام السخيف (البطال). فإذا أحسّ بهذه الصّالحات، يَقتني الصّلاة مثل كنز 188، و من شدة الفرح تتحوّل صلواته إلى أصوات شكرية.

3. في أنّ الإحساس بالضعف حافزٌ على الصّلاة: جميع هذه الخبرات تتولد في الإنسان نتيجة إحساسه بالضعف، لأنّه لشدة حنينه إلى معونة الله يُصليّ أمامه بصبرٍ وثبات. و بمقدارٍ ما تصبو نفسه إليه يقترب الله منه، مُعدياً عليه نعمه، 189 ولا يرفعها عنه لكثرة تواضعه 190.

إنّ البارّ الذي لا يعرف ضعفه يَضَعُ أموره على حدّ السيف 191 ولا ينجو من شدة الأسد المُفسيء، أي من شيطان الكبرياء. ومن لا يعرف ضعفه يُعوّزُه التّواضع 192، و من يُعوّزُه التّواضع يُعوّزُه الكمال الذي يُحرّر الإنسان من الخوف. 193 (فالكمال هو عمق التّواضع). 194

4. في أنّ انسحاق القلب و ممّقت الكبرياء سبيل التّواضع: لا يقدر أحد أن يَقتني التّواضع ما لم يَقتنِ مناهجة التي هي انسحاق القلب و ممّقت الكبرياء. لأنّ العدو يُفتش عن أثر علة 195 ليُميل الإنسان نحوه.

188 عندما ينال المجاهد ثمار الصلاة يُدرك قوتها ويُقدَّر قيمتها، فيعتبر الصلاة كنزاً لا يُقدَّر بثمن، و يُثابِر عليها بحرارة و إلهام.

189 إحساس الإنسان بالضعف يجعله يشنق إلى مَعونة الله، فيلجأ إليه بالصلاة، و يكتسب الخبرات والمواهب والفضائل.

190 بهذا يجعل القديس إسحق التَّوَّاضِعُ حارس جميع المواهب والإنعامات والفضائل.

191 يُعَرِّضُ نفسه للخطِّ والسَّقُوطِ.

192 المتواضع يَرْضَى على نفسه الضَّعْفَ والخطِّأ، أما المتكَبِّرُ فيأبى على نفسه الضَّعْفَ والخطِّأ، و لذلك فهو لا يعرف ضعفه. و الأسوأ من ذلك أنه ينسب إلى ذاته فضائل ومواهب ليست فيه.

193 التواضع بداية طريق الجهاد في سبيل الكمال الرهباني، الذي يُحرِّرُ مَنْ بَلَغَهُ من الخوف على الجسد، و الخوف من العوز والخسارة... لهذا فَمَنْ لا يتواضع يُعوزُهُ الكمال ويبقى أسير مخاوفه.

194 أنظر المقالة 81، الفقرات 1 و 4 و 9 و 10؛ أنظر الحاشية 208.

195 يبحث إبليس ولو على قَدْر قليل من الكبرياء في الإنسان، وهذا القليل يكفي ليستميل إبليس الإنسان نحوه.

إنَّ عَمَلَ (جهاد) الإنسان من دون التَّوَّاضِعِ لا يكون كاملاً (ويبقى مُبتدئاً في الحياة الروحية، يُراوح مكانه)، ولا يُوضَعُ خَتَمُ الرُّوحِ على حُرَيْتِهِ (من التَّجَارِبِ و المَخَافِ والأهواء)، بل يظلَّ عبداً (لنِزواته)، و عمله لا يتخطى مرحلة الخوف 196. فلا يُمكن لأحد أن يُصْلِحَ عمله من دون تواضع، ولن يتأدب من دون تجارب، ولن يبلغ إلى التَّوَّاضِعِ من دون تأديب 197.

5. اليقظة ومعرفة الضَّعْفِ الذاتيِّ، و طلب مَعونة الله: على الإنسان، أن يكون أثناء قيامه بعمل الصَّلاح مُتنبِّهاً صاحباً، و أن يحفظ نفسه، و أن يُفكِّرَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ و أَنَّهُ سَهْلُ التَّحَوُّلِ. كلُّ مَخْلُوقٍ يحتاج إلى قُوَّةِ الله العاضدة، و كلُّ مَنْ يحتاج إلى عضدٍ الآخِرِ هو ضَعِيفٌ بالطَّبِيعَةِ.

وَمَنْ يعرف ضعفه يحتاج بالضرورة إلى التَّوَّاضِعِ حتى ينال حاجته من (الله) القادر على العطاء. لو عرفَ الإنسان ضعفه و أدركهُ مُنذُ البداية، لما تهاونَ. ولو لم يتهاونَ لما نامَ و أسلِمَ إلى أيدي مُضايقيه (التجارب و مُغريات العالم وهجمات الشياطين).

6. السَّقُوطُ يجلب اليقظة و النُّهُوضَ من الكبرياء: على مَنْ يسير في طريق الله أن يشكره على كلِّ ما يُصادفُه و أن (يتضع) ويلوم نفسه و يُحَقِّقُهَا، عالماً أنَّ سَقُوطَهُ هو بسبب تهاونه، و أَنَّهُ يحتاج إلى السَّقُوطِ لِيَسْتَيْقِظَ عقله من الكبرياء. فعليه ألا يرتعد و يهْرُبُ من ميدان الجهاد، بل أن يلوم نفسه حتى لا يكون الشرُّ فيه مُزدوجاً (أي الكبرياء والهَرَبُ من الجهاد).

196 أنظر المقالة 19، الفقرتين 1 و 2

197 في هذه الفقرة يجعل القديس إسحق التواضع بداية وأساس الجهاد، الذي تتخلله، بالضرورة، تجارب و تأديبات من الله، تحمل المجاهد على التواضع؛ وتؤدي تأديبات الرب إلى حرية المجاهد من المخاوف والأهواء، حين يبلغ درجة الكمال وينال ختم الروح على عمله الرهباني، أي المواهب المتنوعة وأكاليل القداسة.

= المقالة الثانية والعشرون =

1. في العمل الصالح و الاتكال على الله: ما لم تتقن عملاً ما يدل على إيمانك 198، فلا تمدّ قدميك إلى البطالة وكأَنَّكَ تعمل أعمال الله. ولا تقل إنني أؤمن بالله، وهو يمنحني كل ما أحتاج إليه. و إذا كان ذكرُ الله بعيداً عنك بالكلية، فلا تُلِقْ بنفسك في بئر (التجارب والشهوات) بعباوة، ثم تقول إنني متوكّل على الله، وهو يُنقذني. لا تضلّ أيها الجاهل! إنَّ التَّعب من أجل الله و التَّعَرُّق في عمل الوصايا يسبقان الاتكال على الله (الرجاء). فإذا كنت تؤمن بالله، فحسناً تفعل. لكنّ الإيمان يحتاج إلى أعمال (الجهاد)، و الرجاء لا يظهر جلياً إلا في أثناء إتمام الفضائل و احتمال المشقات. أتؤمن أنّ الله يعتنني بمخلوقاته وأنّه قديرٌ على كلِّ شيء؟ فليكن إيمانك مقروناً بالعمل المناسب، 199 وعندها يُستجاب لك. فلا تُحاول أن تقبض على الهواء بكفك، أي أن تقتني الإيمان من دون أعمال 200.
2. في الرَّاهب الخمول: لا يَقدرُ الرَّاهب الخمول المتكاسل أن يحصل على الرجاء في أعماله (أي أن يتكل على الله لمُعاضدته)، بعكس الرَّاهب الذي يبقى مع الله دائماً في كلِّ شيء و يدنو منه بالأعمال الصالحة، ويرفع قلبه إلى نعمته بلا انقطاع، كما قال داود النبي: "كلت عينايا من الرجاء بالهي" (وانتظار معونته) 201.

198 العمل هنا هو عمل الجهاد، كالأصوام و مُحاربة الرذائل والانقطاع إلى ذكر الله.

199 إذا كنتَ تؤمن أن الله يعنني بك، فلا تتكَل على قوتك الذاتية، ولا تُقل الله يُنجيني، ولا تتكَل على تكديس المال لأجل تأمين حياتك، ولا تجعل رجاءك في المعونة البشريّة. أنظر ما ورد عن التجرد في المقالة التاسعة عشرة، الفقرة 5.

200 يعقوب 2 : 13 – 26

201 يُعطي القديس إسحق رومة 8 : 18 معنى نسكياً. يقول بولس الرسول: " إن آلام الدهر الحاضر لا تُقاس بالمجد الذي سيَتجلى فينا"، ويعطي عبارة "آلام الدهر الحاضر" معنى الجهاد الروحي، الذي مَهما عَظُم فلن يوازي المكافاة المعدّة لنا في الدهر الآتي.

= المقالة الثالثة والعشرون =

1. في الآلام الصائرة من أجل الحقيقة: إن آلام الدهر (الحاضر) الصائرة من أجل الحقيقة (اقتناء الحقائق الإلهية) لا تُقارَن بالنعيم المُعدّ للذين يَشقَوْنَ في طلب الصّالحات. 202 فكما أن أعمار السّرو (السّنابل) تلي الزرع المرويّ بالدموع 203، هكذا الفرح يلي الشقاء الصائر من أجل الله.
الخبز المغموس بالعرق (تعب الجهاد) يبدو لذيذاً للمُزارع، والأعمال التي تتم في سبيل البرّ تلدُّ القلب المحتوي على معرفة المسيح. احتيل الدُّل والتحقير بطيبة خاطر فتحصل على الدّالة لدى الله (وتصير أنت وصلاتك أكثر قبولاً لديه).
من يحتمل كلّ كلامٍ قاسٍ يوجّه إليه من دون أن يكون مُذنباً، يُوضَع على رأسه إكليلٌ من شوك 204، ويكون مغبوطاً لأنه ينالُ إكليلَ عدم الفساد في يوم آتٍ (عند انتقاله إلى السماء).
2. في المُسامحة والإحسان: مُسامحة المُذنبين هي من عمل البرّ. بذلك ترى الهدوء والابتهاج يُحيطان بذهنك من كلّ جهة.
إذا اجتزت طريق البرّ فستلتصق بالحربة في كلّ شيء 205.

إنَّ المُحسِنَ إذا لم يَتَخَطَّ إحسانَهُ حُدودَ عَدَلِهِ فليس بِمُحسِنٍ 206. ولا يَكْفِي أن يُعْطِيَ الناسَ (أَمْوَرًا مَادِيَّةً) من خاصَّتِهِ، بل (عليه) أن يَحْتَمِلَ بفرحِ ظُلمِ الآخِرِينَ له وهو يُحسِنُ إليهم. فعندما يَغْلِبُ البِرُّ بالرَّأْفَةِ (يغلبُ البِرُّ في نَفْسِ المُجاهدِ من خلال مُمارستِهِ الرَّأْفَةَ)، لا يُكَلَّلُ بِإِكْلِيلِ الذين في الشريعة 207، بل بِإِكْلِيلِ الكاملين 208 الذين في الإنجيل.

202 يُعْطِي القديسُ إسحقُ رومة 8 : 18 معنى نَسْكَيًّا. يقول بولس الرسول : "إنَّ آلامَ الدَّهرِ الحاضرِ لا تُقاسُ بالمجدِ الذي سَيَتَجَلَّى فينا"، ويعطي عبارة "آلامِ الدَّهرِ الحاضرِ" معنى الجهادِ الروحيِّ، الذي مَهْمَا عَظُمَ فلن يوازِي المِكَافَاةَ المَعْدَّةَ لنا في الدَّهرِ الآتِي.

203 المُجاهدُ يُشْبِهُ المُزارِعَ الذي يروي زُرُوعَهُ بِدُمُوعِ الجهادِ، لكنَّهُ يَفْرَحُ بِغِلالِهِ في وقتِ الحِصادِ.

204 هو إكليل فضيلة قَبولِ الظُّلمِ، حَبًّا بِالآخِرِينَ، على مِثَالِ المسيحِ الذي كَلَّلَ بالشوكِ ظُلْمًا، حَبًّا بنا.

205 أنظر تعريف الحُرِّيَّةِ في المَقْدَمَةِ، الفقرة 5 ؛ إنها حُرِّيَّةُ "الرُّوحِ الذي يهبُّ حيث يشاء" (يوحنا 2 : 8). أنظر أيضاً الحواشي 133 ، 375 ، 389.

206 مثلاً: تفرض العدالة أن يُعْطِيَ المرءُ أبويه حَقَّهُم. لكنَّهُ إذا اكتفى بإعطائِهِما ما تَفَرَّضُهُ العَدَالَةُ، فليس هو بِمُحسِنٍ.

إنَّ إعطاءَ الفقراءِ وكسوةَ العُراةِ ومحبَّةَ القريبِ كالنَّفْسِ هي أَمْوَرٌ يُعَلِّمُهَا التَّامُوسُ القَدِيمُ. أما ملءُ التَّدْبِيرِ الإنجيليِّ فيأمرنا: "مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئًا فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ ما هو لَكَ فلا تُطالبُهُ" 209. فعلينا أن نَحْتَمِلَ الظُّلمَ بفرحٍ، وأن نُضَحِّيَ بأنفُسنا لأجلِ أخينا.

الرُّؤُوفُ بالحقيقة ليس الذي يُحسِنُ بالعطاءِ الماديِّ فقط، بل من يَحْتَرِقُ قلبَهُ لأجلِ أخيه إذا (بَدَرَ من أخيه) شيءٌ يُحزَنُهُ.

210 الرُّؤُوفُ يَحْتَمِلُ الأذى من دون مُقاومةٍ مخافةً أن يُحزِنَ قلبَ أخيه (الذي سَبَبَ له الحزن).

3. في الدَّهْنِ النَقِيِّ: هل يَقتَني أحدٌ ذَهَنًا نَقِيًّا، وهو مُحَبٌّ للثَرثَرَةِ؟ وهل يَقتَني أحدٌ فِكرًا مُتَواضِعًا وهو يَطْلُبُ مَجْدَ النَّاسِ؟

وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أن يَكُونَ نَقِيًّا الدَّهْنُ وَمُتَواضِعَ القلبِ وهو فَاجِرٌ، و فاسدُ الأَعْضاءِ، ومُكَبَّلٌ بشهوةِ الجسدِ وخطاياهِ 211؟

الدَّهْنُ عندما تَجذِبُهُ الحواسُّ، يأكلُ معها طعامَ الوحوشِ (الأهواءُ و الخطايا). أما إذا جَدَّبَ الدَّهْنُ الحواسَّ (تغلبَ عليها

بالتَّواضُعِ والعِفَّةِ والنَّقَاوةِ) فإنها (الحواسُّ) تَتناولُ جَدَّبَ الدَّهْنِ الحواسَّ (تغلبَ عليها بالتَّواضُعِ والعِفَّةِ والنَّقَاوةِ) فإنها

(الحواسُّ) تَتناولُ معه طعامَ الملائكةِ (أي الإلهاماتِ الإلهيَّةِ) 212

4. في العفة والتواضع: أحبب العفة كي لا تُخذل أمام الله عند الصلاة 213. اقتن الطهارة في أعمالك لكي تسطع نفسك في الصلاة ويلتهب ذهنك فرحاً عند تذكرك الموت 214. احترس من الصغيرات كي لا تسقط في الكبيرات. اعتبر نفسك غريباً كل حياتك، وإنما حللت، فتنجو من الأذى الناجم عن اللذة 215.

207 إكليل الذي في الشريعة: يعني إكليل الذين أتموا العمل بما تفرضه الشريعة من أعمال البر. هؤلاء هم أقل كمالاً من الذين يعملون البر بحسب شريعة المحبة.

208 بالتعبير النسكي و الكتابي معاً، عبارة "الكاملين" لا تعني الذين تحقق لهم الكمال، بل تعني "السائرين في طريق الكمال". أنظر مزمو 118: 1. فقد جعل الرب الكمال غاية حياتنا، بقوله: "كونوا كاملين"، لكننا لا نبلغ الكمال إلا بعد الموت (عبرانيين 12 : 23). أنظر ما يقوله إسحق أيضاً أدناه، "في طريق الكمال"، الفقرة 11 من هذه المقالة.

209 لوقا 6 : 30.

210 الرؤوف لا يفكر بالأذية اللاحقة به، بل يشفق على الذي أخطأ تجاهه ويتألم لخطيئته، ويصلي لأجله لكي يتوب، وهو لا يقاومه لكي لا يسبب له الحزن.

أحبب الثياب الرثة [غير الباذخة] كي تقضي على أفكار الكبرياء الصادرة عن قلبك لأن من يحب الزينة لا يمكنه اقتناء أفكار متواضعة. فالقلب يتأثر بالصور الخارجية (الزينة و المشاهدات) كما يتأثر بالأمر الداخلي 216 .

5. في الحكمة والتعلم: احسب نفسك بحاجة إلى التعلم في كل شيء، فاعتبر حكيماً طيلة حياتك 217. لا تعلم أحداً شيئاً لم تتعلمه لئلا تخزي عندما ينكشف نفاقك (وكبرياؤك) بسلوكك 218. أما إذا كلمت أحداً بشيء مفيد، فكلّمه كتلميذ لا كعالم ذي مرجع وجرأة. ثم استدرك ذاتك للحال بالدينونة (بإدانة ذاتك) مظهرًا أنك أدنى منه، وذلك لكي تظهر للسامعين أسلوب التواضع وتحتهم على سماع أقوالك، فيبدؤون العمل (الجهاد) وتكون مكرماً في عيونهم. 219.

211 الملفت أن القديس إسحق لا يشترط لنقاوة الذهن الطهارة من شهوة الجسد وحسب، بل أيضاً حفظ اللسان (عدم الثرثرة) وعدم التماس المجد العالمي.

212 الذّهن المنجذب إلى الحواس تنهشه الشهوات، كما تنهش الوحوش فريستها، فيعجز عن مقاومتها، ويُقيل عليها بنهم لا شبع فيه، فيقتات من مائدة الشياطين بدلاً من أن يقتات من طعام الملائكة.

213 صلاة الإنسان غير الطاهر غير مقبولة لدى الله، لأنها غير طاهرة بسبب الخيالات و التصوّرات الرديئة التي تُراوده في أثناء صلاته.

214 الطهارة تجعل الإنسان حاراً في صلاته، و يتقوى في الرجاء بالحياة الآتية، فيفرح عند ذكر الموت، بدلاً من أن يخاف. و ذكر الموت، لدى النساك، هو من أقوى الحوافز على التّوبة والجهاد الروحيّ.

215 من يعتبر نفسه غريباً في الأرض لا يلتمس اللذة، بل يطلب خلاص النّفس.

216 إنّ الدافع وراء حبّ الزينة والبذخ في الملبس هو حبّ التّباهي، أي خطيئة الكبرياء. و المظهر المتأنق، أي الصورة الخارجيّة، تزيد الشخص كبرياء. الكبرياء يصدر عن الأفكار الداخليّة، وكذلك عن المظهر الخارجيّ، الذي هو ترجمةٌ للكبرياء الداخليّ.

217 الحكيم هو من يدرك أنه لا يعرف كلّ شيء، وليس خبيراً في جميع الأمور، و أنّ هناك من يعرف أكثر منه في أمور كثيرة، وأنه، بالأخص، لا يملك معرفة كاملة في الأمور الروحيّة، وعندما يتعامل مع الآخرين، يفترض دائماً أنهم أكثر منه

6. نَقِّ نَفْسَكَ: نقّ نفسك أيها الإنسان و أبعاد عنك الاهتمام بالأمور الخارجيّة وأسدل ستار العِفّة والتواضع 220 أمام أفكارك وحركاتك، 221 فتجد (بالعِفّة و التّواضع) الحقيقة في داخلك. لأن الأسرار تُكشَف (للعقّيفين) والمتواضعين. 222

7. في المُطالعة: طالع باستمرار، وبلا ملل، كُتب المُعلّمين التي تتكلّم على العناية الإلهيّة، لأنها تقود الذّهن إلى مُشاهدة نظام مخلوقات الله ومعرفة أعماله بوضوح 223. (المُطالعة الرّوحيّة) تُقوّي الذّهن وتؤهله لاقتناء معانٍ نيرة من معانيها (معاني العناية الإلهيّة) الشفافة.

طالع أيضاً الأناجيل التي وضعها الله لمعرفة المسكونة كلّها، فتتزوّد بقوة عنايته التي تشمل كافة الأجيال، و يغرق ذهنك في عجائبه 224. ولتكن قراءتك للأناجيل في مكانٍ قفر، بعيداً عن كلّ شيء.

علماً وفهماً، وجميع هذه تتطلب تواضعاً. بهذا يربط القديس إسحق الحكمة بالتواضع. فالحكيم هو المتواضع الذي يدرك أنه بحاجة للتعلّم طيلة حياته. وفي التراث الرهباني، يُطالع الرهبان الكتاب المقدّس وكتابات الآباء القديسين طيلة حياتهم. أنظر ما يقوله أدناه عن المُطالعة، الفقرة 7 من هذه المقالة.

218 مَنْ يُعَلِّمُ الْآخَرِينَ أَمْوَرًا لَمْ يَتَعَلَّمْهَا وَلَا يَعْرِفُهَا، يَكُونُ دَافِعُهُ الْكِبْرِيَاءُ وَادِّعَاءُ الْمَعْرِفَةِ، وَهُوَ لَنْ يُفِيدَ الْآخَرِينَ فِي شَيْءٍ، وَقَدْ يُوْذِيهِمْ وَيُوْذِي بِهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَيُفْتَضِحُ جَهْلُهُ وَكِبْرِيَائِهِ وَرِيَاؤُهُ وَنِفَاقُهُ، وَيَخْسِرُ ثِقَةَ الْآخَرِينَ بِهِ، وَيَلُومُونَهُ، وَيَدِينُهُ اللَّهُ لِأَجْلِ كِبْرِيَائِهِ وَكَذِبِهِ وَادِّعَائِهِ. وَهُوَ بِهَذَا يُخَالِفُ وَيُنَاقِضُ إِحْدَى أَهَمِّ غَايَاتِ الْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ، أَيِ إِفَادَةِ الْآخَرِينَ. وَ مِنْ الْوَاضِحِ هُنَا أَنَّ التَّصَرُّفَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ هُنَا يُوْذِي صَاحِبَهُ وَيُوْذِي الْآخَرِينَ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُفِيدَهُمْ رُوحِيًّا. وَهَذَا يَعْنِي بِخَاصَّةٍ أَنَّ إِرْشَادَ وَهُوَ غَيْرَ مُؤَهَّلٍ لَهُ يُوْذِي بِالْآخَرِينَ إِلَى التَّهْلُكَةِ، " لِأَنَّ الْأَعْمَى إِذَا قَادَ الْأَعْمَى، سَقَطَ كِلَاهُمَا فِي الْحُقْرَةِ " (متى 15 : 14).

219 مِنْ عَادَةِ الْمُعَلِّمِينَ الرَّوْحِيِّينَ عِنْدَ نُصَحِهِمْ لِلْآخَرِينَ أَنْ يُعْلِنُوا عَدَمَ أَهْلِيَّتِهِمْ لِتَعْلِيمِ الْآخَرِينَ، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ مُعَلِّمِينَ أَكْثَرَ فَهَمًّا مِنْهُمْ فِي الْأُمُورِ الرَّوْحِيَّةِ، أَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا إِلَى تَطْبِيقِ مَا يَقُولُونَ، وَ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ مُبْتَدئينَ وَجَهْلًا فِي الْحَيَاةِ الرَّوْحِيَّةِ. وَغَايَةُ هَذَا التَّصَرُّفِ أَنْ يُظْهِرَ الْمُتَكَلِّمَ تَوَاضُعَهُ، وَ يَكُونُ مِثَالًا لِلْآخَرِينَ فِي التَّوَاضُعِ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَحْتَجُّ الْآخَرِينَ عَلَى الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالْإِسْتِفَادَةِ مِنْ تَعْلِيمِهِ.

220 يَرْبِطُ الْأَدَبُ النَّسْكَيَّ، تَكَرُّرًا، بَيْنَ الْعِفَّةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا، وَ أَنْ يَقْتَنِي فَضِيلَةَ الْعِفَّةِ. أَنْظِرْ " فِي الْعِفَّةِ وَالتَّوَاضُعِ "، الْفَقْرَةَ 4 أَعْلَاهُ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

تَحَرَّرْ مِنَ الْإِهْتِمَامِ الزَّائِدِ بِالْجَسَدِ، وَمِنْ الْأُمُورِ الَّتِي تُسَبِّبُ الْاضْطِرَابَ، فَتَتَذَوَّقْ نَفْسَكَ اللَّذَّةَ النَّابِعَةَ مِنْ فَهْمِ الْكُتُبِ الرَّوْحِيَّةِ الَّتِي تَفُوقُ حَلَاوَتَهَا كُلَّ حَسٍّ، وَ تَظَلَّ (النَّفْسَ) مَتَمَتِّعَةً بِهَا (بِمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ الرَّوْحِيَّةِ) مَا دَامَتْ مَأْخُودَةً بِقِرَاءَتِهَا 225.

لَا تُسَاوِ أَقْوَالَ (الشُّيُوخِ) ذَوِي الْخِبْرَةِ بِأَقْوَالَ (المُعَلِّمِينَ) الْمُزَيَّفِينَ الَّذِينَ يَرْفُضُونَ الْأَقْوَالَ الْإِلَهِيَّةَ، حَتَّى لَا تَظَلَّ مَآكِنًا فِي الظَّلَامِ إِلَى نِهَايَةِ حَيَاتِكَ، وَ تُحْرَمَ فَائِدَتَهَا (فَائِدَةُ أَقْوَالَ ذَوِي الْخِبْرَةِ) وَتَضْطَرُّبُ فِي أَثْنَاءِ الْحَرْبِ كَمَنْ أَظْلَمَ عَقْلُهُ، فَتَسْقُطُ فِي الْحُقْرَةِ وَ أَنْتَ تَظَنَّ أَنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ خَيْرًا 226.

221 حركاتك: التي قد تكون غير بريئة، و غير طاهرة، ولا تأتي عن نية سليمة، و غايتها المتعة الحسية.

222 إن ضبط الحواس وعدم الاهتمام بالأمر الخارجي، لا سيما المشاهدات وكل ما يتعلق بالحواس، كالنظر واللمس والأكل والملبس، هي ضرورية لاقتناء فضيلة الطهارة. و جزاء الطهارة حيازة الإعلانات و المكاشفات الإلهية. أنظر أيضاً المقالة 20، الفقرتين 3 و 4؛ أنظر الحاشية رقم 105.

223 أي تُشاهد أسرار المخلوقات وكيف خلقها الله و وضع لها نظاماً واعتنى بها. فقد دأب القديسون على التأمل في أسرار خلق الله لمخلوقاته، و عنايته بها، و تدبير خلاص جنس البشر. وهذا يقودهم إلى تمجيد الله، و الثقة و خلاصه، و التأمل في عطياه، والرّجاء بخيراته الآتية.

224 موضوع الأنجيل هو تدبير خلاصنا بالمسيح؛ لكن يقول القديس إسحق إن معرفة الأنجيل تؤدي إلى " معرفة المسكونة كلها". فقد كان همّ النسك المتوحدين هو خلاص نفوسهم و خلاص العالم، ولكن أيضاً معرفة أسرار الله و تدبيره الخفية و مكاشفاته، كما قال الكتاب: " سرّ الربّ لتقّيه، و لهم يعلن عهده" (مزمور 24 : 14) هذه المكاشفات تُعطي ذهن الراهب قوّة لأنه يدرك عظمة عناية الله بالبشر عبر جميع العصور، و يذهل ذهنه تجاه عجائب الخالق.

225 لكي يُحافظ الراهب على ما اقتناه من فضيلة و معرفة من خلال تأمله في الكتب الإلهية و كتابات القديسين، عليه أن يبتعد عن الاهتمام الزائد بالجسد، و بكل ما يُسبب له التشوش و الاضطراب.

226 المزيّفون هم الجسدانيون و الشهوانيون، الذين يعتمدون على المعرفة العقلية و ليس على المعرفة الروحية الناشئة عن الخبرة بالأمر الإلهية. و قوله إن هؤلاء " يرفضون الأقوال الإلهية" يعني أنهم يرفضون مغزاها الروحي و التعامل معها بطريقة

8. في فحص الأمور الروحية: إنّه لأمر قبيح أن يفحص الأمور الروحية أناسٌ جسديون شرهون. إنهم كالفاسقة التي تتحدث عن العفة. الذهن الذي يهتم بالدينيّات لا يمكنه الاقتراب من الإلهيات. النار لا تُوقد بالحطب الأخضر، و الحرارة الإلهية لا تلتهب في القلب الذي يُحبّ الراحة 227. الفاسقة لا تحفظ الوداد لشخص واحد، و النفس المرتبطة بأمر كثيرة لا تثبت في التعاليم الإلهية 228. إن الذي لم ير الشمس لا يمكنه أن يصف نورها، ولا أن يحسّ به لمجرد السماع عنه. هكذا أيضاً (حافظ 9 الذي لم يتذوق في نفسه حلاوة الأعمال الروحية).

9. في علاقة التشوش الخارجي بيقظة القلب: إن الذين انتصروا في الحرب (التجارب الخارجية) تحرروا من الخوف الداخلي (من التجارب) ومن الأشياء التي تُضيق عليهم. وأعني بالحرب هُوض الحواس ضد النفس ، الذي يُسببه (تجارب) شتى إلى النفس فتُظلمها 229.

وينتج من التشوش الخارجي عجز النفس عن (اليقظة) ومراقبة الحرب الخفية المتحركة عليها، 230 وعدم السيطرة (بواسطة الهدوء) على الأفكار التي تُهاجمها من الداخل (الهدوء يُساعد على اليقظة) 231. لكن عندما يوصد الإنسان أبواب المدينة (أي الحواس والسمع واللسان) يستطيع مُحاربة الأعداء المتربصين خارج الأبواب (بشجاعة) ومن دون رهبة.

روحية. وإن تعاليم هؤلاء، و إن كانت بليغةً ومُنمقةً، لا تُفيد الرّاهب في شيء، بل تُضيع وقته وتحرمه الخبرة الروحية الحقيقية التي تأتيه من المعلمين الروحيين الحقيقيين، فيتعطل نموه و يضطرب عقله و يسقط في حروبه الروحية ويبقى في الظلام .

227 الراحة هنا تعني الكسل و الفتور و التقاعس في الجهاد و إهمال الصلاة، و التراخي و اللامبالاة بالأمر الروحية، و حبّ الشهوات و الانغماس في الملذّات و الخطايا.

228 النفس المشتتة لا تثبت فيها الحقائق الإلهية، ليس فقط بسبب النسيان التّاجم من التشتت، بل أيضاً لخسارة النعمة.

229 الانتصار في الحرب الخارجية يعني القدرة على ضبط الحواس. يقول القديس إسحق إن ضبط الحواس يُحرر الراهب من الخوف من التجارب المتأتية من الحواس، ويُعيّنه على مُحاربة التجارب الداخلية التي تُسبب ظلام النفس

10. في جهاد الصلاة: إن لم تُجاهد فلن تجد (نعمةً و معونةً من عند الله)؛

وإذا لم تفرح بحرارة و تسهر عند الباب 232، فلن يُفتح لك . ("فلنُجهد لتتعلّم الإلهيات بالأتعاب والأعراق لا بالكلام. فإننا في وقت خُروجنا من الدنيا لا نحتاج إلى تقديم أقوال بل أفعال". 233 و إن نُقدّم للرب أثمار أتعابنا و جهادنا، فلن يُفتح لنا.)

في طريق الكمال: طريق الكمال أن يموت الإنسان الخارجي عن الخطيئة

والأمور الدنيوية وكل عمل جسدي. و أن يموت الإنسان الداخلي عن الأفكار الرديئة لكي تضعف حركة طبيعته الجسدية، فلا تتحرك في قلبه لذة الخطيئة 234. بهذا تتحرك فيه حلاوة روح الله، و تتنقى أعضاؤه، و تلج إلى نفسه المعاني الإلهية، فيدركها و يشاهدها. إذا لم يبلغ الإنسان (يسلك) طريق الكمال فلن يؤهل لنعمة الله، ولن يجد تعزية لكن عندما يزدري بالأشياء غير اللائقة و يبتعد عنها بالكلية، و يتج نحو الصالحات، يُحس بمعونة الله بعد وقت قصير. و إذا جاهد قليلاً، يجد تعزية في نفسه و يحظى بمغفرة زلاته، و يؤهل للنعمة، و ينال خيرات كثيرة.

230 الحرب خفية لأن هجمات العالم والجسد والشريير خبيثة وتحدث بطريقة خبيثة، ويستحيل على الراهب مواجهتها من دون اليقظة الروحية. و اليقظة بدورها غير ممكنة إذا استسلم الراهب للمشوشات الخارجية.

231 الهدوء هنا يعني قطع دابر التجارب المتأتية من الحواس، وهو يساعد على اليقظة.

232 هنا إشارة إلى السهر أي اليقظة الدائمة، المقرونة بالدعاء القلبي الملبح و التماس معونة الرب ورحمته، هو القائل : " أسألوا تعطوا، أطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم" (متى 7 : 7). فالسؤال و الطلب وقرع الباب تعني الإلحاح في السؤال وقرع الباب تكراراً والباب أيضاً هو الباب الضيق الذي أوصانا ربنا بأن نجاهد للدخول منه، فهو المؤدي إلى الخلاص والحياة الأبدية: " أدخلوا من الباب الضيق... ما أضيّق الباب و أكرّب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة و قليلون يجدونه!" (متى 7 : 13-14). فالقديس إسحق يُعطي معنى نسيكياً لعبارة الرب: " اجتهدوا AUTO-σΤΡΕΨ أن تدخلوا من الباب الضيق" (لوقا 13 : 24) والعبارة اليونانية تعني إجهاد النفس، وهذه العبارة مُستعملة أيضاً في الأدب النسكي لتعطي معنى الجهاد. " والباب الضيق" هو أن يُضيّق الراهب على نفسه، فلا يتراخى في الصلاة ولا يتمادى في الراحة وإضاعة الوقت والثرثرة والأحاديث العالمية، ولا يسترسل في مُتعة الحواس و سواها.

233 القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 26 : 26.

234 الإنسان الخارجي: أي كلّ ما له علاقة بالحواس الخارجية. الإنسان الداخلي: أي الأفكار و الذكريات والمخيلة...

= المقالة الرابعة والعشرون =

1. في التواضع: لا تثق بنفسك (أنت صرت قوياً في مواجهة التجارب) قبل الدخول إلى مدينة التواضع (اقتناء التواضع) ودارها المقدسة. و إن رأيت ذاتك مُستريحاً من إزعاج الأهواء، فلا تطمئن، لأن العدو يخفي لك فخاً. 235 فانتظر بعد الراحة قدوم اضطراب و انزعاج كثيرين. و إذا لم تعبر إلى دور الفضائل (مقتنيا إياها) فلن ترى استراحة في تعبك ولا راحة من الأعداء الكامنين لك 236.
2. في الازدراء بالدنيا: كلما ازدري الإنسان بهذه الدنيا واهتم بمخافة الله، كلما اقتربت منه عنايته و أحس بمعاذتها سرياً، و منح الأفكار النقية، و بمقدار ما يحرم نفسه الخيرات الدنيوية تتبعه رحمة الله و تحتضنه محبة الله للبشر 237.
3. في الحزن: الله قريب من القلب الحزين الصارخ إليه عند الشدة 238. فإذا حرم مرة من الأشياء المادية أو افتقد بإحدى الضيقات، فبقدر ما يعانيتها يتحنن الرب عليه. الله يعاملنا بهذه الطريقة ليُساعدنا، كما يفعل الطبيب إذا رأى أن صحة المريض لا تُستعاد إلا بعملية جراحية 239.

- 235 من دون التواضع يصعب على الراهب تمييز هجمات الأهواء التي تُحاك ضدّه خفيةً، و تُنصب له مثل فخ.
- 236 الراحة من انزعاج الأهواء، من دون اقتناء الفضائل، هي خداع يخفي وراءه فخاخ التجارب و هجمات إبليس.
- 237 يصعب على المتعلق بالعالم أن يهتم بمخافة الله. ازدراء العالم و حرمان النفس من الخيرات الدنيوية يُمكنان الراهب من مخافة الله، فينال عنايته و يعضده الله بطريقة سرية، و يُمنح الأفكار النقية و رحمة الله و محبته.
- 238 الحزين هنا هو الحزين لأجل خطايا و خطايا العالم، و لأجل تقاعسه في تقديس نفسه، كما قال الرسول: " لان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبةً لخلاص بلا ندامة و أما حُزن العالم فينشئ موتاً" (2 كورنثس 7 : 10) و أيضاً: " الله قريب من مُنكسري القلوب و يُخلص مُنسحقي الأرواح" ، أي المنسحقين بالتخشع في حضرته (مزمور 33 : 19).
- هذا " الحزين" يُستجاب له عندما يصرخ إلى إلهه في الشدة. أنظر المعنى النسكي للحزن في المقدمة، الفقرة 5.
- 239 يستعمل الله التجارب القاسية لإصلاحنا، في بعض حالاتنا الصعبة، كما يستعمل الطبيب العمليات الجراحية في الحالات الصعبة أحياناً.

= المقالة الخامسة والعشرون =

1. في الصَّوم والخلوة وثمارهما: أساسُ الصَّالحات كُلِّها استرجاع النَّفس من سَبِي العدوِّ (الشَّرير) 241. و الطَّريق المؤدِّي إلى النُّور والحياة لا تحصل إلاَّ بضبط الذات في مكان واحد 242، و الصَّوم الدائم، أعني وَضْعُ قانون لضبط (المأكل) بحكمة، و البقاء بتَعَقُّل من دون حركة (في السَّكينة)، و التفرُّغ الكامل للتأمل في الله 243.

وعن هذه جميعها تنجم الأمور التالية: إخضاع الحواسِّ، يَقْظَةُ الدَّهْنِ، تدجين الأهواء الشَّرسة المتحرِّكة في الجسد، وداعة الأفكار، استنارة حركات الدَّهْنِ، 244 الاجتهاد في عمَل الفضيلة، التأمُّلات السَّامية الدَّقيقة، الدَّموع المدارة المنسكبة في كلِّ حين، ذكر الموت، العِفَّة الطَّاهرة البعيدة عن أي خيال يؤذي الدَّهْنِ، البصيرة الثَّاقبة في الأمور البعيدة (وُضوح الرؤية و التَّمييز الروحيّ)، إدراك المعاني السَّرية العميقة الكامنة بقوَّة في الأقوال الإلهية، تمييز الحركات الداخليَّة المتولِّدة في النَّفس (هل هي صالحة أم ليست من الله)، 245 التمييز بين الأرواح الشَّريرة والقوَّات الملائكية لأنَّ الأرواح الخبيثة تأتي المُجاهد أحياناً بثياب من نور، و بين الرؤى الحقيقيَّة والخيالات الباطلة. 246.

240 شوق المسيح يجعل الراهب مطمئنّاً وحرّاً من أهواء العالم ورغباته و مخاوفه، وغير مُكترث للضيقات، وواثقاً بعناية الربِّ وراجياً معونته، فيكون على يقين من أنّ الله يعتنى به في كلِّ ما يُصيبه. وهو لا يخشى ما يُصيب الجسد من ألم وموت، ليقينه بمُعاضدة الربِّ له، و يقين رجائه بالحياة الأبدية. لكن عندما تتغلَّب على الراهب المخاوف، فهذا دليلٌ على أنّ أهواء العالم في داخله قد غلبت شوقه إلى المسيح.

241 غاية الجهاد الروحيّ هي اكتساب الفضائل و التغلَّب على الأهواء، والتحرُّر من التَّجارب التي تُقيِّد المُجاهد. وهذا ما يُسميه القديس إسحق "استرجاع النَّفس من سَبِي العدوِّ". فقد سَبَى العدوُّ إبليس أبوينا الأوَّلين عندما أخرجهما من الجنَّة، و كانت أدائه لذلك إضرار قلبيهما بالأهواء المنحرفة وتجريدهما من الفضائل.

242 ضبط الذات في مكان واحد: الكلام موجّه إلى الرهبان المتوحِّدين. بالنسبة إلى غير الرهبان، ضبط الذات في مكان واحد يعني عدم التنقُّل وعدم تشتت الدَّهْنِ في أثناء الصَّلَاة.

243 بهذا يضع القديس إسحق الأسس الأولى للحياة الهدويَّة. ونلاحظ هنا تسلسلاً مهمّاً: ضَبْطُ الذَّاتِ في مكان واحد، ضبط المأكل، ضبط الحركة، وهذه جميعها غايتها التهيئة للعمل الجهاديِّ الأساسيِّ، أي التأمل في الله، و الكلام الإلهيِّ. وقد سبق القديس إسحق فقال: " بداية طريق الحياة تأمل الدَّهْنِ بصورة دائمة في أقوال الله " (المقالة الأولى، الفقرة 2).

ومن الثمار الحذر في أثناء السير في طُرُق وَمَسَالِك (الفضيلة)، والقضاء على الكسل والإهمال، و اكتساب لهيب الغيرة و الشوق و الاندفاع في الجهاد، الذي يدوس كلَّ حَظَر و يتجاوز كلَّ خوف، والحرارة التي تَمَقَّتْ كلَّ شهوة و تُزِيلها من الذَّهن، و تُولِّد نسيان الأمور (الذكريات الباطلة).

إنَّ ضبطَ الذَّات في مكان واحد، وضبطَ المأكَل، و التفرُّغُ للتأمُّل في الله، هي السبيل لبلوغ الحرِّيَّة الحَقَّة (أي حرِّيَّة الروح) و فرح النَّفس والقيامة مع المسيح.

2. في الغذاء و التنعم: مَنْ غَدَى جَسَدُهُ بالتنعم 247 وضعَ نفسَهُ في حرب (ضدَّ نفسه). و إذا عادَ إلى رُشدِه و حاول ضبط نفسه فلن يَسْتَطِيع، لِشِدَّةِ ازدياد حرارة تحرُّكات جسده (التي) أصبحت أمراً ضرورياً فيه (وحاجةً قاهرة)، و جعلت النَّفس أسيرةً لتنفيذ مآربها (أي مآرب تحرُّكات الجسد) 248. إنَّ رفاهيَّةَ الجسد و اعتياده النُّعومة والرَّخاوة، (لاسيما) مُنذ الصِّبا، يجعلُ النَّفسَ قابِلَةً للأهواء بشكل حادٍّ و يضعُها في داخل حظيرة الموت 249.

244 استنارة حركات الذَّهن تعني أنَّ الروح القدس يُنير أفكار الراهب و يُعيِّنه عندما يتأمَّل في الإلهيات.

245 أي أنَّ الراهب يَسْتَطِيع تمييز الأفكار العابرة في ذهنه، و مصدرها، و غايتها، و الحيل التي يستعملها الشَّرير لتشتيت فكر الراهب و تضليله.

246 يذكرُ القديس إسحق موهبة التَّمييز أربع مرَّات في هذا المقطع: البصيرة الثَّاقبة (التَّمييز الروحي)، و تمييز الحركات الدَّاخِلِيَّة المتولِّدة في النَّفس، و التَّمييز بين الأرواح الشَّريرة والقوَّات الملائكية، و التَّمييز بين الرُّؤى الحَقِيقِيَّة و الخيالات الباطلة، لهذا يقول القديس يوحنا السُّلمي: " كما يَسْتَنير الجسد بالعينين الحَسِيَّتَيْن، كذلك تَسْتَضِيء عينا القلب بالتَّمييز السوي". السُّلم إلى الله، 26 (القسم الثاني): 189.

247 الاسترسال في المأكَل و المشرب و البذخ في الملبس، و الراحة و التنعم بمباهج العالم، ينشأ منه التراخي و إهمال الحياة الروحيَّة، فتدخُل التَّجارب لتُهاجم النَّفس.

248 لأنَّ مُتعة الجسد على أنواعها تُسبِّب الإدمان و تعلق النَّفس بالخطيئة.

3. في التَّهَوْنِ فِي الْأُمُورِ الصَّغِيرَةِ: " ما لك وطريق مصر لتشرب مياه شحور" 250. (لماذا تسلك في طريق التَّغْرَبِ عن الربِّ، فتشرب مياه المرارة)؟ اصبر على (التَّجَارِبِ) الصَّغْرَى وانتفع بخبرتها حتى لا يُطَالِبَكَ (يُغْرِيكَ) العدوُّ بِالْأُمُورِ (التَّجَارِبِ) الكُبْرَى. اتَّخِذِ الصَّغِيرَاتِ حَدًّا فَاصِلًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ (الشَّرِّينِ) الْمُضَادِّ 251 لتتمكَّنَ من دَحْرِهِ (فور بداية هُجُومِهِ)، فلا يَغْتَنِمَ الفُرْصَةَ ويحفر لك حُفْرًا كَبِيرَةً.

مَنْ يَتَّهَوَّنُ بِالصَّغِيرَاتِ يُغْلَبُ (فيها)، وَبَغْلَبَتِهِ (في الصَّغِيرَاتِ) يُعْطِي حِجَّةً لِلْعَدُوِّ فِيحَارِبُهُ فِي الكَبِيرَاتِ . هذا هو التَّمْيِيزُ فِي الحَرْبِ. فَالْحُكْمَاءُ لَا يَنْتَظِرُونَ حَتَّى تَتَوَرَّطَ أَنْفُسُهُمْ فِي المَعَارِكِ الكُبْرَى، بَلْ يَتَّخِذُونَ الصَّبْرَ عَلَى (الحُرُوبِ) الصَّغِيرَةِ حِصْنًا لوقايتهم من الحروب الكبيرة (يتداركون التجارب الصغيرة قبل أن تستشري).

4. فِي حِفْظِ الْأَفْكَارِ كحفظ المياه: الْأَفْكَارُ (النَّقِيَّةُ) كالمياه، إِذَا حُصِرَتْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ تُحْفَظُ جَيِّدًا 252؛ وَإِذَا خَرَجَ مِنْهَا القَلِيلُ فَإِنَّهُ يُسَبِّبُ انْهِيَارًا لِلسَّدِّ. وَلِذَا كَانَ العَدُوُّ يَعْرِفُ هَذَا، فَإِنَّهُ يَقِفُ لَنَا بِالمِرْصَادِ، مُنْتَظِرًا مَدَاخِلَ الحِوَاسِ ليرى مِنْ أَيْنَ تُفْتَحُ لَهُ لِيَدْخُلَ (فِي جُرْبِنَا). فَإِذَا رَأَى تَهَاوُنًا يَرْمِينَا بِنِبَالِهِ (المُمِيتَةِ).

تَمِيلُ الطَّبِيعَةُ أحيانًا إِلَى حُبِّ الرَّاحَةِ وَالدَّالَّةِ (رفع الكلفة مع الآخرين) وَالصَّحْكِ وَالتَّشْتُّتِ وَالتَّهَوُّنِ، وَتُصْبِحُ بِذَلِكَ مَصْدَرًا لِلْأَهْوَاءِ وَخِضْمًا مِنَ الاضْطْرَابَاتِ 253 وَأحيانًا يَكُونُ العَدُوُّ هُوَ السَّبَبُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ. أَمَا نَحْنُ فَلنَسْتَبْدِلُ الْأَتْعَابَ الكَبِيرَةَ بِالأَتْعَابِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي نَحْسِبُهَا عَدَمًا 254، لِأَنَّهَا تَقِينَا مِنْ حُرُوبٍ مُضْنِيَّةٍ وَاتْعَابٍ وَجِرَاحَاتٍ كَثِيرَةٍ.

249 حَظِيرَةُ المَوْتِ: تَسَلُّطُ الخَطِيئَةِ. عِبَارَةٌ " حَظِيرَةٌ " رُبَّمَا هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى مِثْلِ الابْنِ الضَّالِّ الَّذِي انْتَهَى فِي حَظِيرَةِ الخَنَازِيرِ، وَقَوْلُ الأبِّ: "ابْنِي هَذَا كَانَ مِيتًا" (لوقا 15 : 11 - 32)، وَالمَقْصُودُ هُنَا المَوْتُ الرُّوحِي لِأَنَّ الابْنَ الضَّالِّ لَمْ يَكُنْ مِيتًا جَسَدِيًّا.

250 إرميا 2 : 18

251 اقطع دابر التجارب فور بداية هجومها، واجعلها حدًّا فاصلاً بينك وبين الشرير؛ أنظر أيضاً المقالة 5 ، الفقرة 6 ، والمقالة 55 ، الفقرة 8.

= المقالة السابعة والعشرون =

1. في أن الرّاحة تُغذّي الأهواء: من يرفض الشّدائد (مَشَقَّات الحياة، و أيضاً مَشَقَّات الجهاد) بإرادته يُرغم نفسه على حُبّ الخطايا. لأنّ الأحران والمخاطر (عندما يتقبّلها الرّاهب) تقضي على هوى محبّة اللذة. أما الرّاحة فتغذّي (هوى محبّة اللذة) وتُثمّية. بمقدار ما ندع راحتنا تتسع (نسترسل في الراحة)، نُفسح في المجال للأهواء (لمهاجمتنا). فالجسد إذا كان مُتضايقاً لا يستطيع أن يتشنتت في الأمور الباطلة. و إذا احتمل الأتعاب و الشّدائد بفرح يُمكنه لجم أفكاره بقوة، لأنّ هذه الأفكار لا تُخمد إلا في الأتعاب وعندما يتذكّر الإنسان خطاياه الأولى و يؤدّب نفسه من أجلها، يعتني الله به و يُريحه. يفرح الله حين يُعاقب الإنسان نفسه (و يقبل الضيقات) لأجل (خطاياه) ومُخالفته طريق الله 255. وهذا دليل التوبة التي تزيد من إكرام الله له. و كلُّ فرح لا ينشأ عن الفضيلة يُثير فوراً حركات الرغائب الشهوانية 256 وليس الطبيعيّة (فالرغائب الطبيعيّة تتوق إلى الله ؛ أنظر المقالة 82، الفقرتين 1 و 2) 257.

252 على الراهب الحفاظ على الأفكار النقيّة التي يقطنها بالجهاد من خلال حفظ حواسه، لأنّ هجمات الحواس تُفسح في المجال للشّرير لأن يخطف الأفكار النقيّة من الدّهن، كما قال الربّ: " يأتي إبليس فينتزع الكلمة من قلوبهم، لئلا يؤمنوا فيخلصوا. " (لوقا 8 : 12)

253 في جميع هذه التصرفات يسلك الراهب بخلاف ما يقتضيه الجهاد الروحيّ ومبدأ صيانة النّفس من التجارب و أسبابها.

254 الأتعاب الصغيرة: الاحتياطات التي تقي الراهب من هجمات التّجارب و الأتعاب الكبيرة : ما ينجم عن محاربة الأهواء من تشوّش و اضطراب.

255 يُعاقب الراهب نفسه بأن يقبل الضيقات و يتجنّب الكسل ويحرم ذاته من بعض الامتيازات، أو بأن يزيد في صلاته وأصوامه، أو بأن يعمل أعمالاً شاقة.

256 يُميّز القديس إسحق بين فرح العالم، والفرح الرهبانيّ (أنظر تعريفه في المقدمة، الفقرة 5).

257 يُعلم آباء القفر أنّ الإنسان يتوق بطبيعته إلى الله ويرغبه، وهذا يُساعده على أن يتقدّس، و أن يُحارب رغباه الشهوانية

2. **خَطَّطْتُ كإنسان**: قيل عن (أحدهم) إنَّ صلاته خلال أربعين سنة كانت عبارةً واحدة: " **خَطَّطْتُ كإنسان** أما أنتَ فاغفر لي كإله". و سَمِعَهُ الآبَاءُ يُرَدِّدُ هذه العبارة بحُزن و بُكاء لا ينقطع. و بَدَلَ الخدمة (الصَّلوات اليوميَّة) كانت هذه صلاته ليلاً و نهاراً. 258

3. **في صيانة النَّفس من الأحاديث الباطلة**: لماذا تفعل ما يضرُّك؟ تَقِفُ الليلَ كلَّه و تُضنِّكُ ذاتكَ بالترتيل و التسابيح و الطَّلبات! أفيصعبُ عليكَ الاحتراس قليلاً خلال النَّهار و الابتعاد عن الأصحاب لِتَوْهَلُ لِنعمةِ الله و تريحَ تَعَبَكَ؟ تتعب و تزرع في الليل، و تُبَدِّدُ في النَّهار. تُبَدِّدُ اليقظة و الصَّحو و الحرارة التي حصلتَ عليها مُضِيعاً تَعَبَكَ باطلاً في أحاديث الناس المُشوَّشة 259. إذا جعلتَ عَمَلَكَ في النَّهار و هذيتكَ (ذكركَ الدائمَ لله) القلبِيَّ الحارَّ استمراراً لِتَأْمَلَكَ الليليِّ، ولم تَضَعْ بينهما أيَّ فاصل، ستلتصق قريباً بصدر يسوع 260

فلْيُعْطِنَا الرَّبُّ النِّعْمَةَ لِتُدْرِكَ لماذا يُقاوم المُجاهدون النَّوم، و يَضَعُطُونَ على طبيعتهم حتى يُوَدِّوا الصَّلوات كلَّ ليلة بتيقظ أجسادهم (والحدَّر من) ذكرياتهم (الباطلة). 261 عندها تُدْرِكُ أهميَّة القوَّة النَّاجمة عن صيانة النَّفس في أثناء النَّهار، و ماهيَّة العَوْن الذي يُعْطِي للذهن خلال سَكينة الليل، و قوَّة السلطنة على الأفكار، و مقدار النَّقاوة (الطَّهارة، و نقاوة الفكر و صفاءه) بحرِّيَّة (بسهُولة)، و يَكْتَسِبُ الكثير من الفضائل دونما تَعَب 262. أحياناً لا يقدر الجسد على الصَّوم. لكن، إذا لم يَتِمَّاد المُجاهد في الأحاديث خلال النَّهار، فإنَّ الدَّهْنَ يستطيع، من خلال السَّهر باليقظة فقط، أن يُعيد للنَّفس حالتها (الأولى التي أهلت للنِّعْمَة) و يَهَبُ القلبَ (من جديد) معرفةً لِإدراك القوَّة الروحية.

258 يقول القديس إسحق إنَّ حياة الراهب هي توبة دائمة، لمدى الحياة. و شعور الراهب الدائم بخطيئته، و نوحه عليها، يقيه الوقوع في التَّجارب.

259 الاختلاط غير الضروريِّ بالناس، و الانخراط في الأحاديث الدنيويَّة، يُهدِّد الراهب بخسارة أتعابه و ثمار جهاده. هذا الكلام موجَّهٌ بخاصَّةٍ إلى المُتوحِّدين.

260 يبحثُ القديس إسحق الراهب أولاً على الانتباه و اليقظة، لكي لا ينسى أنَّ جهاده في النَّهار و في الليل سواء، و أنَّه يجب أن لا يكفَّ عن ذكر الله، فيجني بذلك ثمار تعبه: " **الالتصاق قريباً بصدر يسوع** "، فيصير له دالةً على الرَّبِّ، كما كان ليوحنا الحبيب دالةً على يسوع عندما ألقى برأسه على صدره. (يوحنا 13 : 23 - 26).

261 يَتَحَدَّثُ القديس إسحق عن الذِّكْرِيَّاتِ في المقالة الأولى، الفقرة 9، والمقالة الثالثة والثلاثون، الفقرة 6، والمقالة الثالثة والسبعون، الفقرة 4.

= المقالة الثلاثون =

1. في شُكْرِ اللهِ: حصَّةُ الجاهل 263 (غير القنوع وناكر الجميل) صغيرةٌ في عينيه (فلا يشكرُ عليها). مَنْ يشكرُ الواهب (الله) يحثُّه على عطايا أعظم، ولا عطيةٌ من دون مَزِيدٍ إلَّا التي بلا شُكْرٍ. مَنْ لا يشكرُ على الصَّغِيرَاتِ (من العطايا) فهو في شُكْرِهِ على الكبيراتِ كاذِبٌ وظالمٌ (هو ظالمٌ لأنَّه لا يُقدِّرُ العطيَّةَ حقَّ قدرها) 264.
2. في الكبرياء والإقرار بالخطيئة: مَنْ يمرض ويَعْرِفُ داءَهُ (خطيئته) فليُفْتَشَّ عن الاستشفاء، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِأَلَمِهِ يقتربُ من الشِّفاءِ وَيَبْلُغُهُ بسهولة 265. القلب (المتكبر) القاسي (المعاند، الذي يُنكرُ خطيئته ويرفض الإقرار بها) تَزَادُ أوجاعُهُ، و السَّقِيمُ الذي يُقاومُ الطَّبِيبَ يَزَادُ ألمُهُ 266. فلا خطيئةٌ من دون مغفرةٍ (مهما كانت عَظِيمَةً) إلَّا التي بلا توبة.
3. تَذَكَّرْ: تَذَكَّرَ الَّذِينَ يَتَفَوَّقُونَ عَلَيْكَ في الفضيلة لتَرَى كم أنتض أقلَّ مِنْهُمْ (شأنًا في الروحيَّات). تَذَكَّرَ الشدائدُ التي يُقاسيها أولئكَ أثناءَ الضِّيقِ والشِّقاءِ (في سبيلِ الجهادِ الروحيِّ واقتناءِ الفضائل)، حتى تَوَدِّي الشُّكْرَ اللائقَ لله على ضيقَاتِكَ الزهيدة وتتمكَّنَ من الصَّبْرِ عليها بفرح 267.

262 يُعَدُّ هذا المقطع، والمقطع الذي يليه، بعض ثمار اليقظة الدائمة (اليقظة غير الدائمة ليست يقظةً بالحقيقة): يُدركُ المجاهدُ القوَّةَ الناجمةَ من اليقظة، و ينالُ معونةَ من الله، وسلطاناً على أفكاره، ونعمةَ الطهارة ونقاوة الأفكار، ومعرفةَ الأفكارِ الإلهيةِ واكتسابَ الكثير من الفضائل من دون تَعَبٍ، و إذا تَشَتَّتْ، يستطيعُ أن يستعيدَ حالته الأولى من خلال اليقظة فقط، من دون صوم.

263 المقصود هنا عطية الله للجاهل.

264 على الراهب أن يُمَيِّزَ أصغرَ العطايا التي يُنعمُ الربُّ عليه بها، وَمَنْ لا يَعْلَمُ تمييزَ العطايا الصغيرة، يَسْتَحِيلُ عليه أن يُمَيِّزَ العطايا الكبيرة. ولذلك، فإن هو شَكَرَ الله على "الكبيرات" يكون شُكْرُهُ كاذباً.

265 المرض هو الخطيئة. الراهب مدعو أولاً لأن يُقرَّ بأنه خاطئ، و أن يعرف ماهية خطيئته و سببها ومصدرها وعواقبها وكافة الظروف المنشئة لها والمساعدة على ارتكابها؛ وبعد ذلك عليه أن يبحث عن الشفاء عند مُرشدِهِ الذي يجب أن يُقرَّ أمامه بخطيئته. ومن هنا قوله: "مَنْ يَعْتَرِفُ بِأَلَمِهِ يقتربُ من الشِّفاءِ وَيَبْلُغُهُ بسهولة".

266 القلب المعاند يأبى الخطأ على نفسه لكبريائه، فيُقاوم الطَّبيب و تزدادُ أوجاعه.

تذكرَ في قلبكَ اجتهاداتكَ السابقة، وكيفَ كُنْتَ تَهْتَمُّ حتى بالأمرِ الصَّغيرةِ وافطنَ للجهدِ الذي أظهرتهُ، وكيفَ كُنْتَ تَنْدَفِعُ بغيره. تذكرَ التَّنَهَّداتِ التي أصعدتها من أجلِ الزَّلَّاتِ التي وقعتَ فيها نتيجةَ إهمالكِ، وكيفَ أَتَكَ فُزْتَ عليها وحصلتَ على إكليلِ النَّصرِ 268.

تذكرُ الزَّلَّاتِ القاسيةِ التي سَقَطَ فيها كثيرون من الأقوياء، ثمَّ تابوا و استحَقُّوا سَمَوَ الكرامةِ، تَتَضَعُ بفضائلك (القليلةِ ولا تُفاخر بها) وتكتسب شجاعةً في تَوْبَتِكَ 269. اضْطَهْدِ أَنْتَ نَفْسَكَ (لأجلِ زَلَّاتِكَ واحتملِ المشقَّةَ) فيطردُ عنك العدوُّ (الشرير). أجلب السَّلامَ لِنَفْسِكَ (بالتَّوْبَةِ) تَسْتَقْبِلُكَ السَّمَاءُ والأرضُ بالسَّلامِ 270.

(ذكريات توبة الأقوياء، أي المجاهدين الكبار) تُوقِظُ النَّفْسَ كما من نومٍ عميقٍ، وتوشَّحُها بلهيبِ الغيرةِ وتُنهِّضُها من غَرَقِها (في التهاون)، كما من بين الأموات، وتُعِيدُها إلى حالتها الأولى فتُجددُ نشاطها (في مُقاومةِ) الخطيئة.

262 يُعدُّ هذا المقطع، والمقطع الذي يليه، بعض ثمار اليقظة الدائمة (اليقظة غير الدائمة ليست يقظةً بالحقيقة): يُدركُ المجاهدُ القوَّةَ الناجمةَ من اليقظة، وينال معونةَ من الله، و سلطاناً على أفكاره، و نعمةَ الطهارةِ ونقاوةِ الأفكارِ، ومعرفةَ الأفكارِ الإلهيةِ، واكتسابَ الكثيرِ من الفضائلِ من دونِ تعبٍ، وإذا تشبَّت، يستطيعُ أن يستعيدَ حالتهِ الأولى من خلال اليقظة فقط، من دونِ صوم.

263 المقصود هنا عطية الله للجاهل.

264 على الراهب أن يُمَيِّزَ أصغرَ العطايا التي يُنعمُ الربُّ عليه بها، ومَن لا يتعلَّمُ تمييزَ العطايا الصغيرةِ، يستحيلُ عليه أن يُمَيِّزَ العطايا الكبيرة. ولذلك، فإن هو شكَّرَ اللهَ على "الكبيرات" يكون شكُّه كاذباً.

265 المرض هو الخطيئة الراهب مدعو أولاً لأن يُقرَّ بأنه خاطئ، و أن يعرف ماهيةَ خطيئتهِ و سببها ومصدرها وعواقبها وكافة الظروف المنشئة لها و المساعدة على ارتكابها؛ وبعد ذلك عليه أن يبحث عن الشفاء عند مُرشدِه الذي يجب أن يُقرَّ أمامه بخطيئتهِ ومن هنا قوله: "مَن يَعترفُ بألِه يقترِبُ من الشِّفاءِ وَيَبْلُغُهُ بسهولة".

266 القلب المعاند يأبى الخطأ على نفسه لكبريائه، فيُقاوم الطَّبيب و تزدادُ أوجاعه.

267 إن تذكرَ الراهب للذين يفوقونه قداسةً يحثُّه على أن يُشدِّدَ عزمتهِ في الجهادِ فيقوى على احتمالِ ضيقاته التي لا تُساوي شيئاً إذا ما قيسَت بضيقاتهم.

268 إِنَّ تَذَكُّرَ الرَّاهِبِ لِأَتْعَابِهِ السَّابِقَةِ يَحْتَهُ عَلَى أَنْ يُشَدِّدَ عَزِيمَتَهُ لِيَعُودَ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ فِي الْجِهَادِ.

- اجتهد أن تَدْخُلَ إِلَى مَخْدَعِكَ السِّرِّيِّ (الذي هو قلبك) 271 تَرَ الْمَخْدَعَ السَّمَاوِيِّ، لِأَنَّ هَذَا وَذَلِكَ وَاحِدٌ 272. إِنَّ سَلْمَ الْمَلَكُوتِ كَائِنٌ فِي دَاخِلِكَ وَمُخْبَأً فِي نَفْسِكَ. تَأْمَلْ خَطِيئَتَكَ بَعْمَقٍ، تَجِدْ هُنَاكَ مَرَاقِي تَرْتَقِي بِهَا (نَحْوَ السَّمَاءِ) 273.
4. فِي تَحْمَلِ الضِّيْقَاتِ: مُحِبُّ الْفَضِيلَةِ لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ بِنَشَاطٍ، بَلْ مَنْ يَقْبَلُ السَّيِّئَاتِ وَيَتَحَمَّلُهَا بِفَرْحٍ 274.
5. أَسْتُرِ الْخَاطِئِ وَشَدِّدِ الْحَزِينَ: أَسْتُرِ الْخَاطِئِ لِأَنَّكَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ تَجْعَلُهُ يَتَشَجَّعُ (عَلَى التَّوْبَةِ) 275. أَمَا أَنْتَ فَتَرَى رَحْمَةَ سَيِّدِكَ مَعَكَ (تَعَضُّدَكَ) 276. قُوِّ الضُّعْفَاءَ وَحَزَانِي الْقُلُوبِ بِكَلَامِكَ. وَبِمَقْدَارِ مَا تَسْخَى يَدُكَ تَعَضُّدَكَ يَمِينِ الْحَامِلِ الْكُلِّ. كُنْ شَرِيكًا لِحَزَانِي الْقَلْبِ بِصَلَاتِكَ وَبِقَلْبِكَ الشَّفُوقِ فَيُفْتَحَ أَمَامَ طَلِبَاتِكَ يَنْبُوعُ الرَّحْمَةِ 277
6. لَا تُجْرِبْ نَفْسَكَ: لَا تُجْرِبْ ذِهْنَكَ بِأَفْكَارٍ قَبِيحَةٍ (ضِدَّ) أَشْخَاصٍ يُثِيرُونَكَ 278 وَ أَنْتَ تَعْتَقِدُ (أَنْ الْأَفْكَارَ الْقَبِيحَةَ لَنْ تَقْوَى عَلَيْكَ) 279. فَالْحُكْمَاءُ أَظْلَمَتْ أَفْكَارُهُمْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ.

269 إِنَّ تَذَكُّرَ الرَّاهِبِ لِسُقُوطَاتِ الْأَقْوِيَاءِ يَحْتَهُ عَلَى الْحَذَرِ مِنَ السَّقُوطِ، وَعَلَى شَجَاعَةِ التَّوْبَةِ؛ فَإِذَا كَانَ الْأَقْوِيَاءُ عُرْضَةً لِّلِسُقُوطِ، فَكَمْ عَلَيْهِ بِالْأَحْرَى، فِي ضَعْفِ قُوَّتِهِ، أَنْ يَكُونَ حَذِرًا أَوْعَافًا مُضَاعَفَةً.

270 يَجْلِبُ الرَّاهِبُ السَّلَامَ لِنَفْسِهِ بِالتَّوَاضُعِ وَ التَّوْبَةِ.

271 الدُّخُولُ إِلَى مَخْدَعِ الْقَلْبِ يَعْنِي الصَّلَاةَ الْقَلْبِيَّةَ، وَفَحْصَ الذَّاتِ، وَ النَّدَامَةَ وَالتَّوْبَةَ، وَالنُّوحَ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ.

272 مَخْدَعُ الْقَلْبِ هُوَ أَيْضًا الْمَخْدَعُ السَّمَاوِيُّ بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ " إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ فِي دَاخِلِكُمْ" (لوقا 17 : 21).

273 التَّوْبَةُ تَفْتَحُ لِلتَّائِبِ بَابَ السَّمَاءِ، كَمَا حَصَلَ لِلصَّ التَّائِبِ (لوقا 23 : 43).

274 يَجْعَلُ الْقُدَيْسُ إِسْحَقَ فَضِيلَةَ اقْتِبَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالضِّيْقَاتِ وَالْإِهَانَاتِ أَسْمَى مَرْتَبَةً مِنْ فَضِيلَةِ عَمَلِ الْخَيْرِ، لِأَنَّ فَضِيلَةَ اقْتِبَالِ الشَّدَائِدِ هِيَ دَلِيلُ التَّوَاضُعِ، الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا، وَدَلِيلُ ثِقَةِ بَعْنَايَةِ الرَّبِّ. لِذَلِكَ يَبْقَى عَمَلُ الْخَيْرِ فَضِيلَةً نَاقِصَةً مِنْ دُونَ التَّوَاضُعِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ. عَمَلُ الْخَيْرِ مِنْ دُونَ التَّوَاضُعِ وَاحْتِمَالِ الْإِهَانَةِ لَا يَكْفِي، وَقَدْ يَكُونُ لِعَايَةِ فِي النَّفْسِ. لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الْقُدَيْسَ إِسْحَقَ لَا يُشَجِّعُ عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ (أَنْظُرِ الْفَقْرَةَ التَّالِيَةَ).

275 لَا تُشَهِّرْ بِخَطِيئَةِ الْخَاطِئِ وَلَا تَوَنِّبْهُ عَلَى خَطِيئَتِهِ، لِأَنَّكَ بِذَلِكَ تَدِينُهُ. لَكِنْ إِنْ سَتَرْتَ خَطِيئَتَهُ، فَإِنَّكَ تُشَجِّعُهُ عَلَى التَّوْبَةِ. هَكَذَا فَعَلَ يَسُوعُ مَعَ الْمَرْأَةِ الْخَاطِئَةِ (يوحنا 8 : 1-11).

276 الرَّبُّ يَعْضُدُ مَنْ يَعْضُدُ الْخَاطِئَ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَدِينَهُ وَيُشَهِّرَ بِخَطِيئَتِهِ.

277 من يرحم الآخرين ويُصلي لأجلهم، يرحمه الله.

278 كأفكار الغضب والانتقام وتشويه السمعة، أو الظنّ بالسوء.

7. والتَّنْقِيَةُ شرطٌ للمُشَاهِدَةِ: تُبَادِرُ إِلَيْكَ الإِلَهِيَّاتِ (الإلهامات الإلهية) إذا كان المحلّ نظيفاً 280. فلتكنْ حَدَاقَةً عَيْنِ نَفْسِكَ

نَظِيفَةً، حَتَّى إِذَا تَجَرَّاتَ عَلَى النَّظَرِ إِلَى كُرَةِ الشَّمْسِ، لَا تُحْرَمَ بَصِيصِ (النَّوْرِ) الَّذِي فِيكَ، أَيِ الإِيمَانِ البَسِيطِ وَالاعْتِرَافِ القَلْبِيِّ وَالْأَعْمَالِ الَّتِي عَلَى حَسَبِ قُدْرَتِكَ 281.

بِالْأَتْعَابِ وَالاحْتِرَاسِ (الْيَقِظَةِ) تَتَجَلَّى (تَتَحَقَّقُ) نَقَاوَةُ الْفِكْرِ، فَيَنْبِجُ نَوْرَ الْعَقْلِ (المُسْتَنِيرِ بِنُورِ الْمَسِيحِ) الَّذِي يَهْدِي الذَّهْنَ بِالنَّعْمَةِ إِلَى الْمَكَانِ (الْأَسْمَى، إِلَى الْمَلَكُوتِ)، 282 حَيْثُ لَا سُلْطَةَ لِلْحَوَاسِ (الَّتِي تُعْمِي الرُّؤْيَا)، وَحَيْثُ (السَّمَاوِيُّونَ الَّذِينَ) لَا يُعَلِّمُونَ وَلَا يَتَعَلَّمُونَ 283.

8. فِي الْأَهْوَاءِ وَالانْفِصَالِ عَنِ الْعَالَمِ: إِنَّ كَلِمَةَ "عَالَمٌ" تَحْمَلُ مَعْنَى عَامًّا، يَشْمَلُ أَيْضًا الْأَهْوَاءَ. الْأَهْوَاءُ بِشَكْلِ عَامٍ، تُسَمِّيهِمَا "عَالَمًا"، وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُجَزِّئَهَا وَ نُطَلِّقَ اسْمًا عَلَى كُلِّ مِنْهَا، تُسَمِّيهِمَا "أَهْوَاءً". الْأَهْوَاءُ هِيَ فُرُوعٌ لِاسْتِمْرَارِيَّةِ الْعَالَمِ، وَحَيْثُ تُنْتَهِي الْأَهْوَاءُ يَكْفَى الْعَالَمَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا 284.

وَالْأَهْوَاءُ هِيَ: حُبُّ النَّفْسِ (وَ اشْتِهَاءٌ) وَجَمْعُ (مُقْتَنِيَاتٍ) شَتَّى؛ (وَالشَّرَاهَةِ) وَتَنْعَمُ الْجَسَدِ الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ الدَّعَاةُ (خَطِيئَةُ الْجَسَدِ)؛ (وَ حُبُّ الظُّهُورِ) وَالرَّغْبَةُ فِي الْإِكْرَامِ الَّتِي مِنْهَا يَأْتِي الْحَسَدُ؛ وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ؛ وَ الْانْتِفَاحُ بِعِظْمَةِ السُّلْطَةِ؛ (وَ مَحَبَّةُ) الرِّيَازَةِ وَالْإِفْتِخَارِ، (وَالْتِمَاسِ) الْمَجْدِ البَشْرِيِّ الَّذِي يُسَبِّبُ الْحَقْدَ؛ (وَالجُبْنَ الَّذِي هُوَ) الْخَوْفُ عَلَى الْجَسَدِ (مِنَ الْأَذَى وَالْمَرَضِ) وَالْأَلَمِ وَالْمَوْتِ).

عِنْدَمَا تَكْفَى الْأَهْوَاءُ عَنْ أَنْ تَفْعَلَ فَعْلَهَا، يَمُوتُ الْعَالَمُ 285. أَمَا إِذَا بَقِيَ بَعْضُهَا فَيَتَأَخَّرُ انْتِهَاؤُهُ. أَمَا أَنْتَ فَانظُرْ فِي أَيِّ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ تَعِيشُ، فَتَعْرِفْ أَيَّ شَطْرِ مِنْكَ يَعْيشُ لِلْعَالَمِ، وَأَيَّ شَطْرِ مِنْكَ انْقَطَعَ عَنِ الْعَالَمِ وَمَاتَ فِيكَ. وَتُدْرِكُ إِنْ كُنْتَ قَدْ تَحَرَّرْتَ مِنْهُ أَوْ لَا تَزَالُ مُرْتَبِطًا بِهِ.

الْعَالَمُ هُوَ التَّفَكِيرُ وَالسُّلُوكُ بِحَسَبِ الْجَسَدِ، وَالتَّحَرُّرُ مِنْهُمَا (التَّفَكِيرُ وَالسُّلُوكُ) هُوَ بُرْهَانُ خُرُوجِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَالَمِ وَ دَلِيلُ تَغْرِيهِ عَنِ الْعَالَمِ 286 (وَ عِلَامَةٌ) حُسْنِ سِيرَتِهِ (وَ ارْتِدَادِ عَقْلِهِ) وَتَغْيِيرِ مَعَانِي ذَهْنِهِ (أَيِ تَحَرُّرِ ذَهْنِهِ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَهْوَاءِ).

279 متى بدأ الراهب في قبول الأفكار القبيحة، فهو سوف يسترسل فيها و يخسر نقاوة ذهنه و يُظلم عقله و يسقط في الجهاد.

280 عملاً يقول الرب: " طوبى للأنقياء قلوبهم، فإنهم يُعابنون الله " (متى 5 : 8).

281 النَّظَرُ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ يُوْذِي ضَعِيفَ الْبَصْرِ، وَالنَّظَرَ فِي الْإِلَهِيَّاتِ غَيْرَ مُمَكِّنٍ لَغَيْرِ الدَّهْنِ النَّقِيِّ، الَّذِي وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَلَقَّى أَنْوَارَ (أَفْكَارٍ وَإِلْهَامَاتٍ) الشَّمْسِ الْإِلَهِيَّةِ.

9. فِي حَرَكَاتِ الدَّهْنِ: إِنَّ الْإِهْتِمَامَاتِ الَّتِي تَنْبُتُ فِي ذَهْنِكَ، فَيَنْشَغَلُ بِالتَّفْكِيرِ فِيهَا، تُسَاعِدُكَ عَلَى مَعْرِفَةِ مُسْتَوَى سِيرَتِكَ (وَفَضِيلَتِكَ). 287 مَثَلًا: مَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي تَتَوَقَّعُ طَبِيعَتُكَ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ مِنْ دُونِ تَعَبٍ؟ مَا هِيَ الْأَفْكَارُ الْمُتَكَرِّرَةُ وَالْأَفْكَارُ الْعَابِرَةُ؟ هَلْ بَلَغَ الدَّهْنُ إِلَى التَّفْكِيرِ بِالْمَعَانِي الرَّوْحِيَّةِ الْمَجْرَدَةِ أَمْ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُفَكِّرُ بِطَرِيقَةٍ مَادِيَّةٍ؟ هَلْ إِنَّ هَذِهِ الْأَفْكَارَ الْمَادِيَّةَ مَشْحُونَةً بِالْأَهْوَاءِ؟ 288

الْفَضَائِلُ هِيَ الْأَخْتَامُ (الْعَلَامَاتُ) الَّتِي تَوَكَّدُ صِحَّةَ وَسَلَامَةَ مَا يَتَخَيَّلُهُ الدَّهْنُ مِنْ أَعْمَالٍ عَلَى نَحْوِ لَا إِرَادِيٍّ 289. وَ مِنْ الْفَضَائِلِ يَسْتَمِدُّ الدَّهْنُ، بِلَا مَانِعٍ، حَرَارَتَهُ وَمَقْدَرَتَهُ عَلَى ضَبْطِ أَفْكَارِهِ (وَتَثْبِيثِهَا) فِي الْهَدَفِ الصَّالِحِ، لِيُحَوِّلَهَا إِلَى أَعْمَالٍ نَسْكِئَةٍ (صَالِحَةٍ) لَهُ 290. وَهُوَ يَنْجَحُ فِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَقُمْ بِهَا بِدَافِعِ الْهَوَى الْخَاطِئِ 291.

رَاقِبْ ذَهْنَكَ كَيْ لَا يَبْقَى ضَعِيفًا أَمَامَ الْأَخْتَامِ (الْفَضَائِلِ وَالْمَوَاهِبِ وَ الْإِلْهَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ) الْخَفِيَّةِ. بِهَذَا يَتَضَاعَفُ فِيهِ الْلَهِيْبُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي يَقْطَعُ مِنْهُ الذِّكْرِيَّاتِ (الْبَاطِلَةَ) 292.

10. خَوْفُ الْجَسَدِ وَخَوْفُ النَّفْسِ: إِنَّ خَوْفَ الْجَسَدِ (الْخَوْفَ مِنَ الْمَرَضِ وَالْأَلَمِ وَأَذِيَّةِ الْجَسَدِ، وَالْمَوْتِ) قَوِيٌّ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ أحيانًا مَكْتَوِّفَ الْيَدَيْنِ (وَعَاجِزًا تُجَاهَ الْأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ وَالشَّرِيفَةِ 293. لَكِنْ عِنْدَمَا يَظْهَرُ خَوْفُ النَّفْسِ (الْخَوْفُ مِنَ التَّقَهُّرِ الرَّوْحِيِّ)، يَضْعُفُ خَوْفُ الْجَسَدِ (وَيَتَبَدَّدُ) وَيَذُوبُ بِقُوَّةِ (لَهِيْبِ خَوْفِ النَّفْسِ، الَّذِي قَوَامُهُ الْغَيْرَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّاتِ) كَمَا يَذُوبُ الشَّمْعُ.

282 بِالْجِهَادِ يَقْتَبِلُ الْمُجَاهِدُ النُّعْمَةَ الَّتِي تُهَيِّئُ ذَهْنَهُ لِلانْتِقَالِ مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، حَيْثُ الْمَعْرِفَةُ (بِالْإِلَهِيَّاتِ) نَاقِصَةٌ، إِلَى الْمَلَكُوتِ، حَيْثُ الْمَعْرِفَةُ كَامِلَةٌ.

283 أَي حَيْثُ تَتَجَلَّى لِأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ الْمَعْرِفَةُ الْكَامِلَةُ (أَنْظِرْ 1 كورنثس 13 : 12 ؛ 2 كورنثس 3 : 18).

284 يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوْجَدَ الْعَالَمُ مِنْ دُونِ الْأَهْوَاءِ، فَهِيَ بَاقِيَةٌ مَا دَامَ الْعَالَمُ مَوْجُودًا، وَلَا تَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ الْعَالَمِ. وَلِهَذَا قَالَ آبَاؤُنَا: " لِيَنْقَضِ هَذَا الْعَالَمُ وَلِيَأْتِ الْمَلَكُوتُ " .

285 أَي يَمُوتُ الْعَالَمُ فِيْنَا، أَوْ يَكْفَى الْعَالَمُ عَنِ التَّأْثِيرِ فِيْنَا.

286 تُغْرِبُ الْفِكْرَ عَنِ الْعَالَمِ يَعْنِي التَّحَرُّرَ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمَذْكُورَةِ سَابِقًا، وَ مِنْ أَفْكَارِ الْعَالَمِ.

287 أي مُستوى الفضيلة عندك.

288 يدعو القديس إسحق، هنا، بطريقة غير مُباشرة، إلى الفحص الدائم لحركات الذهن. فهذه مُمارسة دائمة وضرورية للساعين إلى الفضيلة والكمال.

= المقالة الثانية والثلاثون =

1. في الصلاة النقيّة: الصلاة طلبه واهتمام 294 ورغبة في النجاة من تجارب هذا الدهر، ومن عذاب الدهر الآتي، (ورغبة في) اقتناء ميراث الآباء. بالطلبية يستمد الإنسان المعونة من الله.

إذا كان الذهن يستعدّ للقيام بإحدى هذه الحركات (الصلاة والتأمل والعبادة)، والتصقت به فكرة غريبة أو وقع في تشتت، عندئذ لا تُسمى الصلاة نقيّة لأنّ الذهن قدّم على مذبج الربّ "حيوانات غير طاهرة" 295 (القلب هو المذبج العقليّ لله) 296.

الصلاة هي الوقوف أمام باب الملك بغيّة السؤال، وكلّ ما يُطلب في هذا الوقت يسمعه الربّ. في تلك اللحظة يكون الإنسان مُستعداً ومُنضبياً أمام الله، وراغباً في الحصول على الرحمة، ومُنظراً إيّاها أكثر من أيّ وقت.

في الصلاة يجب أن تتجه مشاهدة الذهن إلى الله فقط، وأن تُصوّب كلّ حركاته نحوه، 297 مقدّمة له طلبات قلبية حارة باجتهاد مُستمرّ. فالرّضى الإلهي لا يفيض على النفس إلاّ إذا شُغفت بهذا الأمر الوحيد فقط 298.

289 الفضائل التي تكتشفها في ذاتك بالفحص الدقيق هي مقياس صحّتك الروحيّة.

290 عندما يكتشف الراهب ما وهبه الله من فضائل، يضطرم الذهن بالحرارة و تزداد قدرته على ضبط أفكاره و تحويلها إلى أعمال جهاديّة صالحة.

291 أحياناً تكون الأعمال الجهاديّة بدافع هوى خاطئ، مثل الغرور وحبّ الظهور؛ هنا تبقى هذه الأعمال قليلة الفائدة. وقد روي عن أحد الإخوة أنه اشتهر بأصوامه الكثيرة، لينال ثناء الآخرين. فقال له معلّمه: " إنك تصوّم بأذنيك! "

292 هذه الفقرة هي شرح و توسيع لما ورد في الفقرة السابقة.

293 إذا قوي خوف الجسد، فقد يُعيق الراهب عن القيام بالأعمال الصالحة، فيفضّل بدلاً منها أن يهتم بصحّته وتأمين ضمانه مادية لحياته وجمع المال لآخرته...

294 همّ الراهب إصلاح الدّات، و خَيْر الذين يصلّي لأجلهم، وتقدسيهم، وخير العالم وخلصه.

295 أحبار 22 : 18 - 32

296 الصلاة النقية تخلو من التشتت، وهي دبيحة طاهرة مقبولة عند الله.

297 في أثناء الصلاة يجب أن يتجه الذهن بكليته نحو الله، من دون تشتت أو انقسام، وأن يضطرم القلب بحرارة الإيمان والمحبة نحو الله. بهذا تكون طلبه الراهب مسموعة ومقبولة ومستجابة.

2. في الصلاة ورؤى القديسين: إن الرؤى التي ظهرت للقديسين لم تتم إلا في وقت الصلاة 299. فأى وقت أقدس من هذا وأكثر استئصالاً للحُصول على المواهب، حيث يتضرع الإنسان إلى الله ويتكلم معه، قاهراً ذاته وضابطاً تحركات أفكاره؟ فيمتلئ قلبه بالله ويفهم الأمور غير المدركة بواسطة الروح القدس (الذي يهب لمعونتنا في أثناء الصلاة)، 300 والذي يتحرك في كل إنسان بحسب وضعه الروحي حتى إذا بلغ حالة المشاهدة، تنعدم حركة الصلاة نفسها ويصبح الذهن في انخفاف وذهول، فينسى مُبتغاه الخاص وتُسبح حركاته في نشوة سُكر عميقة، ويخرج من هذا العالم 301، ولا يبقى هناك تمييز بين النفس والجسد، ولا ذكر لأي شيء آخر. 302

3. في صلاة الذهن النقي: قال غريغوريوس الإلهي: " الصلاة هي طهارة الذهن عندما يدرك الذهن (النقي) الأمور (الإلهية) التي تتولد من الصلاة، يختطف الثالث الصلاة، فتتوقف " 303 ويقول أيضاً: " نقاوة الذهن هي تحليق في الأمور العقلية الصافية التي يسطع عليها نور الثالث في أثناء الصلاة". ويوهل الإنسان لهذه النعمة في وقت الصلاة، عندما يخلع الذهن الإنسان القديم و يلبس الجديد، إنسان النعمة، فيرى (الذهن) نقاوته.

298 في التراث الرهباني، عمل الراهب الأول هو الصلاة.

299 يؤكد القديس إسحق في عدة مواضع أن هذه " الرؤى" بحاجة إلى تمييز قبل قبولها.

300 رومة 8 : 26؛ " إذا أقامت النار في قلبنا أذكت صلاتنا. ومتى ذكت صلاتنا وارتفعت إلى السماء، أهدرت نار العنصرة وأحلتها فينا". القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 28 : 45.

301 يقول القديس إسحق أن الروح القدس يفعل في نفس المصلي بحسب مستواه الروحي ودرجة تقواه والحال الروحية التي هو فيها. فالروح يفعل في الجميع، لكن بطرق مختلفة و بدرجات متفاوتة. وبهذا قد يبلغ بعض كبار المجاهدين، بمؤازرة الروح القدس، درجة " المشاهدة"، أي معاينة تجليات الله.

302 الصلاة تملأ قلب المجاهد بالله فينال المواهب ويفهم الأمور غير المدركة بواسطة الروح القدس، ويصبح الذهن في حال انخفاف ونشوة وغيبوبة عن العالم.

303 عندما يختطف الذهن النقي في أثناء الصلاة، تتوقف الصلاة، وتتكشف للمجاهد الإعلانات الإلهية.

304 في سيرة المُجاهد قوّة تجعله يرى حقيقة الله وحقائق الإيمان، فيُثبت في الإيمان.

305 الإيمان القويم لا يكفي لينالَ الإنسانُ انعامات الله، بل يجب، بالضرورة، أن يتمنّع بالأخلاق الحسنّة ونقاوة الدّهن، وأن يحفظَ الوصايا.

= المقالة الثالثة والثلاثون =

1. في الرّجاء والمشاهدة في أثناء الصّلاة: إنّ الثّباتَ على الرّجاء (الثّقة باستجابة الله) أثناء الطّلب في الصّلاة هو واحدٌ من جوانب الإيمان الحسنّة. و الثّبات في الإيمان بالله لا يأتي من الاعتقاد الصّحيح (الإيمان القويم) الذي هو منبع الإيمان وحسب، بل أيضاً (تثبّت) النّفس (في الإيمان) حين تُشاهد حقيقة الله بقوّة سيرتها (الصّالحة) 306
2. في ضرورة الإيمان والسيرة الحسنّة معاً: عندما تجد الإيمان في الكتاب المقدّس ممزوجاً بالسيرة الحسنّة، فلا تقل بعدها إنّ الإيمان القويم هو وحده أساس المشاهدة. الإيمان الذي يُعرفنا على الرّجاء (بالخيرات الأبديّة) لا يُدركه الذين لم يعتمدوا، أو الذين فسدت أذهانهم. فيقيّن الإيمان يُعلن لذوي النّفوس السّامية، الذين يُتممون وصايا الربّ، كلُّ بحسبُ مستواه. 305
3. في مُطالعة الكتاب المقدّس: التأمّل المتواصل في الكتاب المقدّس نورٌ للنفس لأنّه يطبع فيها ذكريات مُفيدة. هذه الذّكريات تُنقيّ النّفس من الأهواء، وتبثّ فيها الشّوق إلى الله والارتقاء نحوه من خلال ممارسة الصّلاة النقيّة (فتشتاق النّفس إلى الصّلاة والتأمّل). هذا التأمّل، بدوره، يفتح أمامنا طريق السّلام فنسير في حُطى القديسين 306.
4. في أقوال الخيرة: لا ترفض الأقوال النّاجمة عن الخيرة (الروحيّة)، وإن كان قائلها غير مُتعلّم. إنّ الكُنوز الكبيرة التي يملكها ملوك هذه الأرض لا ترفض فلساً واحداً ولو من مُتسوّل، والأنهار الكبيرة لا تُصبح كذلك إلّا إذا انصبّت فيها السّواقي الصّغيرة. 307
5. في حفظ الذكريات: ذكر الصّالحات يُجدد فينا الفضيلة، أمّا تذكّر الفجور (خطايا الجسد والمُشاهدات الخليعة) فيُجدد في أذهاننا الشّهوة الرديئة. ذكرياتنا تدلّنا، إما على رداءة تفكيرنا، أو على سُمّ سيرتنا، وتُقويّ فينا الأفكار والحركات (الميوّل والرّغبات) التي من اليمين (الصّالحات) أو من اليسار (السّيئات)، التي يتأمّل ذهننا فيها حُفياً. ليس العمل الباطل فقط هو الذي يؤذي صاحبه، بل التأمّل فيه أيضاً، ثم التذكّر الذي يُكمل الاثنين 308. وليس عمل الفضيلة فقط هو الذي يُساعد القائم به، بل أيضاً الخيال المُرتسم في الدّهن (من جرّاء عمل الفضيلة)، ثمّ تذكّر الفضيلة التي عملناها.

306 أنظر المقالة الأولى، الفقرة 2.

307 يجب عدم الاستهانة بالأفكار الروحية السامية ، كائناً من كان قائلها.

308 هنا ثلاث مستويات : العمل الباطل ، والتأمل فيه ، وتذكره.

6. في تمييز الذكريات : علينا أن ندرك ونُميز تأملات ذكرياتنا لنعرفَ مع أي منها يجب أن نتحاور، و أيّاً منها يجب طرده فور اقترابه من عقولنا. 309 فهناك ذكرياتٌ (تُثيرها فينا) الشياطين، فتوقد الأهواء بالمادة (الردئية) الناجمة من الشهوة أو من الغضب. وهناك ذكريات صادرة من الملائكة الذين يمنحوننا علامة الفرح والمعرفة. وهناك أيضاً ذكرياتٌ تُوقظ الحس (تُحرك فينا يقظة الحواس)، وذكرياتٌ ناجمة عن حس الخطايا السالفة. (فجميع الذكريات) تولد في النفس أفكاراً تُميلها إلى اليمين (الصالحات) أو اليسار (السيئات)، (وبتمييزنا لذكرياتنا) نكتسب خبرةً هذين الأمرين : المشاهدة والعمل 310.

7. في تلاوة المزامير من دون تشتت : هل تُريد أن تنعم بتلاوة المزامير وتحصل على فهم أقوال الروح؟ لا تكثرث للكمية (لعدد المزامير التي تقرأها). وليكن ذهنك متنبهاً للتأمل في الآيات، حتى تستيقظ (تستنير) نفسك بمعانيها العظيمة، مُندهشةً من تدبير الله، فتندفع إلى تمجيده، أو إلى حزن مُفيد لك 311. وإذا وجدتَ فيها (في معاني المزامير) ما هو مناسب للصلاة فاتخذهُ، لأنه عندما تُثبت تلك المعاني في ذهنك، يزول عنك الغم (و التشوش).

فلا سلام للذهن في عمل العبودية (أي الالتزام بقانون مُعين وعدد مُحدد في تلاوة المزامير). إن التشوش (الناجم عن السرعة في القراءة، و كثرة الأفكار)، من شأنه أن يُزيل تذوق الفهم والإدراك ويسلب المزامير معانيها. التشوش (الناجم عن تلاوة المزامير بتسرّع) هو مركبة الشيطان. فهو (التشوش) كالفارس الذي يمتطي الذهن و يُمسك بالمقود ويدخل إلى النفس التّعسة، حاملاً إليها أصناف الأهواء 312.

8. في الضجر و التشتت : يتولد الضجر من تشتت الذهن، والتشتت من التوقف عن عمل (الجهاد) والمطالعة، ومن اللقاءات الباطلة، ومن (كثرة الأكل، و التخمّة).

309 هذا يُسمى في الأدب النسكي "الشجب"، أي الطرد الفوري للأفكار والذكريات غير المرتبة، التي لا تُرضي الله، ولا تتوافق و السيرة الصالحة.

310 عمل التمييز يؤدي إلى الرؤية الصحيحة لمصدر التجربة. وهكذا يكتسب المُجاهد خبرةً عمل التمييز، وخبرة الرؤية.

311 أي تحزن على خطاياك وخطايا العالم، أو حين تُدرك تقصيرك في الجهاد، وهذا الحزن هو مُفيد.

312 التشوُّش مركبة الشَّرير، يَدْخُل من خلالها مُتسلِّلاً، كحصان طروادة، إلى النَّفس التَّعسة، حاملاً إليها جميع أصناف الأهواء. وسبب ذلك أنَّ الذَّهن يَتحوَّل عن الغاية السَّامية، التي هي الصَّلَاة، لِيُفكِّر في أمور غير نافعة، قد تُحرِّك أهواء المُصلي وتُصيبه بالضَّجَر...

9. في مُجادلة أفكار العدوِّ: لا تُجادل الأفكار التي يزرعها العدوُّ فيك، واقطع حديثك معها (تفكيرك بها)، مُتضرِّعاً إلى الله، يَنل ذهْنك حكمةً من النُّعمة (الإلهية) 313. مَنْ يَعرف هذه الحقيقة يُنقِذ نفسه من مشاقِّ كثيرة ويقطع عنه كلَّ تشنُّت 314.

لا نَقدر أن نُجادل (نسترسل في) الأفكار التي تُحاربنا وتُصيبنا سريعاً بالجراح. فالذي يُجابه الشَّياطين بالحجج 315 يُعرِّض ذاته لضرباتٍ بما يفوقُ حكمته وفطنته بكثير 316. وهو، وإن غلبها، فلن يَنجو من تدنُّس ذهنه بقذارتها ورائحتها الكريهة التي ستظلُّ في أنفه (ذهنه و ذاكرته و خياله) زمناً طويلاً. فالأفضل لك أن تَقتنى الخوف [والحدْر] دائماً وتحرَّر من الأفكار التي تُحاربك بها الشَّياطين (يقطع الحوار معها واللَّجوء إلى الصَّلَاة). فلا مُعين لنا في مثل هذه الأحوال سوى الله.

10. في الدُّموع: إنَّ الدُّموع التي تترقرق في أثناء الصلاة 317 هي دليل رحمة الله التي استحقتَّها النَّفس بتوبتها المقبولة، ودليل دُخولها روضة النُّقاوة. تَنسكبُ العَبْرَات عندما يَتجرَّد الذَّهن من الأفكار العابرة والمُشتتة، ويُنزِع منه الرِّجاء بالحياة الدُّنيوية، ويزدري بالعالم، ويتأمل في أمور الدَّهر الآتي. الدُّموع هي ثمرة التأمل السَّليم المُنزّه عن التشنُّت. (وتنجم الدُّموع) من الأفكار الكثيرة المتواصلة الثَّابتة، ومن أقلِّ ذِكر حاصل في الذَّهن يُسبب حُزن القلب (لتقصيره في المحبَّة والجهاد والصَّلَاة). بهذه الأفكار تَفِيضُ الدُّموع وتزدادُ غزارةً.

313 هنا ثلاث مراحل: التجربة، والصَّلَاة، وتنجم عن هذه خبرة مُقاومة التجربة، أي الحكمة. فمن علامات الحكمة الروحية مُقاومة التجربة بشجبتها والقطع الفوريِّ لمجادلتها والحوار معها. ونقيض الحكمة التشنُّت.

314 التشنُّت هو الغفلة التي تفتح للأهواء باب الدخول إلى الذَّهن، وهو نتيجة عدم مُقاومة التجربة بالصَّلَاة.

315 تَسْتحيل مُواجهة أفكار والأهواء بالحجج الفكرية، بل بالصَّلَاة وقطع الحوار مع تلك الأفكار فوراً، أي شجبتها للحال وعدم قبولها.

316 الشيطان هو عقلٌ ساقط وخارق الذِّكاء ولا يمكن مُقارنته بالحجج البشرية وحدها، بل نَحْتَاج إلى التماس مُؤازرة الله بالتضرُّع الحارِّ والصَّلَاة الدَّائمة

317 يختبر كثير من المجاهدين انهمار الدُموع في أثناء التأمل والصلاة . وهذه تُسمى عطية الدُموع . لكن ، كان الآباء في حذر من هذه الظاهرة ، وطلبوا من الرب التَّمييز ، فالدُموع قد تكون أيضاً من الشَّيَاطِين ، لأجل تجربة المُصَلِّي بالكبرياء .

11. في الأفكار المُلْحَة : إذا تَسَرَّبَ إليك فكرٌ سيءٌ وراودَكَ باستمرار ، سواءً أكان يتعلَّق بأمر بعيد عنكَ أم خاص بك ، أن ثمة فحاً يُنصَبُ لك . فتَيْقَظْ و تَرَوِّ فإن كان فكراً صالحاً ، فاعلمَ أن الله يُريد أن يَهَبَكَ (بواسطته) طريقاً للحياة (أي للتقدُّم في الحياة الروحيَّة) ، ولهذا يتحرَّك فيكَ هذا الفكر بخلاف العادة . أما إذا كان فكراً مُظْلِماً ، ولم تقدر أن تُميِّز إذا كان مُساعداً أو مُحتالاً يترأى لك بمظهر صالح ، فتأهَّب له بصلاة طويلة حارَّة ، في سهرات كثيرة . لا تَطْرده ولا تقبله بل صلِّ من أجله بجد وحرارة ، ولا تكلِّ في الابتهاال إلى الله ، فهو يُظهر لك مصدره .

12. في الصِّمْت : أحبب الصِّمْت لأنه يُقرِّبكَ ، أكثر من أي شيء آخر ، من التَّمَر الذي يصعب وَصْفُه باللسان 318 . (في البداية) نُجبرُ أنفسنا على الصِّمْت ، ثم (بعدها) يتولَّد في داخلنا ما يَقودُنَا إلى الصِّمْت . فليُعطِكَ الربُّ أن تشعُر بثمار الصِّمْت لست أعلم مقدار النور الذي سيُشرق [فيكَ] منكَ عندما تبدأ هذه السَّيرة . إن ممارسة الصِّمْت تولِّد مع الرِّمَن لذةً في القلب و تُرغِمُ الجسد على الصَّبْر في السَّكِينَة ، التي منها تتفجَّر الدُموع . والقلب ، في أثناء المشاهدة العجيبة ، يُحسُّ إحساساً خاصاً يُسبِّب له الألم أحياناً ، و أحياناً التَعْجُب . و يصغُر القلب ويصيحُ كقلب طفل ، وعندما يبدأ بالصلاة تنهمر الدُموع .

عظيمٌ من يعتاد على هذه السَّيرة العجيبة (سيرة الصِّمْت) ، ويَقْتَنِيها بصبر . بفضل هذه السَّيرة بلغ كثيرٌ من الآباء حالةً روحيَّة سامية ، وحفظوا أنسهم ، و اكتسبوا غنىً روحيّاً فائقاً . و إذا وُضِعَت أعمال السَّيرة الرهبانية كُلِّها في كَفَّة ، و الصِّمْت في الثانية ، ستجد الثانية (كفَّة الصِّمْت) ترجح على الأولى .

إنَّ إرشادات الآخرين وتوجيهاتهم كثيرة ، لكنَّ سماعها غير ضروريٍّ لمن بلغ حالة الصِّمْت ، لأنَّ دُنُوهُ من الكمال يجعله يفوق كلَّ توجيه وإرشاد . والصِّمْت يُساعد السَّكِينَة أيضاً . فعندما نعيش مع كثيرين لا نستطيع أن نتحاشى اللقاءات .

13. في ضبط الحواسِّ : وجدتُ آباءً كثيرين وعجبيين يهتمون بضبط حواسهم والمحافظة على مناقبية (عفة وكرامة) أجسادهم ، لأنَّ تهذيب الحواسِّ يجلب تهذيب الأفكار . كثيرةٌ هي الأسباب التي تُسيِّر الإنسان كرهياً (بالرُّغم من إرادته) (وتُقَيِّده) وتُخرِجه عن حدود حرِّيَّته . وإذا لم يحفظ حواسه بواسطة عادةٍ يُمارسها باستمرار ، سوف يصعبُ عليه أن يعود إلى ذاته ويجد حالة السَّلام الأولى .

14. في الضجر و التعزية: إذا صادفنا الضجر أحياناً بسبب الوحدة (وقد يحصل ذلك بتدبير من الله)، فلنا تعزية الرجاء (الثقة بحسن تدبير الخالق، ووعود الحياة الأبدية) التي تفوق كلام الإيمان الذي في قلوبنا. وقد أجاد أحد المتوسحين بالله حين قال: " الشوق إلى الله يكفي لتعزية المؤمن، حتى عند هلاك نفسه". 319

15. في اقتناء الرحمة: لتكن كفة الرأفة راجحةً فيك، حتى تحس في داخلك بمدى الرحمة التي يحتاجها العالم: " من رحمة الرب امتلأت الأرض" 320 ولتكن لك الرحمة مرآة تُشاهد من خلالها، في داخل نفسك، الصورة والمثال الحقيقيين لطبيعة الله وجوهره. 321

القلب القاسي والخالى من الرحمة لا يمكن أن يتنقى. أما الإنسان الرحيم فهو طيب نفسه لأنه يطرد من داخله ظلمة الأهواء (فتخرج منه مسرعة) مثل ربح عاصف. [" كن رحوماً جداً إذا كنت مهتماً باستجابة صلاتك. لأنه بالرحمة ينال الرهبان المائة ضعف في هذا الدهر، والحياة الأبدية في الدهر الآتي. 322"] هذا هو الواجب الصالح نحو الله، حسب كلمة الحياة الإنجيلية: " كونوا رُحماً" 323

16. في عيش السكينة: من يحب الحديث مع المسيح يود أن يصبح متوحداً. أما من يحب البقاء مع كثيرين فهو صديق العالم.

إذا أحببت التوبة أحبب السكينة. فلا توبة من دون السكينة. و إذا أحببت السكينة، أحبب الإدانات و المظالم (الموجهة إليك)، والتي تلتصق بها (أي بفضيلة حب السكينة) 324. و تقبل بلذة عناء الجسد مهما صغر، لأنك من دون هذا، لا تستطيع العيش في السكينة بحرية، وتبقى ثابتاً فيها إلى النهاية. الاشتياق إلى السكينة هو انتظار متواصل للموت. 325

318 الثمر الفائق الحلاوة الذي يصعب وصفه باللسان: هنا تشابه: " الصمت " ينشئ المسيح ويتذوق المسيح: " كالتفاحة في أشجار الغابة كذلك حبيبي بين البنين. في ظلّ اشتهيت الجلوس وثمره حلو في حلقى. " (نشيد 2 : 3)؛ أنظر تعريف الصمت الرهباني في المقدمة، الفقرة 5.

319 أي وقوعه في الخطيئة، فليس المقصود هنا الهلاك الأبدي.

320 مزمو 32 : 5

321 الصورة والمثال: يعود القديس إسحق إلى قول الله: " لتصنع الإنسان على صورتنا كمثلنا" (تكوين 1 : 26 - 27) ليقول إن صورة الله و مثاله وجوهره إنما هي الرحمة.

322 القديس يوحنا السلمى، السلم إلى الله، 28 : 44

324 هناك معنيان لهذا القول: فقد يتعرضُ مُحِبُّ السَّكِينَةِ لتجريح الآخرين وإدانتهم ومظالمهم، فيحتمل الإساءة؛
وَمُحِبُّ السَّكِينَةِ يُصْبِحُ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَى احْتِمَالِ الإِساءَةِ

وَمَنْ يَدْخُلُ إِلَى السَّكِينَةِ مِنْ دُونِ هَذَا التَّأَمُّلِ (فِي المَوْتِ) لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ تَحْمُلُهَا وَلَا مَفْرًا مِنْهَا.
[فَلنَذْكُرُ أَنْ عَمَرْنَا قَاصِرٍ وَرَغْدَةً تَعَبٌ وَوَجَعٌ، وَ مَوْتُنَا قَرِيبٌ، فَتَنَالُ حِكْمَةَ الزُّهْدِ بِالعَالَمِ وَ مِلْدَاتِهِ 326 وَنَحْتَمِلُ المَشَقَّاتِ وَنَثْبُتُ فِي حَيَاةِ السَّكِينَةِ] (لِذَلِكَ) ، فَلنُحِبُّ السَّكِينَةَ حَتَّى يَمُوتَ العَالَمُ فِي قُلُوبِنَا، وَ لِنَتَذَكَّرَ المَوْتَ دَائِمًا. بِالتَّأَمُّلِ الدَّائِمِ بِالمَوْتِ نَتَقَرَّبُ مِنَ اللّهِ فِي قُلُوبِنَا، وَ نَزْدَرِي أَباطِيلَ العَالَمِ وَتَمَقَّتْ عِيُونُنَا لِذَاتِهِ.

17. اعرف خطاياك: مَنْ يَعْرِفُ خَطَايَاهُ (وَيَتُوبُ عَنْهَا) أَعْظَمُ مِمَّنْ يُقِيمُ المَوْتَ 327.

325 الصَّمتُ خُرُوجٌ مِنَ العَالَمِ وَمَوْتُ عَنْهُ ، فَلَا يَبْقَى لِلْمُتَوَحِّدِ سِوَى اانتظارِ المَوْتِ لِأَجْلِ لِقَاءِ الرَّبِّ. بِهَذَا المَعْنَى ، الصَّمتُ هُوَ اانتظارُ للموتِ.

326 مزمور 89 : 10-12

327 إنَّ أعظمَ مُعجزةٍ يَعْمَلُهَا الإنسانُ، و بخاصة، الرَّاهِبُ، هي أن يَعْرِفَ خطاياهُ ويتوبَ عنها. الحياةُ الرهبانيَّةُ تُعْطِي

أهميَّةً كبيرةً لمعرفة المرءِ لذاته، ومعرفة خطاياهِ، لأنَّ مَنْ لا يَعْرِفُ خطاياهِ، أو لا يُقَرُّ بوجودها، لا يمكنه أن يتوبَ عنها، وهو لذلك مائتٌ، وعليه أن يُقيم ذاته أولاً من خلال التوبة. فحياة الإنسان يجب أن تكون توبةً دائمةً. أما إقامة

= المقالة الخامسة والثلاثون =

1. في تَنْقِيَةِ الدَّهْنِ وَتَسَامِيِ الأَفْكَارِ وَالمُشَاهِدَةِ : يَزْدَادُ الدَّهْنُ شَفَافِيَّةً وَ اسْتِنَارَةً في أَثناءِ الصَّلَاةِ، بِمقدار ما يَتَرَفَّعُ عَنِ الإِهْتِمَامِ

بِالجسدِ والأشياءِ المَنْظُورَةِ، وَيَهْتَمُّ بِرَجَاءِ المُسْتَقْبَلَاتِ (الثقة بالحُصُولِ على الخيارات الأبدية بعد الانتقال إلى السماء).

بِمقدار ما يَتَحَرَّرُ مِنْ عَقَلَاتِ (قيود) الإِهْتِمَامَاتِ يَزْدَادُ لِمَعَانًا، وَبِمقدار ما يَسْتَضِي (يَسْتَنِيرُ) يَزْدَادُ رِقَّةً وَتَسَامِيًا على أَفْكَارِ هَذَا الدَّهْرِ 328.

عندئذٍ يُدْرِكُ الدَّهْنُ أَنَّهُ يُشَاهِدُ اللهَ بِمَقَاوِمِ لائِقَةٍ بِهِ، لا كَمَا نَرَاهُ نَحْنُ. فَالإنسانُ ما لم يُصْبِحْ نَقِيًّا، لا تَتَكشَّفُ لَهُ الخَفِيَّاتُ.

وما لم يَتَحَرَّرْ مِنْ كُلِّ ما هُوَ مَنْظُورٌ فِي الخَلِيقَةِ، لا يَتَخَلَّصُ مِنْ ذِكْرِيَاتِهِ (الباطلة) وَيَسْتَرِيحُ مِنْ أَفْكَارِهِ المُظْلَمَةِ. فَحَيْثُ

الإِدْهَامُ وَالتَّعْقِيدُ (التشْتُّتُ وَالبَلْبَلَةُ) فِي الأَفْكَارِ هُنَاكَ الأَهْوَاءُ. وما لم يَتَحَرَّرِ الإنسانُ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ 329 وَمِنْ أَسْبَابِهَا،

لا يَسْتَطِيعُ ذَهْنُهُ أَنْ يَرَى الخَفِيَّاتِ.

2. فِي الصَّلَاةِ وَالتَّخَلِّيِ: اصْرَفْ هَمَّكَ عَنِ (المُوجُودَاتِ) فَيَجْذِبُكَ الشَّوْقُ إِلَى الحَدِيثِ مَعَ الله. لَكِنَّ الصَّلَاةَ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْوِيضِ

طَوِيلٍ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ الدَّهْنُ حَكِيمًا. 330 بَعْدَ اكْتِسَابِ فَضِيلَةِ عَدَمِ القَنِيَّةِ (التَّحَرُّرِ مِنْ حُبِّ المَقْتَنِيَّاتِ) تَتَحَرَّرُ ذِكْرِيَاتُنَا مِنْ

الرِبَطَاتِ (الماضية) 331 وَتُصْبِحُ الصَّلَاةُ (النَّقِيَّةُ مُمَكَّنَةٌ 332 لَكِنَّهَا تَبْقَى) بِحَاجَةٍ إِلَى مُثَابَرَةٍ. الدَّهْنُ لا (يَتَمَرَّنُ) على طَرْدِ

الموتى، حتى لو كانت بمُتناول المرء، فلا تُفِيدُهُ مِنْ دُونَ التَّوْبَةِ، بِحَسَبِ قَوْلِ المرءِ، فلا تُفِيدُهُ مِنْ دُونَ التَّوْبَةِ، بِحَسَبِ

قَوْلِ الرَّبِّ لِلَّذِينَ زَعَمُوا التَّنْبُؤَ وإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ بِاسْمِهِ: " لا أَعْرِفُكُمْ، اذْهَبُوا عَنِّي يا فاعلي الإِثْمِ"

(متى 7 : 22-23).

328 بِقَدَرِ ما يَتَرَفَّعُ الدَّهْنُ عَنِ التَّشْتُّتِ وَالإِهْتِمَامِ بِالجسدِ وَبِالأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِي أَثناءِ الصَّلَاةِ، يَتَسَامَى وَيَسْتَنِيرُ وَيَزْدَادُ

شَفَافِيَّةً. وَهَذِهِ بِدَوْرِهَا تَزِيدُ الدَّهْنَ رِقَّةً وَتَسَامِيًا عَنِ المادِيَّاتِ، فِي دائِرَةِ تَرْتَفَعُ بِالرَّاهِبِ فِي مَرَاتِبِ الاسْتِنَارَةِ. وَهَذَا كُلُّهُ

يَحْدُثُ فِي أَثناءِ الصَّلَاةِ.

329 المحسوسات (المنظورات) والذكريات وظلمة الأفكار، والأهواء.

330 حكمة الذهن أن يُفضّل الإلهيات على الأرضيات، و أن يَضبط أفكاره للتأمل في الله.

331 الذكريات تشدّ المجاهد إلى الماضي، فتعيقه عن الصلاة؛ والتحرّر من حُبّ الماديات يُساعد في تنقية القلب وبالتالي التحرّر من الذكريات.

الأفكار (غير اللائقة) إلا بممارسة الصلّة زمنًا طويلاً، فيكتسب خبرةً واسعة لا يُمكنه الحصول عليها إلا بهذه الطريقة. 333

كلّ حديث يصير في الخفاء (مع الكائنات العلوية)، 334 وكلّ اهتمام إلهي يقوم به الذهن الصالح، وكلّ تأمل روحيّ، كلّها غايتها الصلاة. (وكلّ تأمل روحيّ واهتمام إلهي يحدث في الخفاء)، يأتي نتيجة الصلّة الصادقة التي تتولّد منها محبة الله. محبة (الله) تتولّد من الصلّة كما تتولّد الصلّة من الانعزال. ويسبق الانعزال الزهد بالعالم 335.

إن لم يعيش الإنسان حياة الانعزال لا يُمكنه المثابرة على الصلّة، و إذا لم يظلّ مُثابراً على الهديز بالله (ذكر الله الدائم) ومُتابعاً التأملات المرتبطة بالصلّة، فلن يشعر بمحبة (الله).

= المقالة السادسة والثلاثون =

1. في الرّاحة والرّفاهية: لقد حفّظ الله زمن الرّاحة للدّهر الآتي. والذين سكّن الربّ فيهم لا يشتهون الرّاحة والتخلّص من الشّدائد في الدّهر الحاضر، وإن كانوا يُعرّون في جهاداتهم الروحيّة من حين لآخر. 336.

332 "مَنْ قَهَرَ حُبَّ الْمَالِ (حُبَّ الْمُقْتَنِيَّاتِ) قَطَعَ عَنْهُ الْهُمُومَ. وَمَنْ اسْتَعْبَدَ لَهُ فَلَنْ يُصَلِّيَ يَوْمًا صَلَاةً نَقِيَّةً" القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 16 : 7، و أيضاً : الزاهد بالمقتنيات نقي الصلاة، والمتعلّق بها يُصلي إلى صور ماديّة. " أيضاً: " حُبُّ الْمَالِ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ " (1 تيموطاوس 6 : 10)؛ وفضيلة الزهد بالمقتنيات تتأتى من خبرة حلاوة الله والاهتمام بالحساب الأخير " 17 : 5 و 14 و 15.

333 ذكريات الماضي غير اللائقة، وحبّ المقتنيات، هي رباطات تشدّ الراهب نحو العالم وتمنعه من ممارسة الصلّة النقيّة والدائمة، التي لا يمكن اقتناؤها إلا بترويض طويل الأمد.

334 الحديث مع الكائنات العلوية يتمّ عادةً من خلال الصلّة، وفي أثنائها. وفي حالات نادرة جداً، وفي الخفاء، من خلال الإلهامات والمشاهدة، وسواها من الخبرات الفائقة الطبيعة.

335 الزهد بالعالم يولد الانعزال والصلاة الصادقة، و محبة الله (أي يشعر الراهب بمحبة الله له، وتزداد محبته لله أيضاً).

336 الراحة تعني هنا الراحة من الحروب الروحية.

روح الله لا يُقيم (داخل) العائشين في الرفاهية. قَالَ أَحَدُ مُحِبِّي اللَّهِ: "أَقَسَمْتُ أَنْ أَمُوتَ كُلَّ يَوْمٍ [عن العالم بالجهاد والضيقات]. هذا ما يُميز أبناء الله. هُمْ يَعِيشُونَ فِي الضِّيقَاتِ بَيْنَمَا الْعَالَمُ يَتَنَعَّمُ وَيَرَعُدُ بِالرَّاحَةِ.

= المقالة السابعة و الثلاثون =

1. في العمل و التواضع: إذا صَنَعْتَ فَضِيلَةً ولم تُحَسَّ مُعَاذَتَهَا (مُعَاذَةُ اللَّهِ لَكَ مِنْ جَرَائِهَا) فلا تَتَعَجَّبْ، لَأنَّ الْإِنْسَانَ لا يَنَالُ أَجْرَ عَمَلِهِ ما لم يَتَوَاضِعْ. مَنْ لا يُعْطِي التَّوَاضُعَ حَقَّهُ يَخْسِرُ عَمَلَ (الفضيلة) أيضاً، وَمَنْ سَبَقَ فَنالَ مُكَافَأَةَ الصَّالِحَاتِ (أي التواضع) يَفُوقُ الَّذِي يَعْمَلُ الْفَضِيلَةَ. فَلِلْمُتَوَاضِعِ تُعْطَى النُّعْمَةُ. 337

المُكَافَأَةُ (الإلهية) لا تُعْطَى (لِلرَّاهِبِ) لِأَجْلِ الْفَضِيلَةِ، وَلا لِلأَلْمِ النَّاجِمِ عَنْهَا، بَلْ لِلتَّوَاضُعِ الْكَامِنِ فِيهَا. وَإِذَا فُقِدَ التَّوَاضُعُ فَالأَلْمُ وَالْفَضِيلَةُ يُصْبِحَانِ باطِلَيْنِ. عَمَلُ الْفَضِيلَةِ هُوَ حِفْظُ وَصَايَا الرَّبِّ. وَ الْإِزْدِيادُ (التَّوَضُّعُ) فِي عَمَلِ الْوَصَايَا (أَي حِفْظِهَا) هُوَ نَتَاجُ الذَّهْنِ الصَّالِحِ الَّذِي قِوَامُهُ التَّوَاضُعُ وَالاحْتِرَاسُ. 338

2. في الموهبة و التواضع: العاهات (المشقات) الجسدية للذين حفظوا ذواتهم، هي صيانة للبر (تُعِينُهُمْ فِي حِفْظِ بَرِّهِمْ لِأَنَّهَا تَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّوَاضُعِ). أَمَّا الْمَوْهَبَةُ (الرُّوحِيَّةُ) مِنْ دُونَ تَجَارِبِ (مَشَقَّاتِ تَسْتَجْلِبُ التَّوَاضُعَ) فَهِيَ هَالِكٌ لِلَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا (لِأَنَّهَا تَخْلُو مِنَ التَّوَاضُعِ، وَ قَدْ تَحْمَلُ عَلَى الْكِبْرِيَاءِ) 339.

337 بهذا يجعل القديس إسحق التواضع فوق جميع الفضائل، وَمَنْ لا يَتَوَاضِعُ لا يَنَالُ أَجْرَ أَعْمَالِهِ، وَلِلْمُتَوَاضِعِ تُعْطَى النُّعْمَةُ.

338 يجعل القديس إسحق التواضع رأس الفضائل وشرطها الضروري. التواضع جَوهْرُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَمُلازِمٌ لَهَا. الْفَضِيلَةُ وَحْدَهَا لا تَكْفِي، وَلا جِزَاءٌ لَهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. بِالْأَكْثَرِ، مِنْ دُونَ التَّوَاضُعِ، يَخْسِرُ الرَّاهِبُ الْفَضِيلَةَ وَأَجْرَهَا مَعاً. لا فَضِيلَةٌ مِنْ دُونَ تَوَاضُعٍ، مَهْمَا عَظُمَتِ الْفَضِيلَةُ، وَمَهْمَا عَظُمَتِ الأَلَامُ (المَشَقَّاتُ) المُرافِقَةُ لَهَا. الْمَغْفِرَةُ وَمُحَبَّةُ الأَعْدَاءِ وَقَبُولُ الإِهَانَةِ لَيْسَتْ فَضَائِلٌ ما لم يَكُنْ أَسَاسُهَا التَّوَاضُعُ، بِالرَّغْمِ مِنَ الْمَشَقَّاتِ الَّتِي تَتَطَلَّبُهَا هَذِهِ الْفَضَائِلُ. بِهَذَا أَيْضاً، يَقُولُ الْقَدِيسُ إِسْحَقُ إِنَّ فِعْلَ التَّوَاضُعِ، الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الْفَضِيلَةِ، أَصْعَبُ مِنْ اِحْتِمَالِ الأَلْمِ المُلازِمِ لِتِلْكَ لِلْفَضِيلَةِ. وَأَيْضاً،

التواضع هو علاج ناجع للألم. فالمجاهد ، إذ يتواضع ، يدرك أن الألم الملم به ليس ظلماً من الله ، فلا يتدمر بل يرتضي الألم محبةً بالله و تسليماً له .

339 غاية المشقة أن تولد التواضع الذي يعين المجاهد في الحفاظ على الفضيلة. أنظر الفقرة التالية، رقم 3.

فإذا عملت خيراً وكافأكَ اللهُ بموهبة، فاطلب إليه بإلحاح أن يعطيك التواضع الموافق لك، أو أن يصع حارساً (لتلك الموهبة)، أو أن يستردّها منك حتى لا تُصبح سبباً لهلاكك. فليس بإمكان الجميع أن يحتفظوا بالغبني و يتجنّبوا أذاه.

340

3. في الفضيلة والأحزان والتواضع: النفس المهتمّة بالفضيلة بدقّة، والمتوحشة بخوف الله، لا تحيا يوماً واحداً من دون حُزنٍ

(لشعورها الدائم بالتقصير في عمل الفضيلة). فالفضائل ترتبط بالأحزان ارتباطاً وثيقاً. 341

من يهرب من الضيقات ينفصل مباشرةً (للتوّ) عن الفضيلة. فإذا كنت تشتهي الفضيلة، سلّم نفسك للشدائد لأنها تولد التواضع. ونحن لا ندنو من التواضع إلا بالتجارب (الشدائد) ، لأنّ الذي يعيش في الفضيلة من دون شِدّة يُفتح أمامه باب الكبرياء.

الله لا يريد أن تكون النفس خالية من الاهتمام (بالفضيلة) . (وعديم الاكتراث) الذي لا يهتم بشيء هو خارج عن إرادة الله و مُتفرد برأيه. 342 نَقُصِدُ هنا الاهتمام في سبيل الأعمال الصالحة، و ليس الاهتمام بالجسديّات.

4. في انحطام الكبرياء: (الكبرياء دمار النفس): " قبل الانحطام الكبرياء " 343 وقَبَل الموهبة التواضع. التأديب بالانحطاط

(المشقة الشديدة)، الذي يَسْمَحُ به الله، يكون بمقدار الكبرياء الظاهر في النفس 344.

و ليس الكبرياء فكرةً عابرةً في الذهن، أو فكراً يتسلط على الإنسان من وقت لآخر. الكبرياء حالة ثابتة في النفس. الأولى (الكبرياء العابر) تتبّعها ندامةٌ وخُشوع، والثانية (الكبرياء الدائم)، إذا عَشِقَهَا الإنسان، فلن تدعه يَعْرِفُ النَّدَامَةَ والخُشُوعَ

[فيكون في ذلك انحطامه ودماره الروحي] 345.

340 عندما يُعطي اللهُ الراهب موهبةً أو فضيلةً ما، فذلك يُوجب عليه أن يتواضع، و أن يحسب نفسه كلا شيء، وأن لا ينسب الفضيلة أو الموهبة لذاته. وإذا فعل، فهو يستكبر، و يكون ذلك مدعاةً دينونةٍ له و سبب هلاكه. وهذا يعود بنا إلى ما ورد في الفقرة السابقة، من أن التواضع أساس و شرط لكل فضيلة و موهبة.

341 الحافز على الاهتمام باقتناء الفضائل هو مخافة الله. من عنده هذه الرغبة يحيا في حزن على خطايا و يرتضي

بالضيقات، التي لا فضيلة من دون اقتبالها، لأنها تولد التواضع والانسحاق أمام الله.

342 إرادة الله أن يهتمّ الراهب بالفضيلة والأعمال الصالحة. وهذا يتطلب ترك الإرادة الذاتية والرأي الذاتي، ومخافة الله، وقبول الشدائد والأحزان والضيقات، التي تولد التواضع، الذي هو جوهر شرط كل فضيلة وأساس كل عمل صالح (أنظر الفقرة السابقة).

= المقالة الثامنة والثلاثون =

1. في الشوق الإلهي وازدراء العالم: مَنْ بَلَغَ مَحَبَّةَ اللَّهِ (النقيّة) لا يَشْتَهِي البقاء هُنَا (في العالم، بل يشتاق إلى الحياة في السماء مع الله). لهذا، المحبة تبطل الخوف (من الموت). لقد أصبحت جاهلاً (لأنني أكشف خبرةً روحيةً كان يجب أن أكتُمها لأنها قد تُفضي بي إلى الكبرياء) ولا أستطيع أن أحفظ السرّ. ها إنني أفقدُ صوابي من أجل إفادة الإخوة، لأنّ المحبة الحقيقية لا تكتم السرّ عن الأحبة.

مراراً كثيرة كانت أصابعي تتوقّف عن الكتابة، و أمسي غير قادر على تحمّل اللذة التي تنسكب في قلبي و تُهدئ حواسي و تُسكنها. 346

طوبى لمن يهدد بالله على الدوام (يذكر الله باستمرار) ويمتنع عن كل ما هو دُنْيوي، ويكرس ذاته للتأمل في معرفة الله؛ فإن كان صبوراً، طويل الأناة، سوف يرى الثمر في وقتٍ قصير. 347

الفرح الإلهي أعظم بلا قياس من هذه الحياة، ومن وجدّه لا يزدري الأهواء وحسب، بل يفقد الاهتمام بحياته وبأي شيء آخر. إنّ هذا الفرح حقيقي. فمحبة الله أشهى من الحياة، والأحلى منها هو الفهم الإلهي (فهم الأمور الإلهية) الذي تنشأ منه المحبة الإلهية التي هي ألدّ من الشهد. لا حزن في المحبة (محبة الله و الشوق إليه) و إن اضطرت (النفس) لقبول ميّات كثيرة من أجل محبيها. المعرفة (الإلهية) هي حس الحياة الأزلية، والحياة الأزلية هي الإحساس بالله. المعرفة الإلهية (هي) ملكة الرغائب كلّها، 348 و القلب الذي يقبل هذه المعرفة (لا يكثرث للدُنْيويات) و يعتبر الحلاوة الأرضية أمراً تافهاً.

343 أمثال 16 : 18

344 الله يؤدّب النفس بالمشقة، على مقدار كبريائها، من خلال الشدائد التي قد تبلغ حدّ انحطام النفس وعذابها، و أحياناً إزلالها. والغاية أن تدرك النفس قدرها فتتواضع، و بعدها تؤهل للمواهب المتنوعة.

345 مَنْ هو في حالة كبرياء دائم يصعب عليه جداً أن يتوب، لأنه لن يتواضع بما يكفي ليُقرّ بخطيئته.

346 يكشف القديس إسحق خبرته الخاصة، في أنّ مَنْ يذكّر الله و يتأمّله على الدوام، تنسكب في نفسه خبرات روحية في غاية الروعة و السمو، حتى إنه يشتهي الموت والانتقال إلى السماء.

347 ذِكْرُ اللَّهِ الدَّائِمِ وَ التَّأْمُلُ فِي مَعْرِفَتِهِ ، بِمُتَابِرَةٍ وَصَبْرٍ ، يَنْشِئُ مَحَبَّةَ اللَّهِ النَّقِيَّةَ ، وَفِرْحَانًا وَلَذَّةً تُهْدِي الْقَلْبَ وَ تُسَكِّنُ الْحَوَاسِ ، وَ تُؤَلِّدُ مَعْرِفَةَ الْإِلَهِيَّاتِ ، فَيَمْتَنِعُ الْمَجَاهِدُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ دُنْيَوِيٌّ ، وَ لَا يَعُودُ يَخْشَى الْأَلْمَ وَ الْمَوْتَ .

2. مَا هِيَ الْأَهْوَاءُ : الْأَهْوَاءُ هِيَ هَجَمَاتُ (لِلرَّغَائِبِ) وَضِعَتْ فِي أُمُورِ هَذَا الْعَالَمِ (تَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَتَنْشَأُ عَنْهُ) ، وَهِيَ تَدْفَعُ الْجَسَدَ إِلَى إِيْتِمَامِ حَاجَتِهِ الضَّرُورِيَّةِ ، وَ لَا تَكْتَفِ عَنْ الْهَجُومِ مَا دَامَ الْعَالَمُ مَوْجُودًا .
مَنْ أَهْلٌ لِلنَّعْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَحْسَنٌ بِمَا يَفُوقُ (أُمُورَ الْعَالَمِ وَهَجَمَاتِ أَهْوَائِهِ) ، لَا يَدَعُ هَذِهِ الْهَجَمَاتِ تَتَسَرَّبَ إِلَى قَلْبِهِ ، لِأَنَّهُ وَضَعَ فِي مَرَكِزِ الْهَجُومِ (فِي قَلْبِهِ) شَهْوَةً أَكْبَرَ وَأَسْمَى بِكَثِيرٍ (الشَّوْقُ إِلَى اللَّهِ) . فَلَا الْهَجَمَاتِ تَقْتَرِبُ مِنْهُ ، وَ لَا كُلُّ مَا يَنْجُمُ عَنْهَا .

وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ هَجَمَاتِ الْأَهْوَاءِ لَا يَعُودُ لَهَا وَجُودٌ (بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ أَهْلٌ لِلنَّعْمَةِ) ، لَكِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي هُوَ هَدَفُ هَجُومِهَا يُصْبِحُ مَيِّتًا عَنْ تِلْكَ الْأَهْوَاءِ وَعَائِشًا لِشَيْءٍ آخَرَ (لِللَّهِ وَ لِعَمَلِ الْفَضِيلَةِ) .

وَهَذَا لَا يَعْنِي أَيْضًا أَنَّ الْقَلْبَ أَنْهَى مُهْمَةَ التَّمْيِيزِ وَالْأَعْمَالِ (أَعْمَالِ الْفَضَائِلِ) ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ فِي ذِهْنِهِ شَيْءٌ يُزَعِّجُهُ لِأَنَّ ضَمِيرَهُ أَصْبَحَ مَلِيئًا بِنَعِيمِ آخَرَ (نَعِيمِ التَّأْمُلِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ) .

الْقَلْبَ الَّذِي يَقْبَلُ حِسَّ الرُّوحِيَّاتِ وَ مُشَاهِدَةَ الدَّهْرِ الْآتِيِ بِدَقَّةٍ ، يُصْبِحُ بِالنِّسْبَةِ لِتَذَكُّرِ الْأَهْوَاءِ مِثْلَ إِنْسَانٍ شَبِعَ مِنَ الْمَأْكَلِ الْفَاحِشَةِ فَاصْبَحَ لَا يَشْتَهِي أَيَّ مَأْكَلٍ آخَرَ بَعْدَهَا إِنَّهُ لَيْسَ كَالابْنِ الضَّالِّ الَّذِي بَدَّرَ غِنَاهُ الْأَبَوِيَّ وَأَخَذَ يَشْتَهِي الْخُرُنُوبَ 349 .

3. الْكَنْزُ : مَنْ يُوْتَمِنُ عَلَى كَنْزٍ ، لَا يَنَامُ . [الْكَنْزُ هُوَ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي فِي دَاخِلِنَا ، وَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَسْهَرَ وَ نُصَلِّيَ بِيَقِظَةٍ كَيْ لَا نَفْقِدَهَا ؛ " إِنْ كَنْزْنَا لَا يُسَلَبُ مِنَّا إِنْ لَمْ يَسْهَ 350 عَقَلْنَا "] . 351

4. فِي الْإِنْتِبَاهِ وَالْيَقِظَةِ ضِدَّ الْأَهْوَاءِ : إِذَا حَفِظْنَا بِمَعْرِفَةٍ (بِفِطْنَةٍ) قَانُونَ الْإِنْتِبَاهِ وَ عَمَلِ التَّمْيِيزِ (بَيْنَ مَا هُوَ مِنَ اللَّهِ ، وَ مَا لَيْسَ مِنَ اللَّهِ) ، فَلَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ أَذْهَانِنَا هَجَمَاتِ الْأَهْوَاءِ . الْغِنَى وَالصَّحَّةُ (الرُّوحِيَّانِ) يَحْصِلَانِ بِالْإِنْتِبَاهِ وَالْإِجْتِهَادِ وَالْيَقِظَةِ ، وَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا (لِلْمُتَابِرَةِ عَلَيْهَا) مَدَى الْحَيَاةِ لِنَحْفَظَ كَنْزَنَا . وَإِذَا أَهْمَلْنَاهَا ، فَكَنْزُنَا سَوْفَ يُسَلَبُ مِنَّا . إِنْ الْعَمَلُ (الرُّوحِيَّ وَ عَمَلِ الْفَضَائِلِ) يَجِبُ أَلَّا يَنْتَهِيَ بِرُؤْيَاةِ الثَّمَرِ ، بَلْ يَفْرِضُ جِهَادًا حَتَّى الْمَوْتَ ، لِأَنَّنا لَا نَعْرِفُ مَتَى يَنْزِلُ الْبَرْدُ فَجَاءَ فَيُتْلَفُ الثَّمَرُ بَعْدَ نُضُوجِهِ . 352

348 الرّغبة في معرفة الله والأسرار الإلهية تُخمد كلّ هوى، وكلّ رغبة أخرى. لأنّ من تذوّق معرفة الإلهيات لا يعود يكثرث للحلاوة الأرضية.

349 بل على العكس، فهو شبع من مآكل أبيه الفاخرة، حتى إنه لا يشتهي طعاماً آخر سواها.

= المقالة الثانية و الأربعون =

1. في التحرُّر من الخطيئة: لا يتحرَّر الإنسان من لدّة فعل الخطيئة ما لم يمقت سببها من كلِّ قلبه مَقْتاً نهائياً. [لا يجيب أن نمقت الخطيئة وحسب، بل و أسبابها أيضاً. بهذا نتحرَّر من لدتها.] إحسب نفسك ميتاً (روحياً) ما دامت حواسُّك حيّة حيال ما هو مُثير. (فمتى اعتبرت أنّ حياة الحواسّ هي للروح مَوْتٌ) تتحرَّر من لهيب الخطيئة في أعضائك، وتنال الخلاص.

= المقالة الثالثة و الأربعون =

1. في الطّهارة و صون اللسان: إذا كنت تُحبُّ الطّهارة التي بها يظهر سيّد الكلّ، لا تذيّم أحداً ولا تسمع من يذمّ أخاه. من صانَ لسانه لا يُسلبُ (تُسلب فضائله). 353 من يمنع فمه عن ذمّ الآخرين، يحفظ قلبه من الأهواء و يرى الربّ الذي يهدّ به (يذكره) في كلّ حين، فيطرُد عنه الشياطين ويقتلع من نفسه بُدور شرورها.

2. في التواضع والغضب: كنزُ المتواضع في داخله وهو الربّ عينه. قلبُ الوديع والمتواضع ينبوع أسرار الدّهر الجديد، أما الغصوب فقلبه مفرغٌ من أسرار الله. 354

3. طهارة الدّهن: من يضبط مُشاهدة ذهنه في داخله (من يحفظ ذهنه نقيّاً من الخيالات والرّغبات والذكريات غير اللائقة) ير فجرَ الروح. ها إنّ السّماء في داخلك. إن كنتَ طاهراً (بذهنك و جسدك) سترى (في السّماء التي بداخلك) الملائكة مع نُورهم، و سيّدهم معهم.

350 يسهو : يُصيبه السّهو .

351 القديس يوحنا السلمي ، سلّم الفضائل ، المقالة 15 ، الفقرة 83.

352 يُشَبِّه القديس إسحق الفضائل بالثمار وهجمات التجارب والأهواء بالبرد الذي ينزل فجأةً، وقد يُتَلَف الثمار حتى بعد نُضوجها. على الراهب أن يحفظَ باجتهاد، طيلة حياته، قانون الانتباه واليقظة، و التَّمييز بين ما هو من الله و ما هو ليس منه، حتى لو بَلَغَتْ فضائله مَرحلة النُّضج. بهذا يحفظ ذهنه من هجمات الأهواء، التي تأتيه مُتخفيةً تحت ستار الفضيلة و الخير ومُساعدة القريب. ويجب ألاَّ يتهاون إن رأى ثماراً لحياته الروحية، لأنَّ خطر هجمات الأهواء يَبقى قائماً حتى الممات.

4. في الصَّمت و التَّواضع: السَّريع الكلام (عديم الدَّراية) يبتعد عن جابله (إلهه) أما صامتُ اللسان فيبلغ رُتبة التَّواضع (العميق) ويتسلط على الأهواء بلا تعب. الفم الصَّامت يُفسر أسرار الله. 355

5. في ذكر الله المُستمر وتطهير القلب: التأمل المُستمر بالله هو السَّيف الذي يُبعد الأهواء و يقتلعها ويقضي عليها. وكما أنَّ الدَّلفين يتحرَّك و يسبح عندما يكون البحر ساكناً، هكذا تتحرَّك الأسرار والإعلانات الإلهية في بحر القلب عندما يزول منه الغضب والحَنق ويصبح ساكناً هادئاً، فتُبَعثُ فيه البهجة.

من أراد مُعاينة الربِّ (و إعلاناته و أسرارَه) في داخله، فليبدأ بتطهير قلبه بذكر الله المُستمر، فيراه بعيني ذهنه النَّقيتين. وما يحصل للسَّمكة عند خُروجها من الماء، يحصل للذهن الذي يبتعد عن ذكر الله و يتشتت في تذكُّر العالم.

6. في الاهتمام بأُمور العالم: يُوهَّل الإنسان للدَّالة الإلهية (يصير هو وصلاته أكثر قبولاً لدى الله) بمقدار ما يتحاشى التحدُّث مع الناس، ويُوهَّل للفرح الإلهي بالروح القدس بمقدار ما يقطع عنه تعزية العالم 356. وكما أنَّ السَّمك يهلك عند جفاف المياه، فالمخالطة المستمرة (بالناس) تُتلف الفُروخ العقلية (أفكار الفضيلة والإلهامات الإلهية) النَّابتة في القلب.

7. ملكوت الأنقياء: الوطن العقلي (الملكوت) موجودٌ في داخل النَّقي النَّفس، والشَّمس المُشرقة فيه هي نُور الثَّالوث، والهواء الذي يتنشَّقه سُكَّانه هو الروح المعزي الكلي قُدسه. أما مجالسو نقي النَّفس فهم الطَّبائع المقدَّسة اللامتجسمة، والمسيح، النُّور المُنبثق من الآب، هو حياتهم وفرحهم. 357

353 الطهارة هنا تعني طهارة الذَّهن من البغضاء والحقد والحسد وحب الانتقام... وما ينجم عنها من دمٍ للآخرين. لهذا يقول: " مَنْ صان لسانه يحفظ قلبه من الأهواء ولا يُسَلَب فضائله "

354 قلب الإنسان الوديع والمتواضع هو نقيّ من الأهواء (أنظر شرح الفقرة السابقة). هذا القلب يسكن فيه الله ويُعلمه أسرارَه: " طوبى للأتقياء القلوب، فإنهم يُعِينون الله". (متى 5 : 8) . والغضب عكس التواضع، لأنّ الغضب هو من الأهواء التي تُخلي القلب من النعمة ومن الفضيلة.

355 صمت اللسان دليل تواضع وحُشوع وبقظة وتوبة وصلاة داخلية دائمة وتأمل في أسرار الله، و عزوف عن العالم وعن الاختلاط غير الضروريّ بالناس. لهذا، صامتُ اللسان يغلب أهواءه ويفسر أسرار الله.

8. في الصمت: بمقدار ما يبتعد اللسان عن كثرة الكلام يزداد بهاؤه في إخراج المعاني، لأنّ كثرة الكلام تُشوش الذهن النقيّ.

9. في صلاة الإنسان العفيف والمتواضع وماقت الدالة (الذي يكره رفع الكلفة مع الآخرين) 359 ونازع الغضب من نفسه، يرى في نفسه نور الروح القدس عندما يقف للصلاة، ويرتكض بإشراقات نوره ويبتهج برؤية مجد نفسه مُحوّلاً إلى مثال الروح القدس [يرى في نفسه ثمار ومواهب الروح القدس]. 360

10. في تذكر الموت والخروج من العالم: مغبوط من يتذكر خروجه من هذه الحياة ويقطع علاقته بتعيمها، لأنه سينال تلك الغبطة مضاعفة عند خروجه من العالم، ولا تُنزع منه إلى الأبد. هذا هو المولود من الله، الذي يُغذيه الروح القدس ويرتشف من حوضه الغداء الحيّ، ويتنشّق رائحته بابتهاج. أما المتعلق بأهل الدنيا ورائحتها، ويحبّ التحدّث عن أمور العالم، فإنه يفقد الحياة (هذا هو الموت الروحيّ بعينه) 361. أيها الجالسون في الظلام إرفعوا رؤوسكم فتستضيء وجوهكم بالنور. أخرجوا من أهواء العالم يخرج نور الآب للقائكم ويأذن لخادمي أسرارهِ (الملائكة الحكماء) بأن يحلّوا رباطاتكم (من قيود الشهوة والأهواء) فتتوجهون إليه سالكين في خطاه.

11. في اللقاءات وكثرة الكلام: لا شيء يُبرّد نار الروح القدس المتأجّجة في قلب الراهب (المجاهد) كالمعاشرة وكثرة الكلام و اللقاءات (مع أهل العالم) 362. ولا أعني اللقاءات مع أبناء أسرار الله لأنها تُنمي فينا معرفته وتقربنا منه، وتوقظ النفس إلى الحياة و تقتلع جذور الأهواء و تُنوم (تُخمد) الأفكار الرديئة أكثر من أي فضيلة أخرى فلتعظّم في قلبك المحبة التي توحدك بالله حتى لا تكون أسيراً لمحبة العالم التي سببها و غايتها الفساد. إنّ معاشرّة المجاهدين تُغنينا و تُغنيهم بأسرار الله.

356 هذا الكلام موجّه بخاصة الى المتوحّدين العائشين في السكينة، و الذين يُشتتّهم الاختلاط الكثير بالناس

357 النقيّ النفس يسكن فيه ملكوت الله ويُشرق فيه نور الثالوث ويُعزبه الروح القدس، و تُجالسه الملائكة ويحيا بالمسيح.

الإنسان المُبتَهَج بِمُشَاهِدَةِ (نَقَاوَةِ) نَفْسِهِ ، وَالمُتَعَجِّبِ مِنْ جَمَالِهَا ، يَفُوقُ الشَّمْسَ إِشْرَاقًا . هَذِهِ هِيَ أُورُشَلِيمُ مَمْلَكَةِ اللَّهِ المُخْبِئَةِ فِي دَاخِلِنَا ، بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ : [" إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ فِي دَاخِلِكُمْ "] . 358 هَذِهِ هِيَ غَمَامَةُ مَجْدِ اللَّهِ ، الَّتِي يَدْخُلُهَا أَنْقِيَاءُ القُلُوبِ وَحَدَثَمُ وَيُشَاهِدُونَ وَجْهَ سَيِّدِهِمْ وَتَسْتَضِيءُ أَذْهَانُهُمْ بِشُعَاعِ نُورِهِ .

358 لوقا 17 : 21

359 يحتفظ بمسافة بينه وبين الآخرين ، و يبقى في جدية معهم .

= المقالة الرابعة والأربعون =

1. في الحواس العفيفة: الحواس العفيفة المنضبطة تولد سلام النفس ولا تدعها تختبر (حس الموجودات)، فتنتصر من دون جهاد. 263 لكن إذا تهاون الإنسان و سمح لهجمات (الحواس) بالدخول إليه (إلى ذهنه)، يضطر إلى دخول الحرب (ضد الأهواء). فالنقاوة الأولى (الطبيعية)، السهلة والبسيطة، تضرب. وأكثر الناس، أو بالأحرى العالم بأسره، انحرف عن (النقاوة الطبيعية) بسبب الإهمال. لذلك يستحيل على الذين يعيشون في العالم و يخالطون أهله أن ينقوا أذهانهم. قليلون جداً يستطيعون استعادة طهارة الذهن الأولى. وهذا يفرض على كل إنسان أن يحفظ حواسه و ذهنه جيداً من الهجمات. إنّه بحاجة ماسة إلى الانتباه واليقظة وحفظ الحواس 364.
2. في الطريق المتدرج: طريق الرب هي خوف فمحبّة ثم معرفة روحية، و عمل فضائل. 365.
3. في الطلب في أثناء الصلاة: لا تكن جاهلاً في طلبتك 366 لئلا تصبح صلاتك تجديفاً، بل كن حكيماً فتؤهل للأمجاد. أطلب الأمور الكريمة من الذي لا يرفض (الله)، فتنال منه الكرامة بسبب حكمتك في الطلب 367.

360 يذكّر القديس إسحق هنا أربع فضائل تؤهل المتوحد للدالة الإلهية: العفة و التواضع و نزع الغضب، و عدم الدالة، أي عدم الاختلاط الزائد بالناس و عدم رفع الكلفة معهم و عدم التماس أفضالهم و خدماتهم.....

361 التأمل الدائم بالموت يُقرب الراهب من الله و يجعله يزدرى أباطيل العالم، و تمتع عيونه لذاته. أنظر المقالة 33، الفقرة 16.

362 المقصود هنا لقاءات الراهب الدنيوية و الاختلاط غير الضروري بالناس، الذي يرافقه ثثرة و أحاديث باطلة تُناقض حياة الراهب التوحّدية.

363 من يحفظ حواسه يُجنّب نفسه هجمات للأهواء و ما يرافقها من تشوش للذهن فلا يضطر لخوض الحرب ضدها ، و يكون في سلام . لأن تشوش الذهن و هجمات الأهواء تُفقد الراهب سلامه .

364 يرى القديس إسحق أن الإنسان يُولد في حال من طهارة الذهن و" نقاوة طبيعية للحواس". لكن هذه النقاوة السهلة

والبسيطة تضطرب وتتحرف بسبب الإهمال. بعدها يصعب استعادة طهارة الذهن الأولى مادام الإنسان عاشاً في العالم.

365 في بداية العلاقة بالرب هناك الخوف، ثم تتدرج تلك العلاقة من الخوف إلى المحبة، وبعد المحبة تتوطد معرفتنا بالله،

و المرحلة الأخيرة هي عمل الفضائل وممارسة الرحمة... وقد قال المزمور " رأس الحكمة مخافة الرب" (مزمور 110 :

10؛ أمثال 1 : 7 ؛ 9 : 10). لذلك، بدء الحياة الروحية مخافة الله، التي تحت الإنسان على التوبة. وهذا ما

حصل

سليمان طلب حكمةً فنال معها ملكاً أرضياً لأنه طلب من الملك العظيم بحكمة، أليشع طلب نعمة الروح التي عند معلمه

فنالها مضاعفة. من يطلب الأمور التافهة يستهين بكرامة الملك. قدم طلباتك لله بما يليق بمجده فيعظم مقامك عنده و يسر بك

يشخص (ينظر) الملائكة إليك و أنت تُصلي. و سيدهشون و يفرحون عندما تهمل جسدك و تطلب السماويات. لا تطلب من

الله ما يهتم هو بإعطائه من دون سؤال. إنه لا يهتم بأخصائه المحبوبين و حسب، بل بالعُرباء عن معرفته أيضاً. الإبن لا

يطلب من أبيه خبزاً، بل ما هو أعظم و أسمى في بيت أبيه. وإذا كان الله يهتم بالحيوانات و الطيور، فكم بالأحرى يهتم

بنا. " أطلبوا أولاً ملكوت الله و برّه وهذه كلها تُزاد لكم " 368.

4. هل الله ظالم لأنه لا يستجيب الصلاة؟ إذا طلبت من الله شيئاً و تأخر في استجابتك، فلا تحزن، لأنك لست أحكم منه.

إن تأخره يدل على عدم استحقاقك الخطوة على ما تطلب، أو على عدم استقامة قلبك في الطلبة، أو على عدم بلوغك مستوى

قبول الموهبة التي تطلب.

يجب أن يكون طلبك مطابقاً لسلوكك. يستحيل على الإنسان المتعلق بالأرضيات أن يطلب السماويات، وعلى المهتم

بالدنيويات أن يطلب الإلهيات، لأن رغبة كل إنسان تُعرف من الأعمال التي يبذل اهتمامه في سبيلها و يجاهد من أجلها

بالصلاة. من طلب العظيمة لا يهتم بالصغيرات.

5. في التعفف والسلام الداخلي: تحمّل العطش 369 من أجل المسيح، يرويك ويسرك بمحبته. أغلق عينيك عن مسرات

الحياة، يؤهلك الله لامتلاك سلامه في قلبك. تعفف عما تراه عينك، تستحق الفرح الروحي 370.

لبطرس. ففي بداية لقائه بالرب عند بحيرة جنيسارت، وبعد معجزة السمك، خر ساجداً وتائباً، وهاتفاً: " تباعد عني

يارب، فإنني رجل خاطئ... وكذلك فعل يعقوب ويوحنا" (لوقا 5 : 8-10). لكنهم بعد المخافة، انتقلوا إلى محبة لله

، و إلى المعرفة الروحية، وعمل الفضائل. ويقول القديس إسحق إن هذا هو "الطريق المتدرج" لكل مجاهد.

366 لا تطلب أموراً وضيعة وسخيفة وتافهة، أو ترفع للرب طلبات تخالف الوصايا، كأن تطلب الأذية أو ردّ الإساءة أو الانتقام.

6. في التجارب والضيقات: كُن متواضعاً في أعمالك فَتَنجُو من الفخاخ الموجودة خارج طريق المتواضعين. 371 لا ترفض الضيقات لأنك بها تدخل إلى معرفة الحق، ولا تحف من التجارب لأنك تجد فيها الكنوز الثمينة 372. صل كي لا تدخل في التجارب النفسية، 372 أما التجارب الجسدية [التي لا مفر منها لكل حي، وهي المحن التي تسبب الألم للجسد] ، فاستعد لها بكل قوتك [بصلاة طويلة حارة] ، فبدونها لا يستطيع أحد أن يبلغ إلى الله، لأن في داخلها التعزية الإلهية 374، من يهرب من التجارب يهرب من الفضيلة. أعني بها تجارب الضيقات وليس تجارب الشهوات.

375

367 علينا أن نطلب في صلاتنا ملكوت الله أولاً، وكل ما يؤول إليه: " أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذا كله يُزاد لكم" (متى 6: 33). هذه هي طلبية الحكماء. نكون حكماً بقدر ما تكون طلبتنا سامية؛ وبقدر ما تكون طلبتنا وضيعة، بقدر ما يدل ذلك على جهلنا وعدم حكمتنا. وقد تكون بعض الطلبات تجديفاً، كطلبية الجاهل الذي يطلب دمار أعدائه.

368 متى 6: 26 و 33.

369 المقصود بالعطش الترفع عن مسرات الحياة وحفظ الحواس لا سيما النظر

370 لكل فعل مكافاته الموافقة له.

371 في طريق المتكبرين فخاخ كثيرة لأن الكبرياء رأس الخطأ وسبب شهوات و أهواء كثيرة، ينجو منها المتواضع. المتواضع ينجو من فخاخ المتكبرين، ومن هذه الفخاخ البغض والانتقام وردّ الإساءة والحسد والنفعية والأنانية وحب الذات وذم الآخرين وأذيتهم وتشويه سمعتهم، والعداوات والعناد والتمسك بالمناصب واتباع المشيئة الذاتية، وليس مشيئة الله أو الرئيس، وسائر الأهواء و الشهوات وعدم الاعتراف بالخطأ، وعدم إمكانية التوبة، و التشوش، و الغضب، والأفكار المنحرفة، والكفر والهَرطقة والتجديف (السلم إلى الله، المقالة 23). " فالله يُقاوم المتكبرين" (يعقوب 4 : 6)، " والكبرياء مكروهة عند الله و الناس"؛ "والكبرياء أول الخطأ" ، و من وفرت فيه فاض أرجاساً" (سيراخ 10 : 7 و 13).

” ومُتَشَامِخُ الْقَلْبِ نَجِسٌ عِنْدَ الرَّبِّ ” (أمثال 16 : 5)؛ ” وَ التَّكْبُرُ النَّجِيسُ هُوَ مُبْتَدَأُ أَهْوَانِنَا وَ مُنْتَهَاهَا ” (السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ، 22 : 1)؛ لِهَذَا قِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْكِبْرِيَاءَ هُوَ مَرَضُ الشَّيْطَانِ، ” وَالرَّاهِبُ الْمُتَكَبِّرُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْطَانٍ لِإِسْقَاطِهِ لِأَنَّهُ صَارَ شَيْطَاناً وَعَدِوًّا لِدَاثِهِ. ” (السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ، 22 : 31). وَلِهَذَا، لَا يَشْفِي الْمُتَكَبِّرَ سِوَى اللَّهِ نَفْسَهُ؛ 26 (القسم الثاني):

180؛ 26 (القسم الثالث): 12.

372 الضيقات النفسية والجسدية تُنشئ التواضع، الذي يُعين المجاهد على معرفة الحقائق الإلهية واكتساب الفضائل

= المقالة السادسة والأربعون =

1. في التجارب والمواهب: إذا صادفت في طريق جهادك سلاماً ثابتاً لا يتبدل، فاحترس، لأنك بعيد عن السبيل السوي الذي وطئته أقدام القديسين بعد أن أضنكها التعب. 376 كلما تقدمت في طريق الملكوت واقتربت من مدينة الله، ستجابهك التجارب، و تزداد قوتها بمقدار ما يزداد ثموك وتقدمك. وعندما تحس أن التجارب التي تعترضك تتنوع وتقوى، فاعلم أن نفسك قد حصلت فعلياً وبطريقة خفية على درجة أسمى، و أضيفت إليها نعمة، لأن الله يسمح للنفس بأن تتذوق التجارب بمقدار ما يمنحها من النعمة؛ أقصد هنا التجارب (الشدائد) التي تُرافق الرهبان المتوحدين العاشقين في السكينة 377.

2. في أن الله يُعطي المواهب الكبيرة من خلال التجارب الكبيرة: إذا ضعفت النفس ولم تقدر على تحمّل التجارب (الشدائد) الكبيرة، وطلبت من الله ألا تدخل فيها، واستجيب لها، فسوف (تضعف) مواهبها وتتناقص بمقدار عجزها عن مجابهة التجارب، لأن الله لا يُعطي موهبةً كبيرةً إلا بتجربة كبيرة. وقد حدّد رتبة المواهب برتبة الشدائد الصعبة التي تسمح عناية الله بأن تحلّ بك، تقدر أن تعرف مقدار الشرف الذي نالته نفسك من جلال عظمته، لأنه بمقدار الحزن تكون التعزية. 378

3. في تجارب أعداء الله، أي المتكبرين: المتكبر فقد الحياة (مع الله ومات روحياً) وتسامخ على صلاح الله بذهنه، و إثم إلى حرّيته (الحرية التي منحها الله إياها) 379. لذلك يسمح الله أن تحلّ به (تجارب) تصعب مقاومتها، وتتجاوز حدود

373 بعض التَّجَارِبِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الرَّاهِبُ هِيَ الْأَزْمَاتُ وَالْوَسَاوِسُ (المَبْنِيَّةُ عَلَى الْأَوْهَامِ) وَالْحَزَنُ وَالضَّجْرُ وَالشُّكُوكُ وَالْيَأْسُ وَالشُّعُورُ بِانْعِدَامِ مَعْنَى الْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ. هَذِهِ لَا تُعِينُ الرَّاهِبَ فِي التَّقَدُّمِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ لِكَيْ يَكُونَ بِمَنْجَاةٍ مِنْهَا.

374 اللَّهُ يُعِينُ الرَّاهِبَ فِي آلامِهِ الْجَسَدِيَّةِ، إِذَا هُوَ ارْتَضَى تِلْكَ الْأَلَامَ وَقَدَّمَهَا إِلَى اللَّهِ وَطَلَبَ مَعُونَتَهُ فِي أَثْنَائِهَا. عِنْدَهَا يَلْمَسُ لِمَسِ الْيَدِ مَعُونَةَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَزِيَاتِهِ.

375 عِنْدَمَا يَتَقَبَّلُ الْمُجَاهِدُ الضِّيْقَاتِ بِتَوَاضُعٍ وَصَبْرٍ وَتَسْلِيمٍ لِلَّهِ، يَنَالُ الْفَضَائِلَ وَمَعْرِفَةَ الْحَقِّ وَالكَنُوزَ الثَّمِينَةَ، أَيِ مُكَاشَفَاتِ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ.

طَاقَتُهُ (عَلَى التَّحَرُّرِ مِنْ قِيُودِهَا)، وَكُلُّهَا نَاتِجَةٌ عَنِ تَجْرِبَةِ الْكِبْرِيَاءِ. يَبْدَأُ ظُهُورُ هَذِهِ التَّجَارِبِ عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْإِنْسَانُ حَكِيمًا فِي عَيْنِي نَفْسِهِ 380. وَيَزْدَادُ اسْتِرْسَالُهُ فِي تِلْكَ التَّجَارِبِ (وَاسْتِسْلَامُهُ لَهَا) بِمَقْدَارِ مَا يُصْغِي لِأَفْكَارِ الْكِبْرِيَاءِ وَيَتَقَبَّلُهَا. فَأَنْتَ تَعْرِفُ رِقَّةَ أَفْكَارِ زِهْنِكَ مِنْ أَنْوَاعِ تَجَارِبِكَ 381.

4. فِي الصَّبْرِ: الصَّبْرُ يُبْعِدُ الْمَصَائِبَ. 382 وَالشَّدَائِدُ الَّتِي لَا تُقَابَلُهَا بِالصَّبْرِ تَخْلُو مِنَ التَّعْزِيَةِ (الْإِلَهِيَّةِ)، 383 وَلِذَلِكَ عَذَابُهَا مُزْدَوِجٌ. 384 صِغَرِ النَّفْسِ (الْجُبْنِ وَضَعْفِ النَّفْسِ وَالْخَوْفِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي مُقَاوَمَتِهَا) يُولِّدُ الْعَذَابَ، أَمَا الصَّبْرُ فَيَلِدُ التَّعْزِيَةَ، وَهُوَ قُوَّةٌ تَتَوَلَّدُ مِنْ انْشِرَاحِ الْقَلْبِ (وَارْتِيَا حَهُ بِاللَّهِ). وَيَصْعُبُ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ (التَّعْزِيَةَ) فِي أَثْنَاءِ تَجَارِبِهِ (ضِيْقَاتِهِ) بَدُونَ الْمَوْهَبَةِ الْإِلَهِيَّةِ (مَوْهَبَةِ الصَّبْرِ) النَّاشِئَةِ مِنَ الصَّلَاةِ الدَّائِمَةِ وَدَرْفِ الدُّمُوعِ. 385

5. فِي صِغَرِ النَّفْسِ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَزِيدَ افْتِقَادَ الْإِنْسَانِ بِالتَّجَارِبِ 386 فَإِنَّهُ يَسْمَحُ لَهُ بِالْوُقُوعِ فِي صِغَرِ النَّفْسِ (وَهَنِ الْعَزِيمَةِ وَالْجُبْنِ وَانْعِدَامِ الصَّبْرِ فِي الشَّدَائِدِ) الَّذِي يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الضَّجْرَ (مِنَ الْجِهَادِ وَالْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ) بِشِدَّةٍ وَيَجْعَلُهُ يَتَذَوَّقُ طَعْمَ الْغَرَقِ النَّفْسِيِّ، أَيِ جَهَنَّمَ 387 ثُمَّ يَأْتِي رُوحَ الشَّطَطِ (التَّشْتُّتِ) 388 الَّذِي مِنْهُ تَنْبَعُ الْآفُ التَّجَارِبِ: التَّشْوَشُ، الْغَضَبُ، التَّجْدِيفُ، التَّأَفُّفُ، الْأَفْكَارُ الْمُنْحَرِفَةُ، التَّنَقُّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، 389 وَغَيْرِهَا. وَسَبَبُ هَذِهِ كُلِّهَا (عَدَمُ الْيَقِظَةِ)

376 لِأَنَّ الْجِهَادَ الدَّائِمَ يَفْتَرِضُ بِالضَّرُورَةِ مَشَقَّةً دَائِمَةً. وَالسَّلَامُ قَدْ يَكُونُ عَلَامَةً تَرَخٍ. فَالسَّلَامُ قَدْ يَعْنِي عَدَمَ الشُّعُورِ بِهَجْمَاتِ الْأَهْوَاءِ، وَهَجْمَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَهَذَا الْأَمْرُ يَعْنِي أَنَّ الرَّاهِبَ لَا يَخُوضُ الْحَرْبَ الرُّوحِيَّةَ، الَّتِي بِهَا يُحَارِبُ أَهْوَاءَهُ وَتَجَارِبَهُ، فَتُحَارِبُهُ الشَّيَاطِينُ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

377 بِنَاءً عَلَى مَا قُلْنَا فِي الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّ اشْتِدَادَ التَّجَارِبِ عَلَى الرَّاهِبِ يَعْنِي اسْتِمَاتَتَهُ فِي مُحَارَبَةِ أَهْوَاءِهِ، وَفِي الْوَقْتِ عَيْنَهُ، ارْتِقَاءَهُ فِي الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ.

378 يقول القديس إسحق إنَّ اقتناء المواهب هو أهمُّ بلا قياس من الرَّاحة من التَّجارب. فعلى قَدَر التَّجارب يُكْرَمُ (يُشْرَفُ) اللهُ الرَّاهِب بالمواهب والأسرار الألهيَّة.

379 الحرِّيَّة الحقيقيَّة هي حرِّيَّة الذهن من تَسَلُّط الأهواء والخطايا، ولذلك فغاية الحرِّيَّة بُلُوغ الملكوت. لكنَّ المتكَبِّر يتعالى على أخيه الإنسان، وعلى الله، ويفقد حسَّ الحياة مع الله، و الشَّرْكة معه، وبهذا يَأْثُم إلى الحرِّيَّة التي مَنَحها اللهُ إياها، ويعرِّض نفسه لتجارب مُضنيَّة، ويُعَلِّق على نفسه باب الملكوت.

380 أمثال 3 : 7 ؛ 26 : 12

و إهمال تلك التَّجارب وعدم الاهتمام بالبحث عن شفاء منها. وعلاجُها جميعُها اتِّضاع القلب، الذي به تَجِد النَّفْسُ تعزِيَّةً سريعةً. 390 ومن دون اتِّضاع القلب، يَسْتَحِيل هَدَم سِياج 391 هذه الشرور 392

6. في التَّوَّاضُع والصَّبْر: إنَّكَ لم تبحث بعد عن التَّوَّاضُع بكلِّ قوَّتِكَ . فإذا شِئْتَ ذلك أدخل أرضه (إِقْتَنِ التَّوَّاضُع) 393 لِتَرَى كيفَ يُعْطِيكَ الحِلَّ (التَّحُرُّ) 394 من كلِّ شرورك. فبمقدار ما تَتَّضِع يُعْطِي لك الصَّبْر على المصائب، وبمقدار ما تَصْبِر يَخْفُ عَنْكَ ثِقَل الشَّدَائِد وتَحْظَى بالتَّعزِيَّة. وبمقدار ما تَتَّعزَّى تَعْظُم مَحَبَّتُكَ اللهُ، وبمقدار ما تُحِبُّ اللهُ يَعْظُم فَرْحُكَ بِالرُّوحِ القُدْس. إذا شاء اللهُ أن يُرِيحَ أبناءَه الحقيقيين لا يَرْفَعُ عَنْهُمْ التَّجارب، بل يُعْطِيهِمْ قوَّةً ليصبروا عليها. وعندما يَنالون

381 التَّجارب التي يَتَّعزِّض لها الراهب هي في الغالب بسبب عدم ضبطه لأفكاره. لذلك فنوع التَّجربة التي تُحاربه تدلُّه على أنواع الأفكار التي تُهاجمُه. كما أنَّ مقدار عَظْمَة التَّجربة أو ضعفها يدلُّه على مدى قُدْرته على ضَبْط أفكاره، ومدى دَقَّة تمييزه للأفكار التي تُراوِدُه.

382 الصَّبْر يعني الصَّبْر على التَّجارب بدلاً من الاستسلام لها. أما الاستسلام فيعني المصيبة. لهذا، الصبر يُبعد المصائب، والرَّبَّ يعضد الصابرين و يُكافئهم على صبرهم وتسليمهم له ورجائهم به. وأيضاً، الصَّبْر يعني عدم الانفعال وعدم التسرُّع، وعدم التذمُّر والاعتراض على تدابير الله، بل التَّفكير والترويِّ والصَّلَاة، بدلاً من التهور الذي يولِّد المصائب.

383 لأنَّ عدم الصبر يعني عدم التسليم لله، وعدم الرجاء بتعزياته وخلصه، ولذلك فمن لا يصبر لا يَنال تعزِيَّةً من الله.

384. العذاب المُزدوج ناجم من انعدام التَّعزِيَّة الإلهيَّة، ومن صِغَر النفس، وكلاهما ناجمٌ من عَدَم الصَّبْر.

385 الله يُعين الصابرين ويُطوِّبُهُم (يعقوب 5 : 7 - 11) ويُعزِّبُهُم لأنهم عزموا على الثبات في الجهاد وعدم الاستسلام للتجربة. ويقتني الإنسان الصَّبْرَ بالصَّلَاةِ الحارة والابتهاال المقرون بالدموع؛ ومن الواضح هنا أن نقيض الصبر هو ضِعْر النفس.

386 يتَّضَح من آخر هذه الفقرة أن الله يفتقد المُجاهد بهذه التجارب القاسية بسبب كبريائه، لأنَّ علاج هذه التَّجارب هو التَّواضُع، أي أن يُدرك المُجاهد أنَّ التَّجارب المُرسَلَة إليه هي لتأديبه، و أنه لا مَخْرَجَ له منها، ولا علاج لها، سوى باتِّضاع القلب والتماس المَعونة الإلهيَّة. وبهذا يتقدَّم المُجاهد روحياً.

387 جهنَّم: أي اليأس الكلي وانعدام الرِّجاء. في الكوميديا الإلهيَّة لدانتلي أن على باب جهنَّم كتابةٌ تقول: " يا أيُّها الدَّاخِلون إلى ههنا، اقطعوا كلَّ رجاءٍ؛ يقول القديس يوحنا السلمي: " من يَنوح على خطاياها لا يَعرف الضَّجر. الضَّجر هذه الخيرات كلها بواسطة الصَّبْر تَبْلُغ نُفوسهم إلى الكمال. 395

= المقالة التاسعة والأربعون =

1. في التَّواضُع: إذا ظللتك النعمة وأحاط بك الملائكة القديسون وهرب منك المُجربون، فلا تترَفَّع، ظاناً أنك قد بلغت الميناء الأمين والجوَّ الهادئ الذي يخلو من العواصف، وأنك انتهيت من اجتياز هذا الخِصَم (بحر الجهاد) الذي تعصف فيه رياح التَّجارب الشَّديدة، و أنه لم يعد هناك عدوٌّ أو شيء شرير، لأن الذين فكروا بهذه الطَّريقة عادوا فسقطوا في مخاطر كبيرة.

أحد أثقل الرِّذائل، وموتٌ كامل لكلِّ فضائل الرَّاهب. الضَّجر والفُتور يُبددان كنزنا كلَّه. وِقْتال الضَّجر بالصَّلَاة الحارة و ذكر الدِّينونة يُكسب الرَّاهب أكاليل كثيرة. " 13 : 9 - 12 و 14 ؛ 26 (القسم الثالث): 8

388 الشَّطَط: الانحراف عن السبيل القويم في الجهاد الروحي والأفكار والسلوك، فيصير الراهب كمن يخبط يميناً ويسراً، على غير هدى.

389 سبق القول إنَّه على الراهب المتوحِّد المكوث في مكان واحد، ومُلازمة قلايته (غرْفته) والتفرُّغ للصَّلَاة، والابتعاد عن كثرة التنقُّل والاختلاط بالنَّاس، لأنَّ هذا الأمر يُسبِّب له التشنُّت وعدم حفظ الحواس، والتعرُّض لتجارب العالم.

390 عندما يتواضع الراهب و يصير ويُسلم أمره لله، يهبَّ الله لنجدته، فينال تعزية، ويكتشف أن التواضع هو سبيله إلى الخلاص من تجربة صغر النَّفس وما يُرافقها وما ينجُم منها.

391 يستعمل القديس إسحق عبارة " سياج " ليدلَّ على أن هذه التَّجربة شديدة القسوة، حتى إنها تُحقيق بالراهب وتُحصِرُه من كلِّ جانب، فلا يستطيع الإفلات وأنَّ التَّواضع هو السبيل الوحيد لهدم هذا السياج.

392 بهذا يتبين أن الله قد أدخل الراهب في تجربة "صغر النفس" ، و الضجر، وما يلي ذلك الضيقات، بسبب كبريائه، ولكي يقوده إلى اتضاع القلب والتواضع والصبر.

393 أدخل أرضه: الأرض في الكتاب المقدس هي "أرض الميعاد"، أي أرض الحرية، أو "أرض مصر"، أي أرض العبودية للخطيئة. والقديس إسحق باستعماله كلمة "أرض" يشبه التواضع بأرض الميعاد والتحرر من الخطيئة، لأن التواضع هو رأس جميع الفضائل.

394 التحرر والشفاء والمغفرة.

395 هنا سلسلة من الفضائل، هي ثمار التواضع، و تتكلم جميعها بالصبر، الذي يجعله القديس إسحق باب الكمال. فحياة الراهب تقوم على التجارب، والصبر، والجهاد وبما أنه لا سبيل آخر لبُلوغ الكمال، فالله لا يرفع التجارب عن أخصائه؛ والكمال هو مسار وليس حالة يبلغها الراهب. أنظر الحاشية 208.

ولا يخطر في ذهنك أن أسمى من الآخرين وأعظم منهم، وأن ما ينطبق عليهم في أمور (قواعد) الجهاد لا ينطبق عليك، فتعتقد أنهم أدنى منك في السيرة، وليسوا ذوي معرفة كاملة ك معرفتك لافتقارهم إلى مثل هذه المواهب، لأن هذا سيؤدي بك إلى القول: إنني قد استحققت ذلك بوصولي إلى كمال القداسة وإلى درجة روحية سامية وإلى الفرح الثابت، [فيكون الكبرياء بداية سقوطك].

396 2. في أن ذكر السقطات يحدث على التواضع: بدلاً من أن تتكبر (لاعتقادك أنك بلغت سمو الفضيلة)، يجدر بك أن (تتذكر سقطاتك) والأفكار الدنسة التي كانت مغروسة في ذهنك أثناء المحنة (الروحية) والاضطراب (الذي تسببه التجارب). أذكر التشوشات الفكرية التي كانت ثائرة عليك منذ أمم غير بعيد، عندما كانت الظلمة مستحوذة عليك، واذكر كيف جنحت بسرعة نحو الأهواء وعاشتها عندما كان ذهنك مظلماً، وكيف أنك لم تتورع (ولم تتخشع) أمام (حضور الله) والرؤية الإلهية ولم توقرها، ولم تقدّر المواهب والعطايا التي وهبت لك. جميع هذه (التشوشات والأفكار المظلمة) تسمح بها العناية الإلهية التي تهتم بكل واحد منا كما يجب حتى يتواضع. فإذا ترفعت بسبب هذه المواهب ستتخلى عنك النعمة وتسقط بكليتك في أمور (تجارب) تُحارب فكرك.

فاعلم أن صمودك أمام التجارب لا يعود إلى قوتك (الروحية) ولا إلى فضيلتك، بل إلى النعمة التي حملتك على كنفها 397 كي لا يشتملك الرعب. تذكر ذلك في وقت الفرح، وعندما يترفع فكرك إبك واذرف الدمع، مُتذكراً سقطاتك التي حصلت في أثناء التخلي، 398 لكي تُنقذ وتنال الاتضاع. واحذر أن تياس، بل استغفر الله على خطاياك بأفكار متواضعة.

397 3. في قُوَّة التَّوَّاضُع: للتَّوَّاضُع قُوَّة تُكسِبُ (المُجاهد) من الله غُفْراناً لخطايا كثيرة 399، حتى من دون أعمال (صالحة). والأعمال (الصَّالحة) وحدها، بدون التَّوَّاضُع، مُضِرَّة، 400 وتوفِّعنا في شرور كثيرة. فكما أنَّ المَلِح يُناسِب جميع الأطعمة، هكذا التَّوَّاضُع يُناسِب كلَّ فضيلة، و يستطيع سَحَق خطايا كثيرة. ولكي تَقْتَنِي التَّوَّاضُع يَنْبَغِي أَنْ تَحْزَنَ بِفِكْرِكِ بلا انقطاع (بسبب تَقْصِيرِكَ وسَقَطَاتِكَ)، لكن بتمييز (بفطنة).

396 أوضح القديس إسحق في المقاطع السابقة أنَّه لا راحة من الجهاد. فانهيار التَّجَارِبِ لفترة من الزَّمن لا يعني انقطاعها، فلا يجب أن يترَفَّع المُجاهد ويعتقد أنَّه قد أصبح حراً ومُرتاحاً من هجماتِها. وعلى الراهب أن يتذكَّر دائماً هذه الحقيقة، حتى إذا مرَّ بمرحلة من الهدوء، لا يَعتقد أنَّ جهاده قد انتهى. والهدوء قد يعني أن الشَّرير يُعِدُّ فحاً للراهب. فقد يكون انقطاع التَّجَارِبِ حيلةً من الشَّرير لكي يوقع الراهب في الكبرياء فيعتقد أنه أفضل من الآخرين، وقد استحقَّ النَّجَاح والانتصار على التَّجَارِبِ بقوَّته الذاتية؛ ويقع في الإهمال والتَّراخي، و يبتعد عن نعمة الله وحمايته، ثم يُهاجمه الشَّرير على حين غرَّة، و يسهِّل عليه الإيقاع به، فيسقطه إلى حُفْرَةٍ أعمق من سابقتها. لذا لا بُدَّ للراهب من الاعتصام باليقظة في جميع الأوقات.

في بعض فوائد التَّوَّاضُع: التَّوَّاضُع يجعلنا أبناء الله، ماثلين أمامه، 401 و إن لم نُقدِّم له أعمالاً صالحة. فأعمالنا وفضائلنا كلُّها من دون التَّوَّاضُع تكون باطلة. الله يَبْغِي تَحْوُلَ ذِهْنِنَا (بارتقائه نحو التَّوَّاضُع)، لأنَّنا بالفكر نرتقي إلى الأفضل، وبالفكر نَنحدر إلى الأسوأ. فالتَّوَّاضُع وحده قادر على أن يَقِفَ أمام الله وَيَشْفَعُ فينا 402. أشكُرُ الله و اعترف له (بخطيئة كبريائك وتعاليك) بلا فتور، لأنَّ طبيعتك ضعيفة وتميل إلى السُّقُوط بسُهولة.

أذكر إلى أين (يُمكنك أن) تَرْتَقِي، أحياناً، بمؤازرة النعمة، وتوهَّل لمواهب عظيمة بحال تُفوق الطَّبيعة البشريَّة؛ واذكُر شقاء طبيعتك وسُرعة تَحْوُلِهَا عِنْدَا تَنحدر إلى أسفل، ويُصبح فِكْرُكَ بَهيمياً (جسدياً) بسبب تخلي النعمة عنك (عدم مُعاضدتها لك، لكي تتواضع). 403

قال أحد الشيوخ القديسين: عندما يُراودُكَ فِكْرُ التَّكْبُرِ (الشَّيْطَانِي) ويقول لك: " تذكَّر فضائلك " ، قُلْ له: " أنظر فسقَكَ (سقطاتك) يا شيخ " ، (يا مَنْ قضيت عُمرَكَ وأنت تُجاهد، فاحذر أن تخسر أتعابك بسبب كبريائك). والفسق هو ما يُحارب الفكر (بتجربة الشَّهوة والدُّنس) في أثناء التَّخْلِ، والذي تُدْبِرُهُ (وتسمح به) النعمة الإلهية، بحرب (من الشَّرير) ، أو بمعونة (إلهية) لمنفعتنا.

397 النعمة حملتك على كَتِفِهَا في ضلالك كما حملَ الرَّاعي الصالح الخروف الضالَّ.

398 أي عندما لا يُسعفك الله في أثناء تجارك، لكي يؤدِّبك ويجعلك تتواضع.

399 يجعل القديس إسحق التواضع باباً للتوبة وشرطاً لها، و سبيلاً لمغفرة الخطايا.

400 الأعمال الصالحة من دون تواضع تُوقِعُ الإنسانَ في الكبرياء وحبِّ الظهور، وقد تُجرِّبه بالاستعاضة بها عن الجهاد الروحي، الذي هو أساس عمل الراهب، وتُلهيه عن اليقظة الروحية، وتجرِّه إلى الاختلاط غير الضروري مع الناس، والانغماس في شؤون العالم. لذلك العمل الأوَّل للراهب هو التواضع، وهو أساس سائر الفضائل

401 المتواضع مقبولُ الحضور أمام الله، بينما يستحيل على المتكبر أن يمثُل أمامه، وقد قال الكتاب: " ذبيحةُ الله روحٌ مُنكسرٌ " (مزمور 50 : 19). " الله يُنعمُ على المتواضعين ويُقاومُ المتكبرين " (يعقوب 4 : 6).

402 بتواضع الفكر ارتقى العشار إلى الأفضل و مثَّل لدى الله، فشَفَعَ به تواضعه ونالَ توبةً ومَغْفرةً؛ وبالكبرياء انحدرَ الفريسي إلى أسفل. (لوقا 18 : 9-13)

= المقالة الثمانية والخمسون =

1. في الجهاد والتَّجَارِب: دَوْنُ في صَفْحَةِ قَلْبِكَ أَنْ مَحَبَّةَ اللَّذَّةِ وَالرَّاحَةِ هُمَا سَبَبُ التَّخَلِّي الإلهي (وابتعاد النُّعْمَةِ عن مؤازرتك). فإذا صَبَرَ الإنسانُ بِشِدَّةٍ وظلَّ مُتَعَفِّفًا عَنْهُمَا (اللذَّةُ والرَّاحَةُ) لا تتركهُ مؤازرةُ الله ولا يُسَمِّحُ للعدوِّ بالهجوم عليه. أما إذا امْتَحِنَ مرَّةً بهما يقصد تأديبه، فإنَّ القُوَّةَ المُقَدَّسَةَ تُرافِقُهُ وتَبْقَى مُحِيطَةً بِهِ وتُشجِّعُهُ على عَدَمِ الخوفِ (من هجمات الشَّيْطَانِ). هكذا تَحْمَلُ نِعْمَةُ اللهِ النَّاسَ وتُعَلِّمُهُمْ، خاصَّةً الَّذِينَ سَلِمُوا ذواتهم بنقاوةٍ وبساطةٍ إلى أيدي جابِلِهِمْ، وزهدوا بالعالم بكلِّ قلوبهم، وسَارُوا وراءَهُ. 404

2. أذْكَرُ بَدَايَةِ جِهَادِكَ: عِنْدَمَا تَخْرُجُ (لتسير) وراءَ اللهِ، تَذَكَّرُ دَائِمًا بِدَايَةِ جِهَادِكَ وَغَيْرَتِكَ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ، والأفكار الحارَّة التي كانت تُراوِدُكَ عِنْدَمَا خَرَجْتَ مِنَ البَيْتِ وَدَخَلْتَ مَعْمَعَةَ الحَرْبِ. إختبر نفسك كلَّ يوم حتى لا تَبْرُدَ حَرَارَتُهَا الأَسْلِحَةَ التي كُنْتَ مُتَوَشِّحًا بِهَا (أي اليقظة والغيرة وحرارة القلب). 405

إِرفَعِ صَوْتَكَ دَائِمًا فِي قَلْبِ المَعْرَكَةِ وَشجِّعِ أولاد اليمين (الأفكار الحسنة) وتشدَّد وأظهر للجهة المعاندة (الأهواء و الشياطين) أنك مُتَيَقِّظٌ. وإذا رأيتَ في البداية هُجُومًا مُخِيفًا مِنَ المَجْرَبِ، لا تَتَهَاوَنَ، فلعَلَّ هذا الهُجُومُ يوافقُك، لأنَّ مُخْلِصَكَ لا يَسْمَحُ بِسَهولَةٍ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْكَ شَيْءٌ لَيْسَ لِمَنْفَعَتِكَ.

لا تَتَكَاسَلْ فِي البَدَايَةِ لِئَلَّا تَسْقُطَ فِي الخَطُوطِ الأُمَامِيَّةِ (في ميدان معركة الجهاد، في بداية جهادك) فتعجز عن مُقاومة الأحران الناتجة عن الجوع والمرض والخيالات المرعبة وغيرها. 406 ولا تَتَخَلَّ عَنْ مَكَانِ جِهَادِكَ لِأَنَّهُ يُسَاعِدُكَ عَلَى

خَصْمِكَ، لِئَلَّا يَجِدَكَ هَذَا الخَصْمُ كَمَا كَانَ يَتَمَنَّى. 407

403 التواضع غالباً هو عمل إرادي، وعندما يختاره الإنسان يرتقي بالنعمة إلى مراتب سامية من الفضائل. أما المتكبر فينحدر إلى الجسدانية وتتخلى عنه نعمة الله.

404 عندما يُهاجم المُجاهد بحب اللذة والراحة، عليه أن يتيقظ ويُدرك العاقبة، و أن يُسلم أمره لله و يزهد بالعالم و يُقاوم ويصبر على التجربة، فتأتيه المعونة الإلهية.

405 سبق للقديس إسحق القول إنَّ على الراهب أن يتذكَّر سقطاته لكي يتواضع؛ وهنا يقول إنَّ عليه أن يتذكَّر حرارته السابقة لكي يستحثَّ نفسه على المثابرة في الجهاد.

406 من يشرع في الجهاد، عليه أن يثبَّت على البرِّ و التقوى ، و يتهيأً للتَّجربة (سيراخ 2 : 1). لذلك عليه أن ينطلق بنشاط ومن دون تهاون، وإلاَّ يصير عرضةً لشتى التجارب، ويقع في شتى الفخاخ، كالخوف والحزن والضجر...

= المقالة الرابعة والخمسون =

1. في مُحاربة العدو: إنَّ انتصار النَّاسك (الراهب المُجاهد) وفشلُه، كُنْزُه وسنْدُه، وكلُّ ما يملكُه، موجودٌ في فكره، وإنَّ تحوُّله يصير بإشارة (بحركة) صغيرة. فلُكي يتحرَّك الفكر من مكانه ويهبط من ذلك العلوِّ لا يحتاج إلاَّ إلى إيماءة خاطفة (حركة أو تجربة صغيرة تحدث في الفكر). إنَّ القوَّة المؤازرة لنا (التي تعضدنا) لا تُقهر، و الربُّ الكليُّ القُدرة أقوى من الجميع، وهو الغالب في كلِّ وقت، عندما يخوض الحرب معنا (ويُعِيننا) في (الحروب الناشئة عن) جسدنا المائت.

أما عندما تُغلب فإنَّ هزيمتنا تحصل من دون إلهنا. لأنَّ الذين يُعرُونَ أنفسهم منه باختيارهم بسبب جُحودهم (يبتعدون عنه ويُنكرون قوَّته في مُعاصداتهم)، سيُدركون فُقدانهم القوَّة (الإلهية) التي تعضد المنتصرين؛ (و يفقدون) قوَّتهم الذاتية التي كانت تُساندُهم في أثناء الحروب العنيفة. (بعدها) يحلو السُّقوط في أعينهم (ويستمتعون بالاستسلام للأهواء)، ويصعب عليهم الصُّمود في مشاقِّ الجهاد ضدَّ العدو (إبليس). لقد كان بإمكانهم الانتصار في الجهاد بشجاعة و غيره حين كانت طبيعتهم تتحلَّى بالاندفاع الحار، أما الآن فقد فُقدوا القوَّتين (معونة الله، وقوَّتهم الذاتية).

2. في وُجوب المُباشرة بالجهاد بنشاط: إنَّ الذين يبدأون جهادهم بالكسل والترأخي يخافون من الجهادات ويضطربون حتى لى سماعهم حفيف أوراق الشجر، أو (يتشوشون) من ضيقٍ يُسبِّبه جوعٌ قليل، ويُغلبون بأبسط مرَض، فيتخلَّون عن الجهاد ويتقهقرون. 409.

أما المُجاهدون الحقيقيون فلا يستسلمون للهزيمة ولا يتخلَّون عن عزمهم الثابت لأنهم يتشوقون ويرغبون بكلِّ قلوبهم أن يَضغوا (يُضيقوا على) أنفسهم (ويُجهدوا أنفسهم) حُباً بالله، ويُفضِّلون التَّعب من أجلِ الفضيلة على اقتناء الراحة

الوقتية. و المشقات التي يكبدونها لا تجعلهم يشكون في محبة المسيح، بل يقبلون التجارب برغبة وشجاعة حتى آخر نسمة من حياتهم.

407 من المهم أن يثبت المجاهد في مكان واحد. مكان الجهاد هو حصن للراهب، سواء أكان عائشاً مع جماعة، أم في مكان محاط بمجاهدين آخرين. أما إذا تخلّى عن مكان جهاده، أو خرج منه لفترة من الزمن، فقد تسهل على الشيطان ابتهل إلى الله باستمرار وابتك أمام نعمته ونح وكّد (اجتهد حتى التعب) حتى يرسل لك (الله) المعونة. فإذا شاهدت مخلصك بقرية، فالعدو الذي يحاربك لن يغلبك أبداً. 408 مهاجمته؛ خارج حصنه، يصير الراهب عرضةً لتجارب العالم والاختلاط غير الضروري بالناس، وللتشتت والتلهي والتهاون في الصلاة، وتراخي الحواس، فتسهل مهاجمته.

408 على المجاهد أن يطلب معونة الله بحرارة وباستمرار، ببكاء ونحيب، حتى التعب، فتأتيه المعونة ويشعر بها.

= المقالة الخامسة والخمسون =

1. الخطيئة عدو: من يكره الخطايا يقلع عنها. لا يمكن لأحد أن يطرح الخطيئة عنه قبل اعتبارها عدوًا، أو أن يحظى بالمغفرة قبل الاعتراف بالآثام. عداوة الخطيئة دليل التواضع الحقيقي، 410 أما الاعتراف بها فدليل على الندامة المتولدة في القلب. إذا لم نبغض الأعمال التي تستوجب التوبخ، بل استمرينا في الاحتفاظ بها في نفوسنا، فلن نستطيع الإحساس بتأثير قذارتها (ولن ننال المغفرة عليها) 411.

2. في مراقبة الذات والابتعاد عن العالم: طوبى لمن ابتعد عن العالم وادلهمايه وراقب نفسه وحدها، لأن البصيرة والتمييز لا يعملان جيداً في الإنسان المهتم بالأمر الباطلة. ومن تعكرت بصيرته لا يميز كما يجب. 412 طوبى لمن تخلّى عن ترشح الخمر (سكر الخطيئة) و إدمان النهم (نهم الشهوة) بعد أن شاهد عاقبتها في الآخرين وعرف خزيها 413.

ما دام الإنسان ثملاً ومترشحاً بخطاياها، ستبدو أعماله جميلةً ومحتشمةً في عينيه 414. والطبيعة عندما تتفلت من نظامها لا تفرق بين (تأثير) سكر الخمر و سكر الشهوات 415. فكلا الأمرين واحدٌ بالنسبة إليها، لأنها يخرجان عن اللياقة [و يفقدان الإنسان وعيه و يقظته] ويولدان في الجسد لهيباً واحداً هو لهيب الشهوة [التي تطلب التكرار والمزيد بنهم، و بدرجة أكبر في كل مرة].

409 الاندفاع يولد في الجهاد العزيمة والشجاعة، أما التراخي فيولد الخوف والضيق والاضطراب والهزيمة.

410 المتكبر لا يعترف بخطيئته، ولا يعتبر ممارستها أمراً شائناً. أما المتواضع فيعتبر الخطيئة عدواً، فيحاربها بكل قوته ويندم ويتوب عنها، ولتواضعه، يستطيع الاعتراف بها، فينال نعمة؛ أنظر المقالة 13، الفقرة 3؛ المقالة 30، الفقرة 2.

411 ندامة القلب لأجل الخطيئة تدفع الخاطي إلى الاعتراف بخطيئته والتوبة عنها؛ أما إنكار الخطيئة والاستمرار في ممارستها، فيفقدان الخاطي الإحساس بها وبقذارتها فيزداد انغماسه فيها، ويلقى في التهلكة.

412 يقول القديس إسحق إن الاهتمام بالأباطيل يعمي الوعي، وإن التوحد والابتعاد عن العالم وظلمته شرط لمراقبة الذات و التمييز، أي مراقبة الإنسان لذاته و حركات أفكاره، فيستطيع تمييزها.

413 هنا وصفٌ بليغٌ للإدمان الذي تسببه الشهوة، يقول: تسبب الشهوة سُكراً و ترثحاً يشبه سُكراً وترثح الخمر، وإدماناً،

فيتولد في الجسد نهمٌ واحدٌ ولهيبٌ واحدٌ (يطغى على ما سواه) هو نهم الشهوة ولهيبها (2 بطرس 2 : 14). و تتعكر

البصيرة ويتعطل حسُّ التمييز، ويفقد المرء وعيه ويقظته (أي يعجز عن مراقبة ذاته)، فلا يرى خطيئته. وتتفلت الطبيعة

البشرية ويتعطل نظامها وتحيد عن إطارها، ويخرج الإنسان عن اللياقة تجاه الآخرين، فيصيبه الخزي. و سبب كل ذلك

3. في التعب والراحة والتجارب والتوبة: الراحة تعقبها المشقة، وكلُّ مشقة من أجل الله تعقبها الراحة 416. فمحبو اللذة

(سرعان ما) يشعرون بالعذاب جزاءً لأعمالهم. لأن اللذة يعقبها اشمزازٌ ثم تمرمر. أما الذين تحملوا شقاء (الجهاد) فيشعرون

بالراحة الوقتية (الحقيقية) كعربون للراحة الأبدية.

احترس من (أحاسيس) التعزية (والارتياح) التي تسبق الحرب (فهذا إيذانٌ بأن العدو يحضر لك فحاً و حرباً، فلا تتراخ).

تحفظ من (التماس) المعرفة (الإلهية) قبل مواجهة التجارب (التي تشنها عليك الأهواء)، واحترس من الشوق إلى الفضيلة

قبل كمال التوبة 417.

4. في أن التوبة هي أسمى الفضائل: لأننا جميعاً خطاة، وليس أحدٌ منزهاً عن التجارب، فالتوبة هي أسمى الفضائل، وعملها

ليس له نهاية (لأنه يستحيل أن نكف عن الخطيئة ما دُمنا في هذه الحياة). التوبة توافق جميع الذين يريدون الخلاص،

سواءً أكانوا خطاةً أم أبراراً (فحتى الأبرار يجب أن يكونوا في توبةٍ دائمة). وكما أن الكمال لا نهاية له حتى القداسة،

فهكذا التوبة. إنها لا تنحصر في الأزمنة والأعمال، إنما في الموت (لا تنتهي من أعمال التوبة إلا عند المات).

5. في وجوب الحدّر من الفرح الخايع: احذر الأمور التي تظنّها صحيحةً وسليمةً 418. احذر الفرح الذي لا يعتره تحوّل

419 فالعليُّ يدبر كلَّ شيءٍ بطريقة لا يمكنك أن تدركها ولا أن تعرف حدود تغييرها وأسبابه. إن الذي أحسن قيادة

سفينة هذا العالم بحكمته جعل التغيير يرافق كلَّ أعماله. وكلُّ شيءٍ لا يسير بحسب هذا النظام يكون وهماً.

هو الانهماك في أمور العالم و أباطيله. ولا سبيل إلى التحرر من إدمان الشهوة و عواقبها سوى الخروج من العالم و مراقبة الذات بحرص شديد. ومن هنا قوله: " طوبى لمن ابتعد عن العالم و ادلهمامه وراقب نفسه وحدها"، أي تخلّى عن مشاهدات العالم و أموره واهتمّ بإصلاح ذاته. وهذا هو مُنطلق و غاية الحياة الرهبانيّة. أنظر المقالة 11، الفقرة 4.

414 " تملقَ نفسَه حتى لا يجدُ إثمَهُ ممقوتاً في عينيه" (مزور 35 : 3). " فالنفسُ تُسرقُ وتفقدُ فضيلتها عندما تأتي أعمالاً رديئةً كأنها غير رديئة، ونحن مسبيون، ولا نشعرُ بذلك" القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 26 : 11.

415 " الويل والشقاء والمنازعات والشكوى والجراحات من غير علةٍ للذين يُدمنون الخمر" (أمثال 23 : 29 - 35). " بالخمرِ الدعارة" (20 : 1) " والفجور" (أفسس 5 : 18).

416 الراحة هنا هي راحة الانتصار على التجربة وليس الراحة من الجهاد.

417 على المُجاهد أن يتوب قبل المباشرة بالعمل لاكتساب سائر الفضائل، لأنه لا فضيلة من دون توبة.

6. في أن الاعتدال في العمل أساس الثبات في الجهاد: الراحة (التي يلتبسها الراهب خارجاً عن طريق الجهاد) 420

بليها تشوش و اضطراب في الأفكار؛ والعمل (الروحي) غير المعتدل (فوق الطاقة) يليه ضجر فتشوش. التشوش الناجم عن الراحة (الخارجة عن طريق الجهاد) يعقبه حرب الفسق (خطايا الجسد)، أما التشوش (الناجم عن العمل فوق الطاقة) فيعقبه ترك النُسك (الجهاد) والتنقل من مكان إلى آخر 421. العمل المعتدل والمستمر في (ممارسة) الجهاد لا يُثمن (فلا تُحمّل نفسك فوق طاقتها). الاعتدال يُنمي اللذة (الروحية)، أما الإفراط فيغذي التشوش. (اعتدل في جهادك) واصبر على طبيعتك التي تتغلب عليك (تضعف لدى تحميلها فوق طاقتها)، لأنك (بالصبر) معدّ لبُلوغ الحكمة التي إكليلها لا يزول 422.

7. في الخوف من اعتلال الجسد: عندما يحين أجلك وتأتي الأيقونة السماوية أي المسيح ملك السلام، 423 فلا تجزع

من التغيير الحاصل بسبب اضطراب جسدك، لأنه، 0 في ضعفه)، صار (بفداء المسيح) مهياً للنعيم الذي تستحيل معرفته على الذين يُفكرون بالجسديّات. 424 لأن المشقة (الجسدية) وقيّة لمن يتقبّلها بفرح 425.

418 يُميّز القديس إسحق بين الظنّ، أو الرأي الناجم عن المعرفة الآنيّة، وبين التّمييز، الذي هو عمل روحيّ يقوم به الراهب ويلتمسه من الله في هدي الروح القدس، بصلاة طويلة حارة. فليعلم الراهب أنّ الظنّ ليس كافياً، وقد يُخطئ، و إنّ هناك دائماً ضرورة للتّمييز، بحسب قول الكتاب: " اختبروا كلّ شيء و تمسّكوا بالحسن" (1 تسالونيكي 5 : 21).

419 الفرغ غير المتحوّل قد يكون مصدره دُنويّاً؛ فيحدّر المُجاهد لأنّ الحياة في تغيّر دائم، وقد يعنى الهدوء أنّ الشّرير يُعدّ لك فحّاً. أنظر المقالة 55، الفقرة 3.

420 المقصود هنا الراحة الطوعيّة، أي التّراخي؛ وليس المقصود الراحة النَّاجمة من انتصار المُجاهد على تجربةٍ ما.

421 إنّ مُمارسة العمل الروحيّ، وكيفيّة مُمارسته، تتطلّب تمييزاً ونوراً من الربّ؛ أما العمل الرّائد عن حدّة فسببه الكبرياء وعَدَم التّمييز، و سرعان ما يُسبّب للرّاهب الإرهاق الشّديد، فيُصاب بالضّجر والتشوّش ويترك عمل جهاده، و يرغب في الخروج من مكان جهاده والتنقّل من دِير إلى آخَر.

422 الحكمة هنا تعني اقتناء المعارف الإلهيّة. والاعتدال في الجهاد يعنى الصّبر والمثابرة، والسّير بثبات في الطريق لبلوغ الحكمة والتّمييز واكتساب التواضع وسائر الفضائل.

423 أي عندما تشعُر بدنوّ أجلك بسبب تغيّرات تطرأ على صحّتك.

8. في وُجوب طرد الأهواء من بدايتها: الأهواء (الشّهوات) تُشبه الكلاب التي اعتادت ارتياد دكان الجزار؛ فهي تُطرد بصرخةٍ واحدة، لكنّها إذا أهملت، تهجم كالأسود الضّخمة. [تسهل مُقاومة الأهواء وطردّها في بدايتها قبل أن تستشري 426] أرذل الشهوة الصّغيرة من بدايتها حتى لا تتذكّر فيما بعد شدّة التّهابها. 427 الوقاية في الأمور الصّغيرة تُنقذ من الخطر، و يستحيلُ ضبّط التّجارب الكبيرة قبل التغلّب على التّجارب الصّغيرة، [لأنّ من يتهاون في الصّغائر يقع في الكبائر]

9. أذكر المرتبة التي أهلت لها، واصبر، واثبت في الجهاد: تذكّر المرتبة (السّماويّة) التي أهلت لها، والتي ينسحق بها الفسّاد، 428 فهي ليست كهذه الحياة، و استمرارها ليس رهناً بالطّعام والشّراب، و ليس في طبيعتها لهيبٌ ناجم عن تفاعلات العناصر الماديّة التي تُسبب الشّقاء بعد اللذّة. 429 إصبر على تعب الجهاد الذي حُضنته لأجل الامتحان (الأخير)، لتنال من الله إكليلك وتستريح بعد أن تجتاز (هذا) العالم 430. تذكّر الرّاحة اللامتناهية، والحياة الخالية من الخداع (خداع القلب وخداع الأهواء وخداع الشّرين)، 431 وتذكّر المرتبة الكاملة والتّدبير (الإلهيّ) الثّابت (والأكيد، الذي لا يتغيّر)، 432 وذلك الاختطاف (إلى السماء لدى المجيء الثّاني للمسيح) 433 الذي يرغمك على محبة الله ويتسلّط على طبيعتك 434.

424 مَنْ يَفْكَرُ فِي الْجَسَدِيَّاتِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَّقُوهُ فِي سَاعَةِ الْأَجْلِ. أَمَا مَنْ يَعِيشُ فِي النُّعْمَةِ، فَيُدْرِكُ أَنَّ مَشَقَّةَ جَسَدِهِ هِيَ وَقْتِيَّةٌ، وَأَنَّ جَسَدَهُ، فِي ضَعْفِهِ، صَارَ مُعَدًّا لِلنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ.

425 إِنَّ جَسَدَ الْإِنْسَانِ الْمُشْرِفِ عَلَى الْمَوْتِ، فِي ضَعْفِهِ، مُهَيَّأٌ، بِفِدَاءِ الْمَسِيحِ، لِلنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَجْزِعَ مِنْ ضَعْفِ جَسَدِهِ، بَلْ أَنْ يَتَقَبَّلَ ذَلِكَ الضَّعْفَ بِفَرَحٍ. هَذِهِ الْحَقِيقَةُ لَا يُدْرِكُهَا الَّذِينَ يَفْكَرُونَ بِالْجَسَدِيَّاتِ، بَلِ الَّذِينَ اغْتَنَوْا بِالرُّوحِ.

426 أَنْظُرِ الْمَقَالََةَ 5، الْفَقْرَةَ 6، الْمَقَالََةَ 26، الْفَقْرَةَ 3 وَالْمَقَالََةَ 55، الْفَقْرَةَ 8.

427 الْأَهْوَاءُ فِي بَدَايَةِ هُجُومِهَا يَسْهُلُ طَرْدُهَا كَمَا تُطْرَدُ الْكِلَابُ بِصَرْخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَدَايَةِ مَجِيئِهَا إِلَى دَكَّانِ الْجَزَارِ. لَكِنْ إِذَا أَهْمَلْتَ تِلْكَ الْأَهْوَاءَ، تَتَمَلَّكَ فِي الْإِنْسَانِ وَتَسِيْطِرُ عَلَى عَقْلِهِ وَخِيَالِهِ وَذِكْرِيَّاتِهِ، فَتَهْجُمُ كَالْأَسْوَدِ الضَّخْمَةِ، وَيَصْعُبُ طَرْدُهَا.

428 قَالَ الْقَدِيسُ إِسْحَقُ سَابِقًا إِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَى الرَّاهِبِ أَنْ يَذْكَرَ حَرَارَتَهُ السَّابِقَةَ لِيَسْتَحْتَّ نَفْسَهُ عَلَى الْمُثَابِرَةِ فِي الْجِهَادِ، وَأَنْ يَذْكَرَ الْمَوْتَ دَائِمًا وَأَنْ يَذْكَرَ سَقَطَاتِهِ لِكَيْ لَا يَسْتَكْبِرَ. وَهَذَا يَقُولُ إِنَّ عَلَى الرَّاهِبِ ذِكْرَ الْمَلَكُوتِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ، لِكَيْ يَصْبِرَ وَيَتَشَجَّعَ عَلَى احْتِمَالِ الشَّدَائِدِ وَيَزِدَادَ قَلْبُهُ حَرَارَةً وَاضْطِرَامًا.

= الْمَقَالََةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ =

1. فِي الْخُلُوعِ وَذِكْرِ اللَّهِ: عَلَى (الْمُجَاهِدِ) الَّذِي أَسْلَمَ ذَاتَهُ لِلزَّرْعِ السَّمَائِيِّ (غَرَسَ كَلِمَةَ اللَّهِ 435 وَالْإِلَهَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ) أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ كُلِّ اهْتِمَامٍ دُنْيَوِيٍّ، حَتَّى إِذَا أَفْرَغَ ذَاتَهُ مِنْ (أُمُورِ الْعَالَمِ) يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَ بِنَامُوسِ الرَّبِّ (يَذْكُرُهُ وَيُرْدِّدُهُ) لَيْلًا وَنَهَارًا. 436

الأَرْضُ الْجَيِّدَةُ تُفْرِحُ الزَّارِعَ بِثَرِيَّتِهَا الَّتِي تُنْتِجُ مِثْلَ مِئَةِ ضَعْفٍ. 437 وَالنَّفْسُ الَّتِي صَقَلَهَا ذِكْرُ اللَّهِ وَالسَّهْرُ الدَائِمُ يَحْفَظُهَا الرَّبُّ بِأَنْ يَجْعَلَ حَوْلَهَا سَحَابَةً تَظِلُّهَا وَتُضِيئُهَا بِنُورٍ مِنْ نَارٍ يَنْبَعِثُ مِنْ دَاخِلِهَا (مِنْ دَاخِلِ السَّحَابَةِ). 438.

2. فِي الْاِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ: مِنْ (كَثْرَةِ الْاِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ) وَكَثْرَةِ الْكَلَامِ وَعَدَمِ الْاِنْضِبَاطِ فِي أَثْنَاءِ الْلِقَاءَاتِ، يَتَوَلَّدُ الْجَهْلُ (الرُّوحِيَّ) وَالتَّشَوُّشُ 439. الْاِهْتِمَامُ بِالذَّنْبِيَّاتِ وَالنَّفْسِ وَالذَّهْنِ وَيَطْرُدُ مِنْهُ الْهُدُوءُ. 440.

429 الْحَيَاةُ الْأُخْرَى لَيْسَتْ مَنُوطَةً بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَهِيَ تَخْلُو مِنْ اضْطِرَامِ الشَّهْوَةِ.

430 يُخَاطَبُ الْقَدِيسُ إِسْحَقُ الرَّاهِبَ الَّذِي بَلَغَ مَرْتَبَةً رُوحِيَّةً سَامِيَةً ثُمَّ أَصَابَهُ التَّرَاخِي، وَ يُذَكِّرُهُ بِأَنْ حِفَاظَهُ عَلَى تِلْكَ

الْمَرْتَبَةِ لَيْسَ رَهْنًا بِالْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَ لَدَّةٍ، فَهَذِهِ تُسَبِّبُ الشَّقَاءَ بَعْدَ اللَّذَّةِ. بَلْ إِنَّ حِفَاظَهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ

يَتَوَقَّفُ عَلَى صَبْرِهِ فِي الْجِهَادِ وَالتَّطَلُّعِ إِلَى الْمُكَافَأَةِ الَّتِي يَنَالُهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ؛ أَنْظُرْ فَيْلِبِّي 3 : 13-16 .

431 تكوين 3 : 1 و 13 ؛ 2 كورنثس 11 : 3 ؛ إرميا 17 : 9

432 يعقوب 1 : 16 – 17

433 1 تسالونيكي 4 : 16 – 18

434 الاختطاف: الخبرة الروحية السامية التي تُراود المُجاهد في لحظات قليلة، أو: الاختطاف إلى السماء لدى المجيء الثاني للمسيح (1 تسالونيكي 4 : 16 – 18)؛ وكلا الخبرتين تحثان المُجاهد على محبة الله.

435 هنا إشارة واضحة إلى مثل الزارع (متى 13 : 3 – 23)؛ أنظر أيضاً كولوسي 3 : 16 ؛ يعقوب 1 : 21؛

436 يُكمل القديس إسحق فكرة الزرع في إنجيل القديس متى بفكرة نمو الزرع في المزمور الأول، الذي يقول إن الرجل البار الذي يذكر الرب نهاراً وليلاً هو كالشجر المغروس على مجاري المياه. (مزمور 1 : 1 – 3).

437 الزارع هنا هو الرب، وقد يكون أيضاً الراهب نفسه (عبرانيين 6 : 7 – 8)، الذي أحسن حث أرضه باقتناء الفضائل، فينال فرحاً سماوياً. (متى 13 : 3 – 23).

438 إشارة إلى عمود الغمام وعمود النار الذي رافق الشعب وحفظه في الصحراء (خروج 13 : 21 – 22).

3. في الشراة : من الشراة يتولد اضطراب الأفكار 441. كما تحجب السحابة ضوء القمر، هكذا تحجب تبخرات البطن (التخمة) حكمة الله عن النفس. ومثلما تتأجج النار بالحطب اليابس، يتأجج الجسد بالبطن المتخّم. وكما أن إضافة الحطب إلى الحطب تزيد لهيب النار، فإن تنوع المآكل يزيد حركة (رغبات) الجسد.

4. في محبة اللذة: معرفة الله لا تسكن في جسد يحب اللذة، ومن يحب جسده (وما يعطيه من ملذات) لن يحظى بنعمة الله. كما تفرح الأم بطفلها بعد أوجاع الولادة، تفرح النفس بمعرفة أسرار الله بعد تعب الجهاد. الكسالى و محبو اللذة لن يجنوا (يحصدوا) غير ثمار الخزي. وكما أن الأب يعيل الأبن، هكذا المسيح يعيل الجسد الذي تحمّل المشقة من أجله ويكون دائماً قريباً من فيه (يسمع طلبته ويستجيب له سريعاً) 442. العمل (تعب الجهاد الروحي لأجل ضبط الحواس والجسد) هو غنى لا يُقدّر.

5. في غربة المُجاهد عن العالم: البعيد عن الدنيويات غريب (لأنه تغرب عن العالم) والذي يعيش كل أيامه في الجوع

والعطش من أجل الخيرات الآتية 443 هو نوح (لأن حياته هي نوح دائم التماساً لنعمة الله. 444

439 بالاختلاط الزائد بالناس يلتمس الراهب التعزيات البشرية، لكن ذلك يفقده هُدهوه ويُسبب له تشوش الذهن والتراخي في الجهاد. ويغفل عن ذكر الله الدائم، الذي هو أمر أساسي بالنسبة إلى الراهب، ويهمل مطالعته الروحية،

أو يَنسى ما قد قرأ منها، بسبب تشتُّته، فيقع في الجهل الروحيّ. الاختلاط غير اللازم بالنَّاس هو اهتمامٌ بالدُنويَّات وما فيها من أباطيل.

440 أنظر المقالة 27، الفقرة 3.

441 يتفق كُتَّاب الأدب النَّسكيّ على أن الشَّراهة وامتلاء البطن تحملان الراهب على الكسل وخُمول الذَّهن والنُّعاس وحُبِّ النوم والتراخي في الصلاة وعدم القُدرة على القيام بالسَّجَدات، فتتحرك الغرائز ويضطرم الجسد بالشَّهوة، و يضطرب الفكر ويتشوّش الذهن، ويصعُب على الرَّاهب ضبط حواسه، بخلاف الصَّيام، الذي يُهدِّب النَّفس ويضبط الغريزة، فينال المُجاهد صفاء القلب و يستطيع التأمل في الإلهيَّات؛ أنظر: القديس يوحنا السلمي ، السلم إلى الله، المقالة الرابعة عشرة.

442 المسيح يعطف على جسد الإنسان الذي تحمّل المشقة من أجله، فيُعيله كما يُعيل الأب ابنه، ويسمع دُعاه.

443 يعيش الراهب في جوع و عطش دائمين إلى البرّ، بحسب قول الربّ: " طوبى للجِياع والعِطاش إلى البرّ، فإنهم يُشبعون" (متى 5 : 6)

الرَّاهب (المُجاهد) هو الجالس خارج العالم مُتضرِّعاً إلى الله على الدوام ليحظى بخيراته (الإلهيَّة). غنى الرَّاهب المُجاهد هو التَّعزية النَّاتجة عن النَّوح؛ 445 (و غناه أيضاً هو) الفرح النَّابع من مَخادع (داخل) الذَّهن نَتيجة الإيمان السَّاطع.

6. في العِفَّة والصَّلاة: إذا كُنْتَ تُحِبُّ العِفَّة فاحفظ جسدك من دَنس المُعاشرة (كثرة الكلام والاختلاط غير المُنضبط بالآخرين)، 446 واحترم نفسك في خلوتك 447. أطرِد الأفكار القبيحة بالمُطالعة والصَّلاة الطَّويلة، فتحصل على سلاح تُحارب به أسباب الطَّبِيعَة (هجمات التَّجارب والجسد) وترى الطَّهارة في نفسك . [لأنَّ العِفَّة، أي الطَّهارة، هي من أسمى الفضائل، وأحبَّها إلى قلب الله. 448]

7. في الرَّحمة: هنيئاً لمن لا يُميِّز في ذهنه بين إنسانٍ و آخر، بل يرحم الجميع على السَّواء. لكي تفتني عمَل الرَّحمة، عود نفسك على الابتعاد عن الأشياء والأشخاص والماديَّات) كلُّها حتى لا ينجذب ذهنك إلى أثقالها فيتقلَّت ويخرج عن حُدوده (يصعُب عليك ضبط ومراقبة وتمييز أفكارك). لأنَّ صحَّة عمَل الرَّحمة تَظهر في اختيار الظلم للنَّفس (تقبُّل مظالم الآخرين) وتحمُّلها بصبر. 449.

إذا كنتَ رحيماً بالحقيقة فلا تحزن إذا اغتصبت ممتلكاتك عنوةً، ولا تُذع خسارتك أمام الملاء، بل استر برحمتك الضرر الذي سببه لك المغتصبون وأظهر لظالميك كثرة رحمتك بأن تُجازيهم بدّل الشرّ خيراً 450.

8. في التواضع واحتمال الظلم: المتواضع بالحقيقة لا يضطرب عندما يُظلم، ولا يُدافع عن التهم الكاذبة الموجهة إليه، بل يحتملها بفرح، ويقبل الافتراء (الكاذب كأنه) الحقيقة، ولا يهتم بإقناع الناس بأنه بريء، بل يطلب أن يُسامحوه. 451

444 من يلتمس من الله التوبة والفضيلة بالدموع والأصوام والصلوات هو "نوح"، أي أنه ينوح على خطايه، مُلتمساً الرحمة والنعمة لذاته وللعالم. أنظر أيضاً: القديس يوحنا السلمي، سلم الفضائل، المقالة 5 : 29، والمقالة 7.

445 أنظر تعريف النوح في المقدمة، الفقرة 5. تعزيات الله للمُجاهد هي كنزه الحقيقي، لأنه يشعر بأن الله معه، يدعوه فيستجيب دعاءه.

446 أنظر الفقرة 2 أعلاه.

447 المقصود عدم ارتكاب خطيئة ضد الطهارة.

448 يقول القديس يوحنا السلمي: " العفة إسم جامع لكل الفضائل"؛ " إن مرتبة العفة رقيقة وعظيمة، حتى إن بعض الآباء جَسروا فدعوا باللاهوى" المقالة 15، الفقرتين 5 و 66

بعضهم اتهموا أنفسهم بالفجور من دون أن يكونوا فاجرين. و آخرون ارتضوا تهمة الزنى وهم بعيدون عن الفسق، و تحمّلوا ثمر خطيئة لم يقترفوها، وتظاهروا بالدموع والبكاء، طالبين المغفرة من ظالمهم، بينما كانت نفوسهم مكلّلة بإكليل النقاوة و الطهارة.

إذا كنتَ تظنّ نفسك متواضعاً فانظر إلى الذين لاموا (اتهموا) أنفسهم، بينما أنتَ لا تستطيع تحمّل تهمة الآخرين (في دُنْب اقترفته حقيقةً). وإذا كنتَ تُريد أن تعرف تواضعك، فاختر نفسك عندما تُظلم، ولاحظ إن كنتَ تضطرب أم لا.

9. في مراتب وقدرات الساكنين في المنازل السماوية السعيدة: إنّ القدرات الذهنية (الروحية) عند الساكنين في الخدر الذي يدعوه ابنُ الله " منازل أبي الكثيرة"، 452 تتنوع باختلاف المواهب الروحية التي يتمتعون بها. وتنوعها هو كالتنمُّ بنور الشمس الذي يختلف من شخصٍ إلى آخر بحسب قوّة نظره أو ضعفه، أو كالسراج الذي يُعطي ضوءاً واحداً، لكنّه يسطع أو يخفت بحسب اتساع العُرفة أو ضيقها. 453

هكذا ستكون الحال في الدهر الآتي، فيسكن الأبرار في مكان واحد من دون انفصال، وكل واحد منهم يستضيء بالشمس العقلية (المسيح) بحسب قدرته على الاستيعاب، ويحصل على المسرة كما من مكان واحد ومنزل واحد ومشهد واحد.

449 من تجرد عن الماديات والتعلق بالأشخاص، لن يكثر للظلم اللاحق به، بل يستطيع أن يكون رحيماً، فيرحم ضعف الآخر ويتألم لأجل ضعفه وخطيئته ويصلي لأجله. رحيم القلب يستر ظلم الآخرين ويجازيهم بدل الشر خيراً، ويصلي للجميع، حتى للحيوانات. أنظر المقالة 81، الفقرة 2.

450 يقول القديس إسحق إن الرحيم ليس فقط من يعمل أعمال الرحمة، بل وأيضاً من يحتمل ظلم الآخرين ويصلي من أجل ظالميه؛ أنظر رومة 12 : 20-21.

451 في تاريخ الآباء النساك أكثر من حادثة صبر فيها الراهب على الافتراء، وأظهر الله براءته، عملاً بقوله: "يُظهر كالنور برك وكالظهيرة قضاءك" (مزمو 36 : 6)

452 يوحنا 14 : 2

453 في هذا المقطع يصف القديس إسحق حال القديسين بعد انتقالهم إلى الأخدار العلوية، حيث يتمتع كل منهم بالمواهب المعطاة له، بحسب تنوعها، وأيضاً بحسب درجاتها. بهذا الكلام، يستحث القديس إسحق الراهب على اكتساب ما يمكنه من مواهب، لأنه سوف يتمتع بها ويفرح بها في السماء.

أما الغم النَّاجم عن رؤية سمو الآخر وفضيلته وموهبته، فلا وجود له هناك، حيث لا حزن ولا تنهد، بل كلٌّ منهم يفرح بالموهبة التي أُعطيت له على حسب مرتبته. وتكون المشاهدة الداخلية واحدة عند الجميع، وكذلك الفرح. ولا توجد مرتبة (روحية) وسطى بين المرتبتين، السفلية والعلوية، بل هناك تمييز في المكافآت في كلتا المرتبتين 454.

10. في أن صيانة النفس شرط لتعليم الآخرين: حسن أن يعلم الإنسان الآخرين صلاح الله ويجذبهم إلى عنايته وينقلهم من الضلال إلى معرفة الحق، فهذه كانت طريقة المسيح والرسل، وهي الأسمى. لكن إذا كان ذهن الإنسان لا يزال بحاجة إلى ضبط، وحواسه إلى إخضاع، فإن الاتصال المستمر بالناس (لتبشيرهم) سوف يُضعف مشاهدة ضميره (حسن اليقظة عنده) ويتعكر صفاؤه وتظلم معرفته. وسعيه لشفاء الآخرين سوف يفقده الصحة (الروحية) ويخرجه عن حرية إرادته (لأن أهواءه سوف تُقيده)، ويتشوش ذهنه. 455 (من لا يزال ذهنه وحواسه بحاجة إلى ضبط)، فليتذكر قول الرسول الذي ينصح الكاملين بالطعام القوي، 456 وليرجع إلى الوراثة (ليترجع عن تعليم الآخرين ولينظر إلى نفسه و

يتفحصها)، وليتذكر هذا الكلام الصريح: " يا طبيب إشف نفسك " ، 457 وليدين (و ليحاسب) نفسه ويحافظ على سلامة صحته (الروحية)، و ليستبدل بتعاليمه الظاهرة للآخرين حياةً سالحة، وليعلم بالعمل (بالصلاة والجهاد و المثل الصالح) بدل الأصوات الخارجة من فمه. 458

و متى شعر أنه أصبح مُعافى فليتقدم إلى خدمة الآخرين وشفائهم وهو بكامل صحته، لأنه إذا كان بعيداً عن الناس يُمكنه أن يُحسن إليهم بأعماله الصالحة الغيورة (أعمال جهاده) أكثر من أقواله، وهو المريض (روحياً) والمحتاج إلى علاج. لأنه " إذا كان أعمى يقود أعمى، سقطا معاً في الحفرة " 459.

الطعام القوي هو للأصحاء الذين تروّضت حواسهم وأصبح بإمكانهم تقبل كل الطعام (أي مواجهة التجارب). 460 وأعني بالطعام الضربات (هجمات التجارب) التي تُوجّهها الحواس من أجل الرياضة (التمرّن) في الكمال، من دون أن يتأذى بها القلب (لأنّ المجاهد واجهها و انتصر عليها). 461

454 المرتبات هنا لا تعني السماء و جهنّم، بل درجات العلوّ في المواهب التي حققها كلّ مجاهد. يقول القديس إسحق إنّ "المنازل السماوية" تختلف في " اتساعها"، أي أنّ القدرة على التمتع بنور المسيح تختلف بين مجاهد و آخر. فالساكنون في الأخدار السماوية هم على مراتب، وكلّ يتمتع بنور المسيح على حسب قدرته. والراهب يحصل المرتبة التي سيكون عليها في السماء من خلال جهاده على الأرض، فتكون هذه المرتبة هي مكافأته على أتعاب جهاده

11. في صلاة المتواضعين: " عينا الربّ على المتواضعين وأذناه إلى استغاثتهم " 462 صلاة المتواضعين تُشبه من يهمس في أذن الآخر (الرب). (تواضع) و أصرخ في سكينتك وسط أعمال التواضع الصالحة: " أيها الربّ إلهي، أنر ظلمتي " 463 (و امنحني تواضعك و أرشدني في طريقك واهدني و ساعدني في جهادي).

12. في أعمال الجهاد، والشدائد الصائرة لأجل الله: إذا كنت خالياً من الأعمال (الجهاد) فلا تتكلم عن الفضائل. كريمة أمام الربّ الشدائد الصائرة من أجله. إنها أسمى من كلّ صلاة و ذبيحة، و رائحة عرقها (تعبها) أزكى من الروائح الطيبة. كلّ فضيلة من دون تعب جسديّ (تموت قبل أن تولد) هي كالسقط (كجسد ميت) بلا روح. تقدّمات الأبرار دموعهم، و ذبيحتهم المقبولة هي تنهداتهم في الاسهار التي يحييها الراهب مُصلياً. [فيستحيل اقتناء الفضيلة من دون جهاد و تعب و مشقة] .

13. الملائكة يُعينون الأبرار في ضيقاتهم و آلامهم: يصرخُ الأبرار إلى الربّ، مُتضايقين من ثقل الجسد (و طالبين بدموعِ القوّة والتّعزية في تجاربهم، و التحرّر من أهوائهم و شهواتهم). يرفعون ابتهالاتهم بوجع، فتحضر على صراخهم المصافّ المقدّسة (الملائكة) لتعيّنهم و تُشدّدهم وتُعزّيهم بالرجاء [بوعود الله بالخيرات الأبدية الآتية، مكافأةً لأتعا بهم] . الملائكة هم شركاء هؤلاء (المجاهدين) القديسين في الآمهم و ضيقاتهم، لقربهم منهم. 464.

455 يستحيل على الراهب بلوغ الكمال على هذه الأرض، و القديس إسحق لا يقول إنّ الراهب يجب أن يبلغ الكمال قبل المباشرة بتعليم الآخرين. لكنّه يقول إنّّه يصعب على الدّهن المشوّش بتشتت الحواسّ تعليم الآخرين، بل إنّ اختلاطه بالناس سوف يؤذيه و يزيده تشتتاً. فإصلاح النّفس أولى بالراهب من تعليم الآخرين، و يجب أن يُترك التّعليم للمتقدّمين في الحياة الرهبانية.

456 يغتذي بالطعام القويّ من ارتقى عن الرّضيات و تعمّق في معرفة الكتب و اقتنى الفضيلة، و أصبح على مقدار من النّضج الروحيّ (1 كورنثس 3 : 2 ؛ عبرانيين 5 : 14)

457 لوقا 4 : 23.

458 أنظر أيضاً المقطع المعنون : " كلام الخبرة والكلام المنمّق " ، المقالة الأولى ، الفقرة 11

459 متى 15 : 14

460 في عُرف كتاب العبرانيين (5 : 13 - 14 ؛ 1 : 16)، " الطعام القويّ " هو تعليم الحقائق الإلهية للمتقدّمين في

14. في وجوب التقدّم إلى الأمام من دون فحص الأمور و أسبابها: طوبى للذين منطّقوا أحقّاءهم 465 ليعبروا خضمّ بحر

الشّدائد ببساطة وبلا فحص، 466 حبّاً بالله. إنهم يبلغون ميناء الملكوت بسرعة و يستريحون في مساكن الذين تعبوا حسناً و يتعرّون في مشقتهم و يتهلّلون بسرور رجائهم.

المتهافتون على الطّريق الصّعب (طريق الجهاد الروحيّ) بصحبة الرّجاء (بوعود الله بالخيرات الأبدية) لا يتراجعون ولا يُدقّقون ولا يفحصون، لكنهم بعد اجتياز بحر (المشقّات) ورؤية صعوباته (و بلوغ الميناء الأمين) يؤدّون الشكر لله لأنه نجّاهم من المسالك الضيّقة و المهّاي و ووعورتها (و اعتنى بهم) من دون علمهم. أما الذين يفكّرون كثيراً و يريدون أن

يكونوا حُكَماء، و يَسْتَسْلِمُونَ لِلشُّكِّ و الخوف، و يَرِغِبُونَ في معرفة الأسباب المَضْرَةَ سَلْفًا، فَإِنَّ مُعْظَمَهُمْ يَبْقَى مُنْتَظِرًا أَمَامَ باب بيته (لا يذهب إلى الجهاد ولا يَتَقَدَّم قِيدَ أَنْمَلَةٍ).

المعرفة. و قياساً على هذا، يقول القديس إسحق إِنَّ الطَّعَامَ القويَّ هو التَّجَارِبُ الشَّاقَّةُ التي يُجَرَّبُ بها المُتَقَدِّمُونَ في الحياة الرهبانية.

461 التشبيه مأخوذ من رياضة الملائكة، و المقصود الضربات التي غايتها التمرين من دون أن تُصِيب في المُجَاهِد مَقْتَلًا (بالمعنى المجازي)، أي أن تُسبَّب له السقوط.

462 مزمو 33 : 16

463 مزمو 17 : 29

464 يوضح القديس إسحق إحدى وظائف الملائكة، كما حصل للربِّ في بُسْتَانِ الآلام، إذ " تراءى له ملاكٌ من السَّمَاءِ يُشَدِّدُهُ " (لوقا 22 : 43).

465 إشارة إلى قول الكتاب: " أَشَدُّ حَقْوِيكَ وَكُنْ رَجُلًا " (أيوب 40 : 7). شدُّ الحَقْوِينِ بالحزام يعني الاستعداد الدائم، و هذا ما يرمز إليه حزام الرَّاهِبِ، الذي تتجلى رُجولته في قوَّة جهاده وقُدْرته على احتمال مشقَّات الحياة الرهبانية. والرجولة الرهبانية تشمل أيضاً فضيلة العفة. و لذلك فإنَّ حزام الرَّاهِبِ يرمز أيضاً إلى العفة.

بلا فحص: أي من دون كثرة تفكير، وتردد، و فحص فضوليٍّ للأسرار الإلهية. و هذا الأمر يُعَاكِسُ التَّسْلِيمَ الكليَّ لله، و الثِّقَّةَ الكليَّةَ بحُسن تدبيره. وهذا يعني عَدَمَ التَّسَاوُلِ حَوْلَ (سَبَبٍ وَكَيْفِيَّةٍ) مَا يَعْمَلُهُ اللهُ، و كَيْفِيَّةَ تَنْفِيذِ إِرَادَتِهِ. فتدابير الله و أسرارُه لا يمكن فحصُها بالعقل والمنطق، فهذا علامةُ شُكٍّ وَضعفِ إيمان، بينما يجب على هؤلاء،

15. في الجهاد و الثَّابِرَة: اتكل على الله و باشر السَّير في الطَّرِيقِ المِليءِ بالدَّمَاءِ (تعب و عرق الجهاد) حتى لا تبقى في فَتْرِكَ وَفِي عُرْيِكَ (من النعمة، مُجْرَدًا) من معرفة الله. 467 (معرفة الله و القرب منه مُسْتَحِيلَانِ من دون جهاد)، لأنَّ "مَنْ يَرِضُدُ الرِّيحَ لا يَزْرَعُ، و مَنْ يَرْقُبُ السُّحْبَ لا يَحْصِدُ". 468

باشِر العَمَلِ (الإلهي) الصَّالِح بشِجَاعَة وَلَا تُقْبَلُ عَلَيْهِ بِتَرَدُّدٍ. وَلَا تُشَكُّ بِرَجَاءِ (مَعُونَةٍ) اللَّهِ لِئَلَّا يَصِيرَ تَعَبُكَ بَاطِلًا، وَ يُصِحِّحِ العَمَلِ الصَّالِحَ صَعْبًا وَثَقِيلًا عَلَيْكَ. آمَنَ بِقَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ رَحِيمٌ وَيَفِي الأَجْرَةَ وَيُعْطِي نِعْمَةً لِلَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ، لَا بِمَقْدَارِ أَعْمَالِهِمْ بَلْ بِمَقْدَارِ

إِيمَانِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ (فِي الجِهَادِ وَ إِتْمَامِ الوَصَايَا وَعَمَلِ الفُضِيلَةِ وَالإِحْسَانِ)، لِأَنَّهُ قَالَ: " لِيَكُنْ لَكَ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِكَ " 469

الموت من أجل الله أفضل من حياة الخزي والكسل. عندما تُصَمِّمُ عَلَى الشُّرُوعِ فِي العَمَلِ الإلهي، أقم، قبل كل شيء، عهداً كمن لم يُعَدُّ مُتَعَلِّقًا بِهَذِهِ الدُّنْيَا، أَوْ كَمَنْ يَسْتَعِدُّ لِلْمَوْتِ، 470 فَاقْدَأْ رَجَاءَهُ فِي الحَيَاةِ الحَاضِرَةِ، وَقَدْ حَانَ زَمَنُ انْتِقَالِهِ ثَمَّ أَجْعَلْ هَذَا العَهْدَ فِي ذَهْنِكَ. أَمَّا الرَّجَاءُ بِالحَيَاةِ (الحاضرة) فَيُصِيبُ الذَّهْنَ بِالخُمُولِ، وَ يَمْنَعُكَ (يُعِيقُكَ) عَنِ العَلْبَةِ (فِي الجِهَادِ) 471.

16. فِي الحِكْمَةِ الحَقِيقِيَّةِ: لَا تَكُنْ حَكِيمًا (فِي عَيْنِي نَفْسِكَ) 472 أَكْثَرَ مِمَّا يَلِزَمُ. (لَا تُبَالِغْ فِي تَقْدِيرِ نَفْسِكَ وَلَا تَعْتَقِدْ أَنَّكَ

تَسْتَطِيعُ إِرشَادَ نَفْسِكَ لِأَجْلِ التَّقَدُّمِ فِي الجِهَادِ 9. (لَا تَكُنْ شَدِيدَ الثِّقَةِ بِحِكْمَتِكَ) بَلْ أَفْسِحْ لِلإِيْمَانِ فِي المَجَالِ لِلدَّخُولِ

إِلَى ذَهْنِكَ. 473

بِحَسَبِ القَدِيسِ إِسْحَقَ، أَنَّ يَعْتَبِرُوا عَنَايَةَ اللَّهِ الَّتِي تُحِيطُ بِهِمْ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ، وَهِيَ بَرهَانٌ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ " مَا أَبْعَدَ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ، وَ مَا أَعْسَرَ إِدْرَاكَ أَحْكَامِهِ وَ تَبْيِينَ طُرُقِهِ. فَمَنْ عَرَفَ فِكْرَ اللَّهِ، وَ مَنْ كَانَ لَهُ مُشِيرًا " 0 رومة 11 : 33-34).

466 معرفة الله تعني التقرب منه؛ فكلما ازداد المُجَاهِدُ مَعْرِفَةً بِاللَّهِ، اَزْدَادَ قُرْبًا مِنْهُ، وَ اَزْدَادَ قُدَاسَةً وَ قُرْبًا مِنْ الحَيَاةِ الإِلَهِيَّةِ: " الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ أَنْ يَعْرفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَ يَعْرفُوا يَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ " (يُوحَنَّا 17 : 3).

467 مَنْ يَرُصِدُ الرِّيحَ وَ يَرُقُبُ السَّحْبَ هُوَ الرَّاهِبُ المُتَخَاذِلُ وَ الكَّسُولُ. (جَامِعَةٌ 11 : 14).

468 مَتَى 8 : 13؛ اللَّهُ يُكَافِي المُجَاهِدَ، لَا عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِ وَحَسَبِ، بَلْ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِ.

469 أَقِمْ مَعَ نَفْسِكَ، أَمَامَ اللَّهِ، عَهْدًا لَا رَجُوعَ عَنْهُ، بِالْجِهَادِ لِمَدَى الحَيَاةِ.

إِذَا تَذَكَّرْتَ الأَيَّامَ الكَثِيرَةَ وَ الدَّهْرَ غَيْرَ القَابِلَةَ لِلوَصْفِ الَّتِي تَلِي المَوْتَ، فَلَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْكَ الخُمُولُ. 474 وَتَذَكَّرْ قَوْلَ

الحَكِيمِ: " إِنَّ أَلْفِي سَنَةٍ مِنَ الدَّهْرِ الحَاضِرِ لَيْسَتْ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ فِي دَهْرِ الأَبْرَارِ " 475.

= المَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالخَمْسُونَ =

1. في أن الجهاد مدٌ وجزرٌ: (بحرُ) الجهاد لا يُعبر في ساعة واحدة، بل تدريجاً، والنَّعمة لا تأتي دفعةً واحدة وتسكنُ في النَّفس نهائياً بل شيئاً فشيئاً. ثم لا تلبث التجربة أن تُداهم الإنسان، وتأتي بعدها التعزية. و يبقى (المُجاهد) عُرضةً لهذه التقلُّبات حتى خُروجه من العالم.

فلا نرجوَّ التعزية التامة في هذه الحياة، ولا النَّجاة من التغيُّرات (وهجمات) التَّجارب. 476 لأنَّ الله دبرَ حياتنا بهذه الطَّريقة، وجعل التحوُّلات تُرافق السَّائرين في طريق (الجهاد) طيلة حياتهم. [لكن في كلِّ ذلك، يرتقي المُجاهد تدريجاً في طريق الكَمال].

470 إذا وَصَعَ الراهب رجاءه في الحياة الحاضرة، فهو سوف يَسعى وراء الأمور الدنيويَّة ، كالمال والسلطة والعظمة... فيهوي عن جهاده. أنظر 1 كورننتس 15 : 19.

471 أمثال 3 : 7 ، 26 : 12

472 المُبالغة في تقدير الذات تُؤدِّي إلى الاتكال على الحكمة البشريَّة والمشينة الذاتية، والاتكال على الذات لأجل التقدُّم. بينما الإيمان يعني الاتكال أولاً على الله و التماس مشيئته و هدايته. فمتى " دخلَ الإيمان إلى الذهن"، ازداد الاتكال على الله، و من دون الإيمان يَسْتَحِيل التقدُّم. و الحكيم في عَيْني نفسه أكثر من اللزوم، هو ضعيف الايمان. 473 ذكر الخيرات الآتية والنَّعيم الذي يتمتَّع به الأبرار بعد الموت يحثُّ الراهب على المثابرة في جهاده.

474 مزمور 89 : 4؛ الذَّهر الحاضر سرعان ما يَزول، لننتقل إلى جوار الربِّ، كما قال الرَّسول: " إنَّ هيئةَ هذا العالم إلى زوال" (1 كورننتس 7 : 31).

475 لا يَرجو المُجاهد النجاة بالكامل من التَّجارب، و الحصول على تعزية تامة، ما دام الله جَعَلَ الحياة في تَغْيِير دائم.

= المقالة الثامنة والخمسون =

1. في الضَّرر النَّاجم عن الحَسَد: الحَسود لا يَصِل إلى سلام الذَّهن أبداً. 477 يُعرَف السَّلَام بصحَّة الذَّهن، 478 أما مَنْ فيه حسدٌ رديءٌ، فهو مُصابٌ في ذهنه بمرضٍ عُضال.

الحسد ليس من مميزات الحكمة، بل هو مرضٌ في النَّفس يدلُّ على ضيق العقل و كثرة الجهل (وعدم الحكمة). (لأنَّ) بدء حكمة الله التَّسامح والوداعة، فهما من شيم النَّفس الكبيرة التي تحتمل ضَعْفَات النَّاس. " فعلينا نحن الأقوياء في الإيمان أن نحتمل ضَعْف الضُّعفاء " 479. " إن وقع أحدكم في خطأ فأقيمهُ أنتم أبناء الرُّوح بروح الوداعة " 480. بهذا يعتبر (بولس) الرَّسول أنَّ السَّلام والصَّبْر هُما من ثمار الرُّوح القدس.

2. اصبر على سقطات الآخرين: بثوراتك على أخطاء الآخرين تُقصي الصِّحة عن نفسك (تُسبب لنفسك المرض الروحي). فاتعب (لكي تكتسب) صِحَّةً (روحيَّةً) لنفسك (بعدم الانفعال، وبتنقية ذهنك من الحسد والحقد وحب الانتقام). مَرَضُ (الآخرين) يحتاج إلى الاهتمام والعناية أكثر من الانتهاز والقصاص. و إذا كنت لا تُساعدُهم (تعتني بهم) فإنَّكَ تطرحُ نفسك في مرضٍ كبيرٍ أليم 481.

3. في كيفية التَّعامل مع الحزن: حين يمتلئ قلبُ المُجاهد بالحُزن لعجزه عن القيام بالأعمال الجسديَّة الظَّاهرة (أعمال الخير، والعبادة الجسديَّة كالصَّوم والسَّجَدَات)، بسبب المرض أو الضَّعف، فإنَّ حُزنه يُغنيه عن الأعمال الجسديَّة كُلِّها. 482 (لأنَّ) هذه الأعمال، إذا حصلت وكانت خالية من حُزن الفكر (لأجل التَّقْصير والسَّقْطَات)، فهي كجسد بلا روح. حزين القلب (لتقصيره في إتمام وصيَّة المحبَّة والتَّوبة والعبادة) إذا تشتتت حواسُّه (تراخت ولم يضبطها)، يُشبه مريضاً يتألم جسدياً لكنه يَفْعَرُ فاهُ لكلِّ طعامٍ مؤذٍ. مَنْ يَمْلِكُ قلباً حَزِيناً وَيَطْلُقُ العَنانَ لحواسِّه، يُشبه إنساناً له ابنٌ وحيدٌ ويذبحُه بيده

476 الحسد إحساس بالنقص وعدم رضى عن الذات، بسبب ما عند الآخرين من خَيْر، و بُغض الآخرين لما عندهم. وكلا الأمرين لا سلام فيهما للنفس. الحسد، كالبُغض، شعور يتآكل الإنسان من الدَّاخل ويَدْفَعُه إلى الحقد و الأذيَّة والانتقام من الآخرين، لكن لا لأيِّ ذنب اقترفوه.

477 السلام هو دليل صِحَّة الدَّهن. بهذا يربط القديس إسحق سلام الدَّهن باقتناء الذهن للفضائل. أما الذهن المُشَوَّش بالبُغض والحقد والحسد والشَّهوة... فلا سلام له، بل هو ذهنٌ مريض

478 رومة 15 : 1

479 غلاطية 6 : 1

ببطء 483. حُزنُ الفكر لأجل التَّقْصير في الفضيلة عطيةٌ ثمينة من الله، ومن يحتملُ هذا الحُزن كما يجب يَصُونُ أعضاءه في القداسة. أما الذي يُضنُّك (يُتعب) لسائهُ مفتَحِراً بالصَّالِحَات (في ذاته) ولأيماً (الآخرين) على سيئاتهم، فليس أهلاً للنعمة. التَّوبة المَقْرُونَة بالأحاديث الدنيوية تُشبه خابيةً مَنْقُوبَةً [لا تحمِلُ ماءَ النِّعْمَة] .

4. في التأثير الهدّام للمديح: "قلّما يوجد إنسان يستطيع الصّمود أمام الإكرام، ولعلّه، يستحيل وجوده، وإن كانت

أحواله كأحوال الملائكة. وسبب ذلك أنّ (الإنسان، بطبعه) سريع التحوّل (ويصعب عليه الحفاظ على تجرّده)" 484

المديح (دائماً) مقرون باللطّما (مديح الآخرين الذي يسبّب هجمات الكبرياء) ، ويُشبهه سيفاً مُغمساً بالعسل 485.

460 في العدالة والرّافة: الرّافة هي ضدّ العدالة . و إذا اجتمعا في النّفس الواحدة، فهما كإنسان يسجد لله وللاوثان.

العُشب والنّار لا يجتمعان، وكذلك العدالة والرّافة.

العدالة هي المساواة في الإنصاف، تُعطي كلّ واحد استحقاقه من دون أن تميل إلى جهةٍ أو إلى أخرى، ولا تُحابي في المكافأة. أما الرّافة فهي حُزنٌ تُحرّكه النّعمة وتُميله نحو الجميع بعطفٍ من دون أن تُجازي الشرير بالشرّ، وتملاً بالخير من يستحقّه.

إنّ حبة رملٍ صغيرة لا تستطيع مقاومة ثقل كبير من الذهب، و ضرورة عدالة الله لا تُوازي عظّمة رأفته 486.

461 في الرّافة و الصّلاة: مَنْ يُصليّ وهو حاقِدٌ يُشبهه الزّارع في البحر على أمل الحصاد. إنّ قوّة الغضب تنحدّر بأذهاننا إلى

أسفل، انحدار الماء من الشلال . أما صلوات الرّؤوفين فتتصاعد إلى السّماء كلّهيب النّار الذي لا يمكن منعه.

462 ضعيف النفس: ضعيف النّفس 487 الذي يُريد إصلاح الآخرين هو كالأعمى الذي يُريد أن يُرشد المبصرين في الطّريق.

463 في التّواضع والعفة: جماعة المتواضعين محبوبَةٌ عند الله كجماعة السيرافيم. والجسد العفيف كريمٌ لدى الله أكثر من

الدّبيحة الطّاهرة. لأنّ التّواضع والعفة يؤمنان للنّفس قرصاً (نعمةً) من الثّالوث.

464 في التعفّف: إحفظ بطنك (إعتدل وتّعفّف في مأكلك). و بالأكثر، إحفظ عينيّك، لأنّ الحرب الدّاخلية (شهوة الأكل)

أخفّ وطأةً من الحرب الخارجيّة (هجمات تجارب الحواسّ الآتية من الخارج). ولا يُمكن مُواجهة الأفكار الدّاخلية (شهوة الأكل) قبل تنظيم الجسد (بحواسّه) ، وتهذيبه.

465 في واجب الاحتراس من العادات السيّئة: إحترس من العادات (السيّئة) أكثر من الأعداء 488. مَنْ يُغذّي في داخله

عادةً ما هو كمن يُوقد (في داخله) ناراً؛ وحدود قوّتهما (النّار والعادة) كامنةٌ في المادّة التي تُغذيها. فإذا اشتّهمت العادة

شيئاً ولم تُلبّ طلبها، ستجد أنّ شهوتها تضعّف فيما بعد، أما إذا لبّيت مُشتهها فستجد أنّ قوّتها ازدادت عليك.

تذكر دائماً، وفي كلّ شيء، أنّ فائدة الإحتراس (من السقوط منذ البداية) أفضل بكثيرٍ من فائدة العمل (الجهاد الروحيّ

للتحرّر من العادة السيّئة).

466 في التَّعَامُلِ مع السَّاخِرِ والمُتْرَاحِي: لا تُصَادِقُ مُحِبَّ الضَّحْكِ والسُّخْرِيَّةِ، لِأَنَّهُ سَيَقْوَدُكَ إِلَى عَادَةِ الخُمُولِ. قَطَّبَ جَبِينَكَ بِوَجْهِ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَذِمَّ أَحَاهُ، وَمَتَى فَعَلْتَ ذَلِكَ يَحْفَظُكَ اللهُ مِنْ هَذَا الشَّرِّ.

لا تَكُنْ بِشَوْشِ الوَجْهِ أَمَامَ (الكسول) المُتْرَاحِي فِي حَيَاتِهِ (الروحِيَّةِ)، لَكِنْ احْذَرِ أَنْ تُبْغِضَهُ. وَإِذَا أَرَادَ النُّهُوضَ فَاعْطِهِ يَدَكَ وَاهْتَمَّ بِإِنْقَاذِهِ حَتَّى النِّهَايَةِ. أَمَا إِذَا كُنْتَ ضَعِيفًا فَانصَرِفْ عَنِ الإِهْتِمَامِ بِهِ إِلَى (الاهْتِمَامِ) بِنَفْسِكَ، لَكِنْ أَعْطِهِ، كَمَا يَقُولُونَ، طَرَفَ العَصَا (أَيِ أَتْبَعَهُ عَلَى تَرَاخِيهِ وَشَجَّعَهُ عَلَى النُّهُوضِ).

467 في التَّعَامُلِ مع المُتَكَبِّرِ وَالحَسُودِ: تَكَلَّمْ بِانْتِبَاهِ أَمَامَ المُتَكَبِّرِ الحَسُودِ لِأَنَّهُ سَيَأْخُذُ كَلَامَكَ وَ يُؤَوِّلُهُ عَلَى حَسَبِ مُشْتَهَى قَلْبِهِ، فَيَسْتَخْرِجُ مِنْ أَقْوَالِكَ البَرِيئَةَ مَادَّةً يُعْتَرِّ بِهَا الآخَرِينَ، وَ يَحْوِلُ كَلَامَكَ فِي ذَهْنِهِ بِحَسَبِ نَوْعِ مَرَضِهِ.

468 في عَمَلِ الإِحْسَانِ: إِذَا أُعْطِيَتْ شَيْئًا لِمُحْتَاجٍ تَدَارَكُهُ بِالإِبْتِسَامِ وَعَزَّ ضَيْقُهُ بِأَقْوَالِ صَالِحَةٍ لِأَنَّ ذَهْنَهُ يَفْرَحُ بِالإِبْتِسَامَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَفْرَحُ بِنَوَالِ الحَاجَةِ، [عَمَلًا بِقَوْلِ بولس الرِّسُولِ: " مَنْ يَرَحِمُ فَليرحَمُ بِبِشَاشَةٍ"، " لِأَنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ أَعْطَى مُتَهَلِّلًا"]

[489

469 في أَنَّ النَّمِيمَةَ هِيَ إِقْتِنَاءُ المَوْتِ: تَأَكَّدْ أَنَّكَ مِتَّ عَنِ اللهِ، وَ أَنَّ أَعْمَالَكَ (جِهَادَاتِكَ الرُّوحِيَّةِ) كُلِّهَا أَصْبَحَتْ بَاطِلَةً، لِحِظَّةِ تَفْتَحُ فَمَكَ وَتَتَكَلَّمُ عَنْ أَحَدٍ، 490 وَلَوْ اعْتَقَدْتَ أَنَّكَ تُصَلِّحُهُ بِكَلَامِكَ. فَمَاذَا يَنْفَعُ الإِنْسَانَ إِذَا هَدَمَ بِنَاءَهُ (الرُّوحِيَّ) لِيُصَلِّحَ بِنَاءَ الآخَرِ؟

480 هو مرض الكبرياء والأنايية وعدم الرحمة وقسوة القلب.

481 الحزن يعني تحرق القلب، الذي يتحول إلى عبادة عقلية مقبولة لدى الله.

482 حزن القلب لأجل التقصير في عمل الفضيلة، أو للغيرة في عمل المزيد منها، هي نعمة يجب على الراهب الحفاظ عليها. وهو يخسرها تدريجاً إذا أطلق العنان لحواسه، لأن تلك الغيرة تضعفها الحواس تدريجاً. و الابن الوحيد هنا هو فعل النعمة في النفس.

483 هذا المقطع هو من المقالة الأولى، وقد أثبتناه هنا لضرورة تسلسل الأفكار.

484 لذلك عندما يمدح الآخرون الراهب عليه فوراً أن يُعطي المجد لله في قلبه، فيطرُد عنه حس الكبرياء، وليعتبر أنه لا يملك شيئاً صالحاً في ذاته، وكلُّ صلاحٍ فيه هو من الله.

470 نارٌ تخرجُ مِنْكَ: إذا خَرَجَتْ مِنْكَ نارٌ وأحرقَتْ الآخِرِينَ (آذيتَهُمْ و اتَّهَمَتْهُمُ و أدنَتْهُمَ و غضبتَ عليهمَ و مارستَ النَّميمةَ عليهمَ....)، فاللَّهُ سَيُطالِبُكَ بِنُفوسِ الَّذِينَ أَحرقَتْهُمَ؛ و إذا لم تَكُنْ أَنْتَ واضِعَ النارِ، إنما وافَقْتَ واضِعَها وأعجبتَ بِعَمَلِهِ، فاللَّهُ سَيُدينُكَ أَنْتَ أيضاً ، (لأنَّ مَنْ وافَقَ على مَعْصيةٍ، فهو شريكٌ فيها).

471 في الحزن من أجل الضعفاء والخطاة: إذا حَزَنْتَ لأجلِ إنسانٍ لا يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ ولا يَتَجَنَّبُ عَمَلَ السَّيِّئَاتِ، بجسده أو بفكره، إفعل ذلكَ كَمَا تَأَلَّم لأجلِ المسيحِ، واذكُرْ أَنَّ المسيحَ ماتَ من أجلِ الخطاةِ وليسَ من أجلِ الأبرارِ. الحزنُ (من أجلِ) الأشرارِ وَتَفْضيلِ الإحسانِ إليهِم على الإحسانِ إلى الأبرارِ أمرٌ عظيمٌ.

472 في أن الله يُريدنا أن نُفكِّرَ و نُمَيِّزَ: باطلٌ كُلُّ عَمَلٍ (روحِيّ) تَقومُ به من دونِ تفكيرٍ (و تمييزِ)، 491 مهما كان ذلكَ العملِ، لأنَّ الله يُقدِّرُ عَمَلَ البِرِّ على أساسِ التَّمييزِ (أن نَعْمَلَ جَهْدًا لتمييزِ ما يصلحُ عمله، و كِيفِيَّةَ عمله، وما هو غيرُ مُناسِبِ، و تمييزِ ما هو صالحٌ عَمَّا هو شَرٌّ)، و ليسَ على أساسِ تَنفيذِهِ بِطريقةِ عشوائيةٍ 492.

473 في التَّكَبُّرِ: اجلسَ مع الأبرصِ ولا تُجالسِ المُتَكَبِّرَ! 493

485 وهذا يَعني أَنَّهُ، مهما عَظُمَتْ خطايانا ، لا يجبُ أن نَقطَعَ الرجاءَ، لأنَّ رَحمةَ الله تَبقى أعظمَ من خطايانا. أنظرِ المقالةَ 60، الفقرةُ 4.

486 الذي يُعاني الجبنَ والخوفَ في الجهادِ، وتُعوزُهُ العزيمةُ والنَّعمةُ الإلهيةُ والفضيلةُ والتَّقوى والمعرفةُ والخبرةُ الرُّوحيةُ.
487 القديسُ إسحقُ يَصِفُ هنا كِيفِيَّةَ تَكُونِ العادةِ السيئةِ واستفحالِها، وعلاجِها يقولُ إنَّ العادةَ السيئةَ أَكثَرُ شِراسَةً من الأعداءِ لأنَّهُ سوفَ يَصعبُ جداً التخلُّصُ منها، وهي قد تُعاودُ الإنسانَ تَكَرَّراً. وتتسلَّطُ وتستنشري بِقَدْرٍ ما تُغذِّيها. أما إذا حُرِّمَتِ المادةُ التي تُغذِّيها، فتضعُفُ. لكنَّ العلاجَ الأفضلُ هو الاحتِراسُ واليقظةُ منذُ البداية، قبلَ أن تتكوَّنَ العادةُ، عملاً بِوَصِيَّةِ بولسِ الرسولِ " لن أدعُ شيئاً يتسلطُ عليّ" (1 كورنثس 6: 12)

488 رومة 12: 9؛ 2 كورنثس 7: 7

489 بهذا يجعلُ القديسُ إسحقُ النَّميمةَ خطيئةً جسيمةً، خصوصاً عندما يَرتكبُها راهبٌ مُجاهدٌ. و أحدُ أسبابِ ذلكَ أَنَّهُ من الصعبِ جداً، و أحياناً من المُستحيلِ، إصلاحُ الخطأِ النَّاجمِ عن النَّميمةِ، فهي تُدمِّرُ سمعةَ الأشخاصِ وعلاقاتِهِم وحياتهمِ، سواءَ أكانَ ما يُقالُ صحيحاً أم لا.

474 في قرب المتوحد من الآخرين، وبعده عنهم: إفرح مع الفرحين و ابك مع الباكين، فهذا دليل الطهارة. 494 إمرض مع المرضى (أي تألم لمرضهم)، وئح مع الخطاة، وافرح مع التائبين. صادق الجميع، إنما كن بعيداً عنهم بجسدك. لا تؤنّب ولا تُغيّر أحداً، حتى سيئ السيرة، أبسط وشاحك (وشاح رحمتك) على المذنب و استره. و إذا كنت لا تستطيع تحمّل ذنوبه وتأنيبه وعاره، فاصبر عليه على الأقل و لا تُخزه.

475 في الفهم و التواضع: لا فهم من دون تواضع. ومن خلا من (التواضع) خلا من (الفهم الروحي) بالضرورة. 495

490 كل عمل يعمل من دون تفكير، سواء أكان ذلك العمل روحياً، أم دنيوياً، هو مُرتجل وناقص وغير ناضج وغير مسؤول؛ وقد يكون العمل ناجماً من الانفعال والشهوة والهوى، كالحقد والغضب، ويستحيل التكهن بعواقبه. القاعدة الذهبية أن يلتمس الراهب التمييز من خلال الصلاة والتفكير والتماس المشورة، والصبر والانتظار. أنظر المقالة 59 أدناه، الفقرة 3.

491 التمييز هو معرفة ثابتة لمشيئة الله في كل ظرف وفي كل آن ومكان. وتتوفر هذه المعرفة للمتواضعين و أنقياء القلوب والأجساد والأفواه. القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، 26 : 1؛ أنظر أيضاً: لوقا 14 : 28-32.

492 الكبرياء أشد فتكاً من البرص. قد يكون البرص مُميتاً، أما الكبرياء فيقود إلى جهنم. في مجالسة المتكبر خطر على الراهب، إذ قد يتأثر بأخلاقه ويتعلم طرائفه، أو قد يهان من جرّاء تكبره.

493 رومة 12 : 15؛ مشاركة الآخرين أفرحهم و أحزانهم وآلامهم هو من أعمال الرحمة ودليل أن الراهب قد بلغ مرتبة سامية في محبة القريب. نلاحظ هنا أن المتوحد لا يحيا منقطعاً بالكلية عن الآخرين، لكنّه يتحفّظ على الاختلاط بهم من أجل جهاده.

494 "الله يُقاوم المتكبرين ويُعطي المتواضعين نعمة" (يعقوب 4 : 6). تلك النعمة يُحرّمها المتكبر، فيخلو من كل موهبة روحية ومن ثمار الروح القدس، بما في ذلك موهبة الفهم الروحي.

= المقالة التاسعة و الخمسون =

1. في ذكر الله الدائم: الصلاة الخالية من التشبث تحرك في النفس فكراً نقياً عن الله. 496 ويكون حلول الله في النفس من خلال ذكره الدائم، وهكذا أصبح هياكل له. وهذا يعني اهتماماً 497، وقلباً منسحقاً 498، مُستعداً لقبول الراحة الأبدية في الله 499.

2. في التماس الصلاح: اختيار المشيئة الصالحة يتوقف على الإنسان. أما تحقيقها فأمر يختص بالله، لأننا بحاجة إلى معونته 500. لهذا يجب أن تُتبع الرغبة (الصالحة) المتولدة فينا بصلوات متواصلة. ولا يكفي أن نلتمس معونة الله لأجل تحقيقها، بل يجب أن نُميز أولاً إذا كانت تلك الرغبة مطابقة للإرادة الإلهية. فليست كل رغبة ناشئة في القلب " هي من لدن أبي الأنوار" 501.

3. صلاة لالتماس تمييز الرغبة المتولدة في القلب: " يارب، إذا كان العمل الصالح الذي أرغب فيه مرضياً لديك، فلتكن مشيئتك فيه. الاختيار سهل، أما العمل من دون نعمتك فمستحيل. و أنا أعلم يارب أن كل شيء من عندك، العمل و الإرادة على السواء 502. و إنني من دون نعمتك لن أقنع بقبول هذه الرغبة المتولدة في".

هذه عادة من يرغب في الصلاح. يعمل بالصلاة بتمييز الذهن لكي ينال المعونة والحكمة التي تفصل الحق عن الباطل. لأن الصلاح لا يمكن تمييزه إلا بالصلوات الكثيرة والعمل والاحتراس والشوق الدائم والدموع التي لا تنقطع، والتواضع والمعونة السماوية. ونحن نحتاج إلى هذه جميعها بخاصة عندما تُوجد أفكار كبرياء قد تُقاوم مساعدة الله لنا. أما إقصاء أفكار (الكبرياء) هذه فيتم بالصلاة. 503

495 وهذا يعني أنه، مهما عظمت خطايانا، لا يجب أن نقطع الرجاء، لأن رحمة الله تبقى أعظم من خطايانا. أنظر المقالة 60، الفقرة 4

496 الذي يعاني الجبن والخوف في الجهاد، وتوؤه العزيمة والنعمة الإلهية والفضيلة والتقوى والمعرفة والخبرة الروحية.
497 القديس إسحق يصف هنا كيفية تكون العادة السيئة واستفحالها، وعلاجها. يقول إن العادة السيئة أكثر شراسة من الأعداء لأنه سوف يصعب جداً التخلص منها، وهي قد تُعاود الإنسان تكراراً. و تتسلط وتستشري بقدر ما تُغذيها. أما إذا حُرمت المادة التي تُغذيها، فتضعف. لكن العلاج الأفضل هو الاحتراس واليقظة منذ البداية، قبل أن تتكون العادة، عملاً بوصية بولس الرسول " لن أدع شيئاً يتسلط علي" (1 كورنثس 6 : 12).

498 إن في سكنى الله في النفس راحة توهل المجاهد للراحة الدائمة في الله بعد انتقاله إلى السماء.

= المقالة الستون =

1. في اليقظة وضبط الحواس وعدم التراخي: علينا أن نحترس (ونكون أيقاظاً) في أيام الراحة 504، فلا نترك ذواتنا من دون حراسة 505 يقظة، لأننا سترشق بسهام العدو في سكينتنا، ثم (عند خروجنا من السكينة، و اختلاطنا بالآخرين) تجتني نفوسنا (هجمات الأهواء، التي هي) ثمار الدالة الفاسدة (أي ترفع الكلفة مع الآخرين). (هذه الدالة) نراها في المكان المقدس (الذهن) مرتدية ثوباً وسخاً محاكاً بالأفكار المتحركة (التي تُهاجمنا) في أذهاننا أثناء الهديز بالله (ذكره الدائم). [وتفكيرنا بالدالة التي اكتسبناها لدى الآخرين يسرق من ذهننا ذكرنا الدائم لله]
- اليقظة (والاحتراس من العدو) تُساعد الإنسان أكثر من عمل (الجهاد) 506 وتراخي الانتباه يؤديه أكثر من الراحة. تراخي الانتباه يُخرجُ المُجاهد عن الحدود (التي يضعها) لحرّيته [فيُهمّل نفسه ويختلط بالنسا من دون ترتيب، مع ما ينجم عن ذلك من أذى] ويضطر إلى الانصياع لما لا يُوافق. وبإطلاق العنان لحرّيته (بالتراخي وعدم ضبط النفس وعدم ضبط الحواس) ، يقع في أحوال سيئة ثقّيدَه (وتسيطر عليه) رُغماً عنه، ولا يستطيع مُقاومتها (والإفلات من تسلطها).
- لا تُطلق الحرّية لحواسك لئلا يستحيل (يصعب جداً) رجوعك إلى ذاتك (نقاوتك). و إذا كانت الراحة تؤذي الشبان فقط، فالتراخي يؤدي الكاملين والشيوخ أيضاً. إنّ الذين يُحاربون بالأفكار القبيحة النَّاجمة عن الراحة يستطيعون استعادة المحافظة على ذواتهم (والعودة إلى حالتهم الأولى)؛ أما الذين أهملوا صيانة حواسهم، مُتكلين على رجاء عملهم (راجين أن يُنقذهم عملهم الروحي من هجمات الحواس) فسوف [يخيب ظنهم] وسوف تستعبدُهم حواسهم، فيهبطون من سُمّ السيرة إلى حياة الإنحلال. المتراخي في (ضبط) حواسه يُحطم قلبه (فلا يعود مُتعلقاً بالله).
2. لا تحزن لأجل زلتك: لا تحزن إذا ارتكبت زلةً، بل احزن إذا بقيت فيها. الزلة تحدث حتى للكاملين (الذين بلغوا مرتبة سامية)، لكن (الاستسلام لها واليأس من الخلاص منها) والبقاء فيها هو موت تام.
- إن حزننا لأجل زلاتنا هو عملٌ طاهر مُعطي لنا من النعمة. أما الذي يرتكب الزلة نفسها ثانية (عمداً) على أمل التوبة (لاحقاً) فهو سائرٌ مع الله بغش، (" لأنّ الله لا يُسخرُ منه 507 "). ويهبط عليه الموت (الروحي) فجأة ، فلا يستطيع إتمام عمل الفضيلة، ولا يبلغ إلى (غاية) رجائه (بالتحرر والخلاص والحياة الأبدية).

499 في قلب الإنسان أفكار كثيرة، لكن مشورة الرب هي التي تثبت ؛ " للإنسان إعداد القلب، ومن الربّ جواب اللسان " ؛ " قلب الإنسان يُفكر في طريقه، والربّ يهدي خطواته " ؛ " فوّض إلى الربّ أعمالك، فتتثبت مقاصدك " (أمثال 19 : 21 ؛ 16 : 1 ؛ 16 ؛ 16 : 3).

3. إِبْكَ مِنْ أَجْلِ الْخَطَاةِ: لَا تُبْغِضِ الْخَاطِئَ لِأَنَّ كُنَّا كُلُّنَا خَطَاةٌ . وَإِذَا ثَرَتْ عَلَيْهِ بِدَافِعِ إِلَهِي فَاكْبَلْ لِأَجَلِهِ . لَا تُبْغِضُهُ ، بَلْ أَبْغِضِ خَطَايَاهُ وَصَلِّ لِأَجَلِهِ ، مُتَمَثِّلًا بِالْمَسِيحِ الَّذِي ثَارَ عَلَى الْخَطَاةِ لَكِنَّهُ صَلَّى لِأَجْلِهِمْ . الشَّيْطَانُ يَخْدَعُنَا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ (وَيَجْرُنَا إِلَى الْخَطِيئَةِ) ، فَلِمَاذَا تُبْغِضُ مَنْ يُخْدَعُ مِثْلَنَا (وَيَقَعُ مِثْلَنَا فِي الْخَطِيئَةِ)؟ أَلَعَلَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْخَاطِئَ لَيْسَ بَارًّا مِثْلَكَ؟ وَأَيْنَ هُوَ بَرُّكَ أَنْتَ إِذَا كُنْتَ لَا تَمْلِكُ الْمَحَبَّةَ (لِتَرْحَمَ الْخَاطِئَ وَتُشْفِقَ عَلَيْهِ)؟

4. فِي أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَادِلًا ، بَلْ رَحِيمًا: لَا تَدْعُ اللَّهَ عَادِلًا ، لِأَنَّ عِدَالَتَهُ لَيْسَتْ ظَاهِرَةً فِي أَعْمَالِهِ . لَقَدْ دَعَاهُ دَاوُدُ عَادِلًا وَمُسْتَقِيمًا ، لَكِنَّ ابْنَ اللَّهِ أَظْهَرَ بِالْأَحْرَى أَنَّهُ صَالِحٌ وَوَدِيعٌ ، وَقَالَ: " إِنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى نَاكِرِي الْجَمِيلِ وَالْأَشْرَارِ " 508 وَكَيْفَ تَدْعُوهُ عَادِلًا إِذَا قَرَأْتَ مَا قَالَهُ عَنْ أَجْرَةِ الْعَمَالِ : " هَذَا الَّذِي جَاءَ فِي الْآخِرِ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ مِثْلَكَ " 509 وَكَيْفَ تَدْعُوهُ عَادِلًا وَقَدْ قَرَأْتَ

500 يعقوب 17 : 1؛ أنظر أيضاً فقرة " في أن الله يُريدنا أن نُفكر " ، المقالة 58 أعلاه ، الفقرة 16.

501 " إن الله هو الذي يُحدثُ فيكم الإرادةَ والعملَ لإرضائه " (فيلبي 2 : 13)

502 التمييز هو من أعظم المواهب ، و الراهب يحتاج إلى هذه الموهبة ليكون بمأمن من خداع أهوائه وخداع إبليس ، ولكي يميز ما هو صالح عما هو فاسد ، لأن كثيراً من الأفكار والأحاسيس والأعمال قد تبدو صالحة ، بينما هي غير ذلك . لأجل هذا يقول القديس إسحق إنه يجب عمَل الصلاح بتمييز . فبعض الأعمال الصالحة قد تؤدي مثلاً إلى الكبرياء أو إلى يقظة الأهواء ، أو إلى عواقب أخرى غير حميدة . والصلاة هي الوسيلة التي بها يطلب الراهب التمييز في جميع أموره الصغيرة و الكبيرة.

503 عندما لا تكون هناك تجارب قاسية تُهاجم الراهب . وعكسها : أيام الحروب .

504 تكون الحراسة بمنع مسببات التجارب من الدخول من خلال الحواس ، على مثال ما يفعل الحارس الذي يمنع الغرباء من الدخول .

505 اليقظة تُساعد أكثر من الجهاد لأنها تقطع دابر التجربة في مهدها ، أما الجهاد فهو العمل الروحي الذي يقوم به المجاهد بعد أن تدخل التجربة أبواب ذهنه .

506 غلاطية 6 : 7

507 لوقا 6 : 35

508 متى 20 : 13

فَصَلِّ ابْنَ الضَّالِّ الَّذِي بَدَّرَ الْغِنَى عَلَى الْفُجُورِ ثُمَّ، عِنْدَ نَدْمِهِ، أَسْرَعَ أَبُوهُ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ 510؟ هَذِهِ الْأَقْوَالُ لَمْ يَقُلْهَا
إِنْسَانٌ غَرِيبٌ حَتَّى تَشْكُ فِيهَا، بَلِ ابْنُ نَفْسِهِ شَهِدَ بِهَا. فَأَيْنَ عَدَالَةُ اللَّهِ؟ أَهِيَ فِي أَنْ الْمَسِيحَ مَاتَ لِأَجْلِنَا وَنَحْنُ بَعْدُ
خَطَاةٌ 511؟ فَمَا دَامَ رَحِيمًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ هُنَا (فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ) فَلِنُؤْمِنَ أَنَّهُ لَنْ يَتَغَيَّرَ أَبَدًا.

فِيَا لِرَحْمَةِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ، وَيَا لِنِعْمَةِ خَالِقِنَا الْمُدْهَشَةِ! وَيَا لِقُوَّةِ الْقَادِرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! وَيَا لِلصَّلَاحِ الْفَائِقِ الْحُدُودِ، الَّذِي
بِهِ نَحْنُ الْخَطَاةُ نَسْتَعِيدُ (طَبِيعَةُ آدَمَ قَبْلَ السَّقْطَةِ)! فَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ أَمَامَ (عَظْمَةِ) مَجْدِهِ؟ إِنَّهُ يُنْهَضُ الْمُخَالِفَ
وَالْمُجَدِّفَ. يُنْقِذُ الدَّهْنَ الْمُشْتَتَّ الْفَاقِدَ الْإِدْرَاكِ (وَيَشْفِي) الْحَوَاسَّ الْمُبْعَثَةَ (الْمُشْتَتَّةَ) فِي كُلِّ مَكَانٍ وَيَجْعَلُهَا نَاطِقَةً
(بِالْإِلَهِيَّاتِ) وَقَادِرَةً عَلَى التَّفْكِيرِ (فِيهَا) 512. إِنَّ الْخَاطِئَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ نِعْمَةَ قِيَامَتِهِ. فَأَيْنَ هِيَ جَهَنَّمُ الْقَادِرَةُ
عَلَى أَنْ تُحْرَزْنَا؟ وَأَيْنَ الْعَذَابُ الَّذِي سَيُخَيِّفُنَا بِطَرَقٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَكَيْفَ يَتَغَلَّبُ (الْحُزْنَ وَالْعَذَابَ) عَلَى بَهْجَةِ مَحَبَّتِهِ
(لِلْخَطَاةِ)؟ 513 وَمَاذَا تَكُونُ جَهَنَّمُ إِذَا نِعْمَةُ قِيَامَتِهِ، عِنْدَمَا يُنْهَضُنَا مِنَ الْجَحِيمِ بِمَجْدٍ وَيَجْعَلُ هَذَا الْجَسَدَ الْفَانِي
مُنْزَهًا عَنِ الْفَنَاءِ؟ 514 هَلِّمُوا وَانظُرُوا بِاعْجَابٍ يَا ذَوِي التَّمْيِيزِ. مَنْ يَمْلِكُ مِنْكُمْ عَقْلًا حَكِيمًا وَمُدْهَشًا فَلْيَتَعَجَّبْ مِنْ نِعْمَةِ
خَالِقِنَا (وَرَحْمَتِهِ الْوَالِدِيَّةِ) كَمَا يَلِيقُ. الْمَسِيحُ سَيُكَافِي الْخَطَاةَ التَّائِبِينَ بِالْقِيَامَةِ بِدَلِّ التَّوَابِ الْعَادِلِ. وَالأَجْسَادُ الَّتِي
دَاسَتْ نَامُوسَهُ سَيُلْبِسُهَا كِمَالَ مَجْدِ عَدَمِ الْفَسَادِ. هَذِهِ هِيَ النُّعْمَةُ الَّتِي سَتُنْهَضُنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَالَّتِي تَفُوقُ نِعْمَةَ إِخْرَاجِنَا
مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ. فَالْمَجْدُ لِنِعْمِكَ الَّتِي لَا تُقَاسُ يَا رَبِّ، يَا مَنْ تُحِبُّ حَيَاتِنَا وَتَقُودُنَا إِلَى مَعْرِفَةِ مَجْدِكَ. آمِينَ.

= المقالة الثانية و الستون =

1. فِي الْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ وَعَدَمِ الْاعْتِمَادِ عَلَى طُرُقِ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ: عِنْدَمَا يُسَلِّمُ الْمُجَاهِدُ ذَاتَهُ بِإِيمَانٍ إِلَى اللَّهِ وَيَتَذَوَّقُ حَلَاوَةَ
مَعُونَتِهِ، لَنْ يَهْتَمَّ بِنَفْسِهِ، بَلْ يَكْمُ فَاهُ بِالصَّمْتِ وَالْمُدْهَشَةِ 515، وَيَتَخَلَّى عَنِ سُلْطَتِهِ (إِرَادَتِهِ) الْذَاتِيَّةِ 516

509 لوقا 15 : 20.

510 رومة 5 : 8

511 بهذا يجعل القديس إسحق تشتت الذهن وعدم ضبط الحواس من أهم مسببات الابتعاد عن الله و إدراك

الإلهيات والتفكر فيها. و يكون " النهوض من الجحيم " باستعادة الحواس والذهن مما يشتتتهما.

512 " إفرحوا معي فقد وجدتُ خروفي الضال " (لوقا 15 : 6-7)

513 1 كورنتس 15 : 54

مَنْ سَلَكَ فِي الْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ وَتَبَعَ طَرِيقَ الْإِيمَانِ 517، وَحَقَّقَهُ مَرَاراً (بَلَّغَ مَرَاراً إِلَى تَحْقِيقِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ)، وَعَادَ (بَعْدَهَا) إِلَى طُرُقِ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ لِيُفَكِّرَ مِنْ خِلَالِهَا، فَسَوْفَ يَخْسِرُ مَعُونَةَ اللَّهِ الَّتِي تَفْتَقِدُهُ دَائِماً بِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ، وَتُقَدِّمُ لَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُهُ 518. فَيَتَلَاشَى إِيْمَانَهُ حَالاً وَيَفْقِدُ قُوَّتَهُ الْعَقْلِيَّةَ (الَّتِي يَسْتَمِدُّهَا مِنْ اللَّهِ) وَالَّتِي تَظْهَرُ عَادَةً فِي النَّفْسِ النَّقِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْمُسَاعَدَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَمِنْ خِلَالِ الْأَعْمَالِ (وَالجِهَادَاتِ) الَّتِي تَقُومُ بِهَا (النَّفْسُ النَّقِيَّةُ) بِبَسَاطَةٍ، بَعِيداً عَنِ الْفَحْصِ وَالِاسْتِقْصَاءِ.

وَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَنِي بِنَفْسِهِ بِقُوَّةِ مَعْرِفَتِهِ (الذَّاتِيَّةِ)، يَكُونُ أَحْمَقَ، لِأَنَّ الَّذِينَ أَشْرَقَ فِيهِمْ نُورُ الْإِيمَانِ لَنْ يَتَجَاسَرُوا عَلَى التَّضَرُّعِ لِأَجْلِ ذَوَاتِهِمْ، سَائِلِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: "أَعْطِنَا كَذَا وَارْفَعْ عَنَّا كَذَا". بَلْ (لِأَجْلِ ثِقَتِهِمْ بِاللَّهِ) لَا يَهْتَمُونَ بِنَفْسِهِمْ. لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، بَعْضُومَ إِيْمَانِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ، عُنَايَةَ اللَّهِ الْأَبُويَّةِ الَّتِي تُظَلِّلُهُمْ. فَهُوَ الْأَبُ الْحَقِيقِيُّ، وَمُحِبُّهُ لَا تُحَدِّدُ، بَلْ تَفُوقُ كُلَّ مُحِبَّةٍ أَبُويَّةٍ بَشَرِيَّةٍ، وَهُوَ قَادِرٌ أَكْثَرَ مِنْ الْجَمِيعِ أَنْ يُسَاعِدَنَا فِي مَا نَطْلُبُهُ وَنَتَذَكَّرُهُ وَنَفَكِّرُ فِيهِ. [فَهُوَ بِقُوَّتِهِ، الْعَامِلَةُ فِيْنَا، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْلُغَ بِنَا مَا يَفُوقُ كَثِيراً كُلَّ مَا نَسْأَلُهُ أَوْ نَتَصَوَّرُهُ.] 519

2. بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْإِيمَانِ: الْمَعْرِفَةُ الْبَشَرِيَّةُ مُعَاكِسَةٌ لِلْإِيمَانِ 520، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يُبْطِلُ قَوَانِينَ الْمَعْرِفَةِ (الْبَشَرِيَّةِ لَا الرُّوحِيَّةِ). الْمَعْرِفَةُ (الْبَشَرِيَّةُ) لَا تَقْوَى عَلَى فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ تَرْتَبِعُهُ مِنْ دُونِ فَحْصِهِ وَبَحْثِهِ وَالتَّأَكُّدِ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ حُصُولِهِ.

514 بالصمت و الدهش: مما يراه من أعمال الله الخفية في حياته.

515 يتخلى عن سلطته الذاتية: ليُسَلِّمَ ذَاتَهُ بِالطَّاعَةِ لِرَئِيسِهِ وَالخُضُوعِ لِنِظَامِ الرَّهْبَانَةِ وَقَوَانِينِهَا؛ وَأَيْضاً: لِيَلْتَمِسَ مَشِيئَةَ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ لَوْصَايَاهُ.

516 هو مرض الكبرياء والأنايئة وعدم الرحمة وقسوة القلب.

517 الحزن يعني تحرق القلب، الذي يتحول إلى عبادة مقبولة لدى الله .

518 حزن القلب لأجل التقصير في عمل الفضيلة، أو للغيرة في عمل المزيد منها، هي نعمة يجب على الراهب الحفاظ عليها. وهو يخسرها تدريجاً إذا أطلق العنان لحواسه، لأن تلك الغيرة تُضَعِّفُ الْحَوَاسَ تَدْرِيجاً. وَالابْنُ الْوَحِيدُ هُنَا هُوَ فِعْلُ النُّعْمَةِ فِي النَّفْسِ.

519 يُظْهِرُ الْقَدِيسُ إِسْحَاقُ هُنَا مَحْدُودِيَّةَ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، فِي مُقَابِلِ الْإِيمَانِ وَمَقَاعِيلِهِ اللَّامَحْدُودَةِ، وَالَّتِي تَخْتَرِقُ كُلَّ أَمَّا الْإِيمَانَ فَهُوَ قُوَّةٌ، إِذَا دَنَا مِنْهَا أَحَدٌ بِاعْوَجَاجٍ، رَفَضْتُهُ بِالْكَلِيَّةِ.

المعرفة البشرية لا تُدرَك إلا بالفحص و الطُّرُق الجدليَّة، ومنها يَنشأ التردُّد أمام الحقيقة أما الإيمان فلا يَطْلُب أكثر من عقل طاهر بسيط بعيد عن كلِّ غشٍّ، وعن كلِّ بحثٍ جدليٍّ (في المُسبَّات والنِّتائج). بيِّت الإيمان يُبنى بفكر الأطفال، وبقلب بسيط: " مجدِّوا الله بقلب بسيط" 521. " إن كنتم لا تتغيِّرون وتَصيرون مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السَّموات" 522.

المعرفة البشرية سورٌ للطبيعة يحفظها في كافة طرُقها. 523 أما الإيمان فيسلك طريقاً يفوق الطبيعة. المعرفة تُبعد كلَّ ما يؤذي الطبيعة، أما الإيمان فيسمح (لما يُسبب الأذى) بالاقتراب، وهو يقول: " تطأ الأسد و الأفعى، تدوسُ الشَّبل والتَّنَّين" 524.

المعرفة البشرية تمنع طلابها من الدنوّ من كلِّ ما هو غريب عن الطبيعة. أما قوَّة الإيمان، فماذا تفعل، وماذا تبتغي لمُريديها؟ " بالإيمان تُخرجون الشَّياطين باسمي وتحمِلون الحيات، و إن شربتم السَّم فلا يضرِّكم" 525. المعرفة تنصح السَّائرين في طريقها، وحسب شريعته، بأن يَعتبروا نتيجة كلِّ عملٍ قبل أن يُباشروا به، لئلا يَتعبوا باطلاً إذا عجزوا

حاجز بشريٍّ، وتتجاوز المُستحيل، إن لناحية القوَّة أو العِلْم، أو اجتراح الآيات و المعجزات و غاية القديس إسحق من هذا الشَّرح المُسهَّب أن يَحثَّ الراهب على الثَّبات في الايمان، والتماس مفاعيله الباهرة، لأنَّ المعرفة البشرية ليست بشيءٍ إذا ما قيسَت بالإيمان و ما يتأتَّى عنه من معرفة رُوحية. وعلى كلِّ حال، فهذا لا يعني مُطلقاً أن يكون الراهب أمياً، لأنَّ كثيراً من القديسين كانوا على دَرَجَة عالية من الثقافة، لكنَّ الأوليَّة هي دائماً للحياة الروحية.

وفي هذا المقطع الرائع، يردُّ القديس إسحق سلفاً على الآراء الفاسدة التي ظَهرت في " عصر الأنوار" والقائلة إنَّ خلاص البشرية يكمن في تطوُّر العِلْم والمعرفة العقلية، و ليس في الإيمان. ورداً على هذه المقولات، أصدر البابا يوحنا بولس الثاني رسالته الجامعة " في الإيمان والعقل"، روما، 1998/9/14.

520 كولوسي 3 : 22.

521 متى 18 : 3

522 المعرفة البشرية، كالتطبِّ والهندسة، تصون الطبيعة البشرية.

523 مزمو 90 : 13

524 مرقس 16 : 17-18

عن بلوغ نهايته بقوتهم البشرية. أما الإيمان فيقول: " كلُّ شيءٍ مُستطاع للمؤمن ". " فلا شيءٌ مُستحيلٌ عند الله " 526
المعرفة البشرية تَبَحْثُ عن وسائل لصيانة طالبيها، أما الإيمان فيقول: " إن لم يبين الربّ البيت ويحفظ المدينة فباطلاً
يسهر الحارس ويتعب البناء " 527. مَنْ يُصَلِّي بإيمان لا يحتاج إلى وسائل. أما المعرفة فيُرافقها الخوف، كما قال
الكتاب: " خافَ فأخذَ يَغْرَقُ ". والخوف يَلِيهِ الشكُّ، 528 والشكُّ يَلِيهِ التَّمحيصُ و طُرُق الحكمة البشرية 529.

هكذا طُرُق بَحْث المعرفة (البشرية) يُلازمها الخوف و الشكُّ بصورة دائمة، لكنّ الإيمان يقول: " مَنْ اتَّقَى الربَّ فطوبى
لنفسه " 530. " لأنّ الروح الذي نلُتموه لا يَسْتعبدُكم ويردُّكم إلى الخوف، بل يجعلُكم أبناء الله " 531.
المعرفة البشرية يَتَّبِعُها خوف (لأنها تستند إلى قوانين الطبيعة المُتغيِّرة)، أما الإيمان، فيتبعُه رجاء. وبمقدار ما يَسْلُكُ
الإنسان في سبيل المعرفة يُقَيِّدُه الخوف، فلا يستطيع التحرُّر منه. أما السَّالِكُ في الإيمان فيصيرُ حُرّاً وذا سيادة، يَتصرَّفُ
بسُلطة، كابن لله. إنّ الذي يعيش هذا الإيمان يتصرَّفُ بطبائع الخليقة كلها كإله، لأنّ للإيمان سُلطة إبداع خليقة جديدة
كما يفعلُ الله. وقد قيل: " أردتَ فصارَ الكلُّ أَمَامَكَ " 532. ومِراراً يُبدع الإيمانُ الكلَّ من العدم. أما المعرفة فلا تَسْتَطِيعُ
فعل شيءٍ من دون مادّة أو من دون (شيء) موجود.

طبيعة الماء لا تَدْعُ الإنسان يمشي فوقها، والنَّار تحرق كلَّ من يقترب منها، والمعرفة تُبعدنا عنها حتى لا نتعرَّض للخطر.
فالمعرفة تتحفَّظ من (مثل) هذه الأوضاع ولا تجرؤ على تعدي حدودها. أما الإيمان فيتعدّاها بسُلطة ويقول: " إذا اجتزتَ في
المياه فإني معك، أو في الأنهار فلا تغمرُك، و إذا سلكتَ في النار فلا تُلدِّع ولا يَلْفَحُكُ اللهب " 533.

هذه الأعمال اجترحها الإيمان مِراراً أمام الخليقة بأسرها، و لو أُفسِحَ في المجال للمعرفة أن تختبرها لما أمكنها ذلك،
كثيرون جداً اجتازوا اللهبَ بإيمان وقَيِّدوا قوّة النار المُحرقة وعَبَرُوا في وَسَطها من دون أن يُصيبهم أذى و مَشَوْا على
البَحْر كما على اليابسة. 534

أرأيت كيف أنّ المعرفة (البشرية) تُحافظ على حُدود الطبيعة، و أنّ الإيمان يتجاوزها ليشقَّ طُرُق السَّفَر (مُخترقاً و
مُتجاوزاً حُدود الطبيعة)؟ طُرُق المعرفة حَكَمَت العالمَ خَمسة آلاف سنة، بقي الإنسان خلالها غير قادر على رفع رأسه عن
الأرض. لكن عندما أشرق إيماننا مُجدداً حُررنا من ظلمة العمل الأرضي (لأجل اكتساب المعرفة)، ومن عبودية التشتت
الباطل (الناجم عن البحث والتقصي). لكننا بالرغم من عُثورنا على البحر الساكن والكنز الذي لا يَنفد، لا نزال نفتش
عن الينابيع الدَّليلة الوَضِيعَة. مهما اغتنت المعرفة تبقى فقيرةً، أما كُنوز الإيمان فلا تَسَعُها أرضٌ ولا سماء.

مَنْ ارْتَكزَ قَلْبُهُ عَلَى رَجَاءِ الْإِيمَانِ لَا يَحْتَاجُ لشيءٍ. و إذا لم يكن يملك شيئاً، فالإيمان ينال كل شيء : " كل شيء تطلبونه بإيمان تنالونه ". " الرب قريب فلا تقلقوا ولا تكونوا في هم أبداً" 535.

لقد برهننا أن المعرفة لا تقدر أن تُحقق كل شيء في أي وقت. فكثيراً ما تتراكم في النفس أمور صعبة وعلل كثيرة مليئة بالأخطار، فيستحيل على المعرفة وطرق الحكمة (البشرية) أن تُساعدنا في شيء. أما الإيمان فهو قادر على أن يقهر كل الأمور الصعبة التي تتجاوز حدود المعرفة البشرية، والتي لا تقدر قوة أخرى أن تدنو منها. فهل يمكن للمعرفة البشرية أن تُساعد في الحروب الظاهرة أو في الحرب ضد الطباع اللامنتورة، والقوات اللامتجسمة وغيرها 536؟ [فالتماس المعرفة العالمية يلهي الرهب عن التماس الفضيلة.] أرايت ضعف قوة المعرفة وعظمة قوة الإيمان؟ يا للغنى الذي لا يوصف ! يا للبحر الزاخر بالأمواج والمُشتمل على الكنوز العجيبة الفائضة من قوة الإيمان! أيها الإيمان، كم أن السير معك غني بالشجاعة و المسرة والرجاء! وكم هي خفيفة أحمالك، وما أحلى (و أضمن) عملك (في النفس)!

3. في أن محبة الله ثمرة الصلاة: المحبة (محبة الله) ثمرة الصلاة. (فالصلاة) تُولد في الذهن، بطريقة لا تُنضب، تشوقاً للمحبة (تجعل الذهن يتشوق لأن يحب الله)، شريطة أن يصبر الإنسان (مُثابراً على الصلاة) من دون ضجر، مُصلياً في ذهنه فقط، وهاذاً (ذاكراً الله على الدوام) بصمت. [ذكراً الله يُولد حلاوة، فمحبة لله]

4. في أن الصلاة هي نكران للذات: الصلاة هي موت لأفكار مشيئة حياة الجسد. (المُصلي لا يفكر بتتميم مشيئته الذاتية في ما يتعلق بحياة الجسد). مَنْ يُصلي بالحقيقة يُساوي مَنْ مات فيه العالم (فلا يكثر لشؤونه). فالصلاة هي نُكران للذات، ثمرة محبة الله. ونكران الذات هو أن يصمد الإنسان مُثابراً على الصلاة. [المُصلي يتخلى عن أفكاره الذاتية وتصرّفاته الدنيوية ولا يطلب مشيئته في الصلاة بل مشيئة الله؛ ولا يلتمس الأمور العالمية، بل الأمور التي من العلى]

528 كما حصل لبطرس، خاف فبدأ يغرق، فقال له الرب : " يا قليل الإيمان لماذا شككت؟ " (متى 14 : 30-31).
أما الإيمان فيغلب قوانين الطبيعة.

529 الحكمة البشرية عرضة للتغير والزوال. فحكمة الفلاسفة الأقدمين حكمها الزوال، وهي تختلف عن حكمة فلاسفة عصرنا، التي سوف تزول يوماً، أيضاً. أما الحكمة الإلهية العُلوية، فهي للأبد.

530 سيراخ 34 : 16

531 رومة 8 : 15

5. الأفكار الإلهية هي مصدر حالة النعمة التي يبلغها الذهن: النعمة الإلهية تؤهلك لعدم الهوى النفسي، فتكف الأفكار القبيحة عن التسرب إلى ذهنك. لكن ليس السبب في ذلك عدم تسرب الأفكار القبيحة إليك، أو عدم تحرك الأفكار الجسدية فيك، لأنه يستحيل أن يكون أحد منزهاً عنها؛ أو لأنك تستطيع أن تتغلب بسهولة على الأفكار التي تراودك، لأن ذهنك بلغ حالة سامية، لا يضطرب معها ولا يتدنس. السبب في حصولك على النعمة وبلوغك عدم الهوى، عائد إلى انشغال قلبك بالأفكار الإلهية التي تجعل ذهنك يحارب ضد (الأفكار القبيحة) ويقضي عليها. لأنه عندما يتسرب إلى الذهن فكر (غريب) ما، يُختطف (الفكر الغريب) اختطافاً (فيُطرد) بفعل الأفكار الإلهية التي في الذهن، و بفعل النعمة الإلهية والسيرة الشريفة اللتين تتركان خميرةً روحيةً في القلب 537.

= المقالة الحادية والسبعون =

1. يكون في السماء فرحٌ بخاطئي يتوب: كما ترتسم البشاشة على وجه الملك عندما يحمل إليه أحدهم هديةً، كذلك الإله العظيم ملك الدهور يفرح ويغفر لمن يُصلي بدموع (تائباً وناثحاً على) خطاياها، فيمنحه (الله) وجهاً ساطعاً بالنعمة. 538
2. من يشرب من خمر الحب الإلهي: كما أن الذي يشرب خمرًا يوم الحداد يسكر فينسى أحزانه، كذلك من يسكر بحب الله في هذا العالم، مكان النوح 539، ينسى أوجاعه، ولا يُحس بالآلم الخطيئة. من ثبت قلبه في الرجاء بالله

533 إشعيا 43 : 2

534 عبرانيين 11 : 33-38. هذه الأمثلة الكثيرة التي يعطيها القديس إسحق تثبت أنه بإمكان الإيمان أن يغلب نظام الطبيعة ويخلق الأشياء من العدم.

535 متى 21 : 22؛ فيلبي 4 : 5-6

536 هنا سبب آخر، جوهري، يجعل الإيمان أسمى من المعرفة العالمية. فالمعرفة لا تُفيد في الحرب الروحية واكتساب

الفضائل، بل تملأ صاحبها كبراً. 1 كورنثس 8 : 1

537 على الراهب أن لا يطمئن إذا كفت عنه الأفكار القبيحة، فليس سبب ذلك سوى انشغال ذهنه بالأفكار والحقائق

الإلهية. ولكي يحفظ نفسه في هذه النعمة عليه أن يُثابر على التأمل في الإلهيات. أنظر المقالة 81، الفقرة 7.

538 في مثل الفريسيّ والعشار، وقف العشار عن بُعد ولم يشأ أن يرفع عينيه إلى السماء، بل كان يقرع صدره و يقول : ”

اللهم ارحمني أنا الخاطيء“. فنزل إلى بيته مُبرراً“ و نال نعمة الله بتوبته. لوقا 18 : 13-14.

(ذاكراً وعود الله بالخيرات الأبدية)، تكونُ نفسه مثل عُصفور خفيف، ويتسامى ذهنه فيترفع عن الأمور البشريّة

بالمهذّب (بذكر الله الدائم) ويتنعم بمواهب العليّ الأزليّة. 540

= المقالة الثانية والسبعون =

1. في التوبة: نعمة أُعطيت لنا بعد نعمة المعمودية. (المعمودية نعمة تمحو الخطايا وتجددنا بالروح القدس، وكذا التوبة).

التوبة هي تجديدٌ ثانٍ يمنحه الله لنا؛ بالمعمودية لنا؛ بالمعمودية لنا العُربون (عُربون نعمة الروح القدس)، وبالتوبة نحصل على الهيبة

(نعمة الخلاص). التوبة هي باب الرحمة المُشرع أمام الراغبين في الدخول إلى الأخدار العلوية. فلنعبه حتى نجد الرحمة

الإلهية كما قال الكتاب: ” كلُّهم خطئوا لكن الله برّهم مجاناً بنعمته“ 541 التوبة هي النعمة الثانية المتولدة بالإيمان

والخوف (أي مخافة الله). الخوف هو العصا الأبوية التي تستمر في تأديبنا، ولا تتركنا قبل وصولنا إلى فردوس الخيرات

الروحي. 542

2. في أن المحبة هي الفردوس: الفردوس هو محبة الله المثلثة بنعيم كل غيبة، التي تغدّى بها بولس بولس المغبوط بحال

تفوق الطبيعة. فهو بعد أن ذاق عود الحياة الموجود هناك (في الفردوس) صرخ قائلاً: ” ما رأيت عين ولا سمعت أذن،

ولا خطر على قلب بشر، ما أعدّه الله للذين يحبونه“ 543. لكن مشورة الشيطان منعت آدم عن عود الحياة، الذي هو

محبة الله، 544 فسقط وخسر الفرح، وأخذ يعمل ويشقى في أرض الأشواك. إن الذين حرموا من محبة الله، وإن كانوا

لا يزالون سائرين باستقامة، لن يتوقفوا عن أكل خبزهم بعرق أعمالهم، كما أمر الله الجدّ الأول بعد السقوط 545

539 هذا العالم هو مكان المشقة والنوح على الخطايا، وعلى حالتنا الإنسانية الساقطة

540 يقول القديس إسحق إنّ العلاج لآلام هذا الدهر هو الرجاء بالله وبالخيرات الأبدية، والجهاد لأجل التوبة وتثبيت

القلب في ذكر الله الدائم. بهذا يتسامى الذهن ويترفع عن الأمور الدنيوية ويتنعم بالمواهب الأزليّة

541 عبرانيين 4 : 16 ؛ رومة 3 : 23-24.

542 عبرانيين 12 : 4-13. الصورة في هذه الجملة هي صورة الراعي الإلهي الذي بعصاه يؤدّب خرافه ويسوقها إلى

الفردوس.

543 1 كورنثس 2: 9 يقول القديس إسحق إن بولس الرسول عندما اختطف إلى السماء عابن المسيح "عُودَ الحياة" وتذوّقَ حلاوته.

544 مَعصية آدم وحواء كانت ابتعادنا عن محبة الله لنا، وضعف محبتنا لله.

545 تكوين 3 : 17-18 يقول القديس إسحق إن الإنسان، ما لم يقتن المحبة، تبقى حياته الروحية في مشقة

3. في أن المحبة تُخرجنا حقل أشواك هذا العالم: سوف نستمّر عاملين في أرض الأشواك إلى أن نجد (نقتني) المحبة

546 (التي هي الفردوس، والمسيح نفسه). (نحن) نُلقِي البذار ونحصده من بين الأشواك، حتى ولو أصبح بذارنا بذار

برّ. و ستظلُّ الأشواك تُحزّننا مهما تبرّنا، و بعرق جبيننا سوف نعيش. أما عندما نجد المحبة 547 فإننا سنغتذي

بالخبز السماوي، مُتشدّدين به من دون تعب. الخبز السماوي هو الميح غذاء الملائكة النازل من السماء، و الواهب الحياة

للعالم 548

4. في أن المحبة هي غذاء عدم الموت: من يجد المحبة يتغذى بالمسيح كل يوم وكل ساعة، وبه يصبح عديم الموت: "من

أكل هذا الخبز، الذي أعطيه أنا، يحيا إلى الأبد" 549. فطوبى لمن يأكل خبز المحبة الذي هو يسوع. من يأكل من

المحبة يأكل المسيح إله الكل، كما شهد يوحنا، فقال: "الله محبة" 550. من يحيا في المحبة يجتني ثمر هذه الحياة

من الله، و يتنشّق هواء القيامة وهو بعد في العالم. بهذا الهواء عينه يتمتع الأبرار في يوم القيامة.

5. في أن المحبة هي غذاء القديسين: المحبة هي الملكوت الذي وعد به الربّ رُسُلَه سرياً، أن يأكلو فيه (في الملكوت)،

لأنّ الطعام والشراب إلى مائدة ملكوته ليسا إلا المحبة. فالمحبة تُغذي الإنسان أكثر من الطعام و الشراب، وهي الخمرة

التي تُفرّج قلب الإنسان 551. فطوبى لمن يشرب من هذه الخمرة. منها شرب الخلاء فتورّعوا (أصبحوا ورعين)، و

الخطاة فنسوا الطرق الموعّجة، والسكارى فأصبحوا صوامين، والأغنياء فاشتبهوا الفقّر، 552 والمساكين فاغتنوا بالرجاء،

و المرضى فأصبحوا مُعافين، 553 والجهلة فأصبحوا حُكماء. 554

546 أرض الأشواك هي الأرض بعد سقطة آدم، أي أرض الأهواء و الشهوات، بحسب قول الله لآدم: "شوكاً و حسكاً

تُنبتُ (الأرض) لك" أما المحبة هنا فهي الفردوس (تكوين 3 : 17-18)، واقتناء المحبة يوفرّ على المُجاهد كثيراً

من أتعاب الجهاد، للتحرّر من الأهواء والشهوات، لأنّ المحبة هي الملكوت، وهي المسيح نفسه.

547 عندما نجد المحبة: عندما نعود إلى محبتنا لله بكلّ قوتنا. و بناء على هذا، فالوصيّتان العظيمان: أحبب الربّ

إلهك، و أحبب قريبك، غايتهما إعادتنا إلى حالتنا الأولى قبل السقطة واستعادتنا الفردوس.

548 يوحنا 6 : 48 - 51.

549 يوحنا 6 : 58

550 1 يوحنا 4 : 8

551 مزمو 103 : 15 ؛ متى 26 : 29 ؛ لوقا 22 : 30.

6. في أنّ مخافة الله و التوبة هما السبيل لاقتناء المحبة: كما يستحيل عبور بحر كبير من دون سفينة، كذلك يستحيل العبور إلى محيط المحبة من دون الخوف (مخافة الله، والخوف من معصيته). لا يمكننا أن نعبر بحر الحياة الذي يتوسط بيننا و بين الفردوس العقلي إلا بقارب التوبة ومجازيف الخوف. وعندما نصل (إلى الفردوس العقلي، الذي هو المحبة) نكون قد بلغنا إلى الله.

= المقالة الثالثة والسبعون =

1. في الشكر و التذمر و التواضع والكبرياء: كل فكر صالح يحل في القلب هو من النعمة الإلهية، و كل فكر رديء يدنو من النفس هو (من أهواء العالم و رغبات الجسد وهجمات الشياطين)، تكون بُغيته التجربة والامتحان. [ومن اقتنى النعمة الإلهية أبعده عنه الأفكار الرديئة. 555] ما يجعل مواهب الله تتدفق على الإنسان هو القلب (التواضع) المتحرك بالشكر بلا انقطاع. أما ما يسلط التجربة على النفس فهو روح التذمر المتحرك في القلب بصورة دائمة (و الذي سببه الكبرياء). الله يحتمل كل ضعفات الناس لكنه لا يحتمل الذي يتذمر باستمرار ، بل و يؤدبه أيضاً 556. الفم (التواضع) الشكور ينال بركة، و النعمة تملأ القلب المثابر على الشكر. فقبل النعمة التواضع، وقبل التأديب الكبرياء 557. يسمح الله بسقوط المتكبر في التجديف (يقصيه الله عنه)، والمتباهي بأعمال الفضيلة يسمح بسقوطه في الفسق (خطايا الجسد). والمتباهي بحكمته يسمح بسقوطه في فخاخ الجهل و ادلهمامه. 558) المتكبر المتذمر لا يرى ضعفه، ومن عرف ضعفه بلغ إلى كمال التواضع. 559

2. في معاملة الإخوة: من يدافع عن مظلوم يدافع الله عنه. من يمد ساعده لمعاذة قريبه يُمنح ساعد الله عضداً له. من يتذمر من أخيه بنية سيئة يتذمر الله منه (أي لا يرتضيه). من يصلح (ينصح) أخاه على انفراد يصلح الله رداءته الخاصة.

552 يقول القديس إسحق إنّ في المحبّة قوّة تحمل على التّوبة.

553 يقول القديس إسحق إنّ للمحبّة قوّة شفائيّة.

554 يقول القديس إسحق إنّ المحبّة هي سبيلٌ لاقتناء الحكمة

555 "كلّ عطية صالحة وهبة كاملة تنزل من علّ، من عند أبي الأنوار" يعقوب 1 : 17

من يُعالج أخاه سراً يُظهرُ الله له قوّة محبّته. من يخزي أخاه أمام الآخرين يكشفُ الله له كثرة حسده. من يُوبّخ صديقه في الخفاء (لأجل تأديبه و إصلاحه) هو طبيبٌ حكيم، أما من يُداوي (قريبه) أمام أعين الكثيرين، فهو مُعيّرٌ (خبِيث) بالحقيقة، (أي يُعيّرُ قريبه بعيوبه علناً).

3. في اللّوم والمسامحة: المُسامحة عن كلّ إساءة دليل الشّفقة، أمّا لوم المذنب (لأجل دينونته) فدليلُ الفكر السيء. من يؤدّب قريبه بغيّة المنفعة، يؤدّب بمحبّة. أما من يُطالب بالتّأر (يؤدّب على سبيل التّأر) فهو يخلو من المحبّة. الله يؤدّب بمحبّة، لا ليثأر _ حاشا، بل ليفتّش عن شفاء (الإنسان الذي هو) صورته. والعاذل الحكيم يُشبهه الله، لأنّه لا يؤدّب إنساناً ليثأر منه بل ليُصلّحه أو ليجعله عبرةً للآخرين 0 فيستفيدون من كلام التّأديب). 560

4. في ذكريات الرّاهب: إنّ الشّجرة لا تُفرعُ أغصاناً جديدة إلا إذا طرحت عنها أوراقها القديمة، والرّاهب (المجاهد) لا يأتي بثمار وأغصان جديدة في المسيح يسوع إلا إذا طرَحَ من قلبه الذّكريات (الباطلة) الأولى. 561.

5. الصّلاة و الكتاب المقدّس: لا تقترب من أسرار الكتاب الإلهي من دون أن تُصلي و تطلبُ المعونة من الله، قل: "أعطني يارب أن أصل إلى حِسِّ إدراك القُدرة التي فيها" 562 اعتبر الصّلاة مفتاحاً لفهم المعاني الحقيقيّة للكتاب الإلهي. 563

6. في الصّلاة بدالّة: الإنسان المُقيّد بالجسديّات لا يُصلي بدالّة أمّ الله 564 كلّما تقدّمتنا في الجهاد حبّاً بالله، يزدادُ قلبنا دالّةً في الصّلاة. أما إذا تشتّتنا و تهاوننا وانجذبنا إلى أمورٍ كثيرة، فنُحرَمَ معونة الله.

7. في إقتناء المعرفة والمواهب الإلهيّة: كما يُغذي الرّيت نور القنديل، كذلك الرّافة تُغذي المعرفة (معرفة الإلهيّات) في النّفس. ولا يُعطى المفتاح الذي يَسمح للمواهب الإلهيّة بأن تدخل إلى القلب إلا بمحبّة القريب 565.

556 التذمّر يعني الكبرياء وعدم قناعة الرّاهب بما عنده، وبما هو مُتوفّر له، و بما هو عليه، و بما هم الآخرون عليه، و بما يُقدّمونه، وعدم رؤية ضعف الذات و خطيئتها، وعدم الرّضى عن عطايا الله، وعدم العرفان بالجميل تجاهه،

وعدم الثقة به ، وعدم التسليم لمشيئته ، وعدم الرجاء بعطاياه المستقبلية. فالتذمر دليل كبرياء وحسد وحقد؛ وقد تدمر الشعب على الله وموسى ، فأهلكهم الملاك المبيد (1 كورنثس 10 : 10).

557 أمثال 16 : 18 . أنظر المقالة 37 ، الفقرة 4.

558 يُرسل الله لكل رذيلةٍ تأديباً ، كتنقيض لتلك الرذيلة ، لكي لا يتباهى أحد أمامه.

559 معرفة الضعف تتطلب تواضعاً. ومن عرف ضعفه حارب أهواءه وسار في طريق الكمال الرهبانيّ.

8. في مفاعيل ارتقاء القلب نحو الله: كلما انفصل القلب عن الجسد (الجسديّات) ، انفتح أمامه (أمام القلب) باب المعرفة (الإلهية).

9. في حفظ التوازن بين ذكر الله و محبة القريب : يا لجمال وروعة محبة القريب عندما لا تفصلنا عن محبة الله. و ما أحلى الحديث مع الإخوة الروحيين عندها نحفظ إلى جانبه الحديث مع الله. حسن أن نهتم بمحبة القريب ونحادث الاخوة بقدر ما يُسمح لنا (يسمح به جهادنا) ، شرط ألا يكون ذلك حجة لإهمال العمل الداخلي والحياة الخفية ، أي ذكر الله الدائم. إن تشويش الهذيل الداخلي (ذكر الله الدائم) ناجم عن الاهتمام الكثير بالقريب. إذ لا يستطيع الذهن أن يهدّ بالاثنين معاً.

10. نهوض الروح أو نهوض العالم: حين ينهض الإنسان الروحيّ فيك ، تموت جميع أمورك (مبولك) الدنيوية ويلتهب في نفسك فرح لا مثيل له ، وتضبط أفكارك في داخلك بدافع اللذة التي في قلبك. أما إذا نهض العالم فيك فعندئذ يزداد تشتت ذهنك. و أعني بالعالم الأهواء التي يحبل بها (يسببها) التشتت. وعندما تولد هذه الأهواء و تكمل ، تصبح خطايا وتقضي عليك. وكما أن الأبناء لا يولدون من دون أم ، فكذلك الأهواء لا تولد من دون تشتت الذهن (الناجم من الاهتمام بالدنيويات) ، ولا تتم (تقترف) خطيئة من دون تجارة الأهواء (محاورتها وقبولها) فالأهواء تزيد من أرباحها على حساب حياتك الروحية وتقاوة ذهنك).

11. في أن حياة الروح تزيد الصبر: إن ازدياد صبر النفوس هو دليل حصولها على نعمة التعزية الخفية. قوة الصبر أقوى من المعاني المفرحة الحالة في القلب 566.

560 متى 7 : 1 - 5 ؛ يعقوب 4 : 11 - 12.

561 الذكريات للمتوحد مصدر تجربة، سواء أكانت ذكريات خطيئة أم ذكريات تعلق بأشخاص، أم ذكريات أفراح حياة الراهب السابقة في العالم. والتجربة أن يلجأ الراهب إلى هذه الذكريات ويسترسل فيها على سبيل التعزية في الضجر والوحدة التي يشعر بها أحياناً في خلوته. يقول القديس إسحق إن هذه الذكريات هي عائق لتقدم الراهب.

562 أي فهم وإدراك قوة وأسرار المعاني الإلهية التي في النصوص الكتابية.

563 غاية مطالعة كلمة الله الاغتذاء الروحي، ولذلك تجب الصلاة لكي ننال نعمة فهم الكلام الإلهي. " إفتح اللهم عيني لأبصر معجزات شريعتك. " مزمور 118 : 18.

12. في أن حياة الروح تُخدم الحواس: الحياة في الله تُحيي القلب، فتُخمد الحواس (لا تعود التجارب تأتي من خلال

الحواس). (وبالعكس)، بتهووس الحواس (و استثارتها) يموت القلب ويبتعد عن الله 567

13. في عمل الفضيلة: من يفعل الصلاح لأجل المكافأة 568 لا يثبت في الصلاح. والفضيلة التي تُصنع بدافع من آخرين

569 لا تُنقي النفس 570 (لأنها لم تعمل بدافع من القلب. وهي) تُحسب أمام الله أجرّة عمل (أرضي، ولا تنال مكافأة من الله). أما الفضيلة التي يعملها الإنسان من تلقائه (من دون دافع نفعي) فتعتبر كاملة وتُحقق كلتا الغايتين، المكافأة والتنقية. فابتعد عن المكافأة واسع وراء التنقية (بممارستك أعمالاً لا غاية نفعية لها). ومن استهان بالتنقية يتسبب في إهمال (يُخاطر بخسارة) المكافأة، وينفصل عن الله. أما التنقية فتسد فراغ (تُغني عن) المكافأة من دون الحصول عليها

571

564 أي لا يكون هو وصلاته مقبولين لدى الله. فكلما ازداد تحرر الراهب من الجسديات، كلما كان أقرب إلى الله، و أكثر قبولاً عنده، واستمع الله لصلاته.

565 بهذا يجعل القديس إسحق الرأفة وإسعاف القريب الذي يمارسه الراهب المُجاهد باباً لمعرفة الإلهيات، و تشبيهه سراج الزيت هنا له مغزى كبير: فالزيت في الكتاب المقدس هو علامة الرأفة (لوقا 10 : 34)، و النور هو نور المعرفة. ومن كان له زيت الرحمة، نال نور المعرفة.

566 التعزية الإلهية تُنشئ الصبر، لأنّ المجاهد يُدرك عناية الله به، فيصير؛ والصبر أكثر قدرة من الفرح في جعل الإنسان يحتمل الصعوبات.

567 الحواس تعني الجسد ونزعاته، وقد قال فيها الرسول: " الذين يحيون بحسب الجسد ينزعون إلى ما هو للجسد، والذين يحيون بحسب الروح ينزعون إلى ما هو للروح. فالجسد ينزع إلى الموت، و أما الروح فينزع إلى الحياة والسلام.

وُزوع الجسد عداوةً لله، فلا يخضع لشريعة الله، بل لا يستطيعُ ذلك. والذين يَحْيُونَ في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله" (رومة 8 : 5-8)؛ أنظر أيضاً: غلاطية 5 : 17 ؛ 1 بطرس 2 : 11.

568 إما مُكافأة لله، وإما مُكافأة الآخرين ومديحهم و الظهور أمامهم بمظهر التقوى.

569 بدافع من الآخرين: لأنهم يَحْتَوْنَ الراهب على عمل الفضيلة، أو لأنه يَعْمَل الفضيلة بدافع إرضائهم والظهور أمامهم بمظهر التقوى.

570 العمل الصادر لأجل غاية نفعية ليس نقياً، ولذلك يَسْتَحِيل أن يُنْقَى النَّفْس. أما العمل الذي لا غاية نفعية له، فهو عملٌ نقيٌّ، وهو لذلك يُنْقَى النَّفْس.

14. في الكسل والبطالة: الرَّاحَة والبطالة هلاكٌ للنفس، وقد يؤذيان أكثر من الشياطين 572. [الكسل يُودي بالراهب إلى التهلكة من دون تدخل الشياطين] إذا كان (جسدك) قوياً وأسلمته للرَّاحَة والبطالة، فكلَّ شُرور النَّفْس الساكنة في الجسد ستتفاقم. وإذا عَزَمَ (الكسول البطال) على عمل الصَّلاح بكلِّ إرادته، فالرَّاحَة والبطالة سوف تسلبانه شيئاً فشيئاً فكرة (الرَّغبة في) الصَّلاح.

15. في وجوب الفطنة والاعتدال في الجهاد: عندما تَضْغَط على الجسد الضَّعيف في العمل (الجهاد الروحي) أكثر من طاقته تزيد على نفسك ظلاماً فوق ظلام، وتجلب لنفسك التَّشْوِش 573 لكن متى أَصْبَحَت النَّفْس خَلِيلَةً لفرح الروح، و سَكِرَت بفرح رجائها بالله (بفعل تقدُّمها في الجهاد)، يفقد الجسد إحساسه بالشَّدائد، مهما كان ضعيفاً. وبالرَّغم من أنَّ الجسد يحمل آنذِرَ عملاً مُضاعفاً (أي يحمل الضَّعف وتعب الجهاد)، فإنَّه يتمتَّع مع النَّفْس (بالفرح السماوي) ويشاركها النِّعيم.

16. في طهارة اللسان: إذا صُنَّت لسانك، يمنحك الله نعمةً تخشع القلب لتُشاهد حالة نفسك وتلج إلى فرح الروح، أما إذا تسلَّط عليك لسانك فثِقَ أنك لن تستطيع التخلُّص من الأدلهمام أبداً 574.

17. في إكرام الخاطئ لردِّه إلى التَّوبَة: إذا أردت أن تُرشِدَ أحداً إلى الخير (لا تؤنِّبه بل) قدِّم له الرَّاحَة الجسدية ثم أكرمهُ بكلام المحبَّة. لا شيء يَحُثُّ الإنسان على الخَجَل ويجعله يتراجع عن شرِّه ويخطو نحو الأفضل مثل الخيرات الجسدية والإكرام الذي يلمسه فيك.

571 الأعمال التي لا غاية نفعية لها هي أعمال نقيَّة، وتؤدِّي إلى تنقية النَّفْس، وإن لم تكن لها مُكافأة بالضرورة. إلا أنَّ التَّنقية الحاصلة بذلك هي المُكافأة الأفضل.

572 الراحة هنا تعني التقاعس عن ذكر الله الدائم وعدم اليقظة وإهمال الجهد وضبط الحواس، وإهمال مراقبة حركات الذهن والتأمل في الكتب المقدسة، وهذه الأمور جميعها تفتح الباب على مصراعيه لهجمات الأهواء والتجارب. فالكسل الروحي والراحة الجسدية المرافقة له هما هلاك للنفس ويؤذيان أكثر من الشياطين. كانت دينونة العبد الكسلان طامر الوزن قاسية، فدعا الرب " العبد الشرير الكسلان الجبان"، و أمر بأن تؤخذ منه الوزن التي معه وبأن " يطرح في الظلمة البرانية حيث البكاء وصريف الأسنان" (متى 25 : 26 و 28 و 30). اما العامل الذي كان جالسا بطالا في الساحة (متى 20: 3) ، وتاب عن كسله وعمل في كرم السيد في الساعة الأخيرة، فأكرمه السيد كما أكرم عامل الساعة الأولى (متى 20 : 11 – 14). فالكسل يستوجب دينونة شديدة، والتوبة عن الكسل تستحق المكافأة والإكرام.

18. في تعب الجسد: لا تحزن مما يتعب الجسد، لأن الله يرفعه عنك بالكلية 575.

19. في الموت: لا تحف من الموت، لأن الله أعد لك مرتبة أسمى منه 576

20. في الأهواء وتعب الصلاة: إن لم نغرق (نتعب في جهادنا) هنا (على الأرض)، فسوف نحصد الشوك. لأن ترك الصلاة يلصقنا بالأرض التي تُنبت لنا شوكاً بحكم الطبيعة 577 الأهواء هي أشواك تُنبت فينا من البذار (الرغبات) الكامنة في الجسد، لأنه يستحيل أن تُنبت الأرض غير البذور المزروعة فيها. وجسدنا الترابي، ابن هذه الطبيعة، هو حسب شهادة الرب " من الأرض التي منها أخذ" 578. الأرض تُنبت أشواكاً والجسد يُنبت أهواءً.

نحن بحاجة ماسة كل يوم إلى اقتلاع الأشواك من هذه الأرض حتى تُستصلح (وتتنقى)، وثباتنا (واستمرارنا) في العمل

573 على المجاهد أن يجاهد بفطنة، على قدر طاقة جسده، وقدرته على الاحتمال، فلا يُحمل نفسه أكثر من طاقتها، فيُقصّر في جهاده بعد وقت قصير وينال التشوش والظلمة بدلاً من الاستنارة. من هنا، توجب الحياة الرهبانية على المجاهد أن يكون عنده أب روحي. أنظر المقالة 55، الفقرة 6.

574 ويقول القديس يوحنا السلمى: " إذا لم تقتن قلباً نقياً، فاقتن على الأقل فماً طاهراً. ويقول القديس إسحق إن المنام يخسر أتعابه ويموت عن الله (المقالة الثامنة والخمسون، الفقرة، الفقرة 13).

575 تَرَكَ آدَمُ جِهَادَهُ فَالْتَصَقَ الْأَرْضَ الَّتِي تُنْبِتُ شَوْكاً (تكوين 3 : 18). سبق القديس إسحق فشرح هذه الفكرة بقوله: " متى أَصْبَحَتِ النَّفْسُ خَلِيلَةً لِفَرْحِ الرُّوحِ، وَ سَكَرَتْ بِفَرْحِ رَجَائِهَا بِاللَّهِ، يَفْقَدُ الْجَسَدُ إِحْسَاسَهُ بِالشَّدَائِدِ " المقالة الثالثة والسبعون، الفقرة 16.

576 سبق للقديس إسحق القول إنَّ الخوفَ على الجسد، والخوفَ من الموت، هما علامة ضعف في الحياة الروحية، وأنَّ الراهب لا يزال في مرتبة المبتدئين. أما المرتبة الأرفع من الموت فهي القيامة، الحاضرة في حياة الراهب منذ الآن، والتي يَحْيَاهَا بِجِهَادِهِ الْمُضْنِيِّ كُلَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ودخول الملكوت هي المرتبة التي أعدّها الله للمُجاهدين، ولجميع مُختاربه.

577 يُفَسِّرُ القديس إسحق رواية سقطة آدم بلغة رهبانية. فآدم قبل السقطة كان في حال الثاوريا (مُشاهدة الله) وفي حال الفضيلة الكاملة، ومحبة الله الكاملة، التي هي الفردوس. و بالسقطة صارت الأرض تُنْبِتُ لَهُ شَوْكاً وَحَسَكاً، أي أهواء ورغبات تسير به إلى الموت، فيعود إلى الأرض التي أُخِذَ مِنْهَا (تكوين 3) ولذلك حُكِمَ عَلَيْهِ بِالمشقة، أي بالجهاد والصلاة، ليحفظ علاقته بالله ويقاوم الموت ويستعيد الفردوس بالجهاد.

يُضَعِفُ الْأَشْوَاكُ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُنْقِي الطَّبِيعَةَ مِنْهَا تَمَاماً. أَمَا التَّغَاضِي وَالْإِهْمَالُ وَالتَّوَقُّفُ عَنِ الْعَمَلِ (عَمَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّنْقِيَةِ الذَّاتِيَّةِ)، فَيُكَثِّرُ الْأَشْوَاكَ وَ يُنْمِيهَا، فَتُغَطِّي الْأَرْضَ وَيَخْتَنِقُ زَرْعَكَ (صلاتك) وَيَتَلَفُ تَعْبِكَ (سهرك)؛ [وقد قال الكتاب: "إحراثوا لكم حرثاً، ولا تزرعوا بين الشوك"] 579

21. في سيرة الذين اختاروا الانفصال عن العالم: 580 اختار (المُجاهدون) الانفصال عن العالم بالجسد و الذهن لكي يُنْبِتُوا فِكْرَهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَحَدَهَا، وَ يَمُوتُوا عَنِ الزَّائِلَاتِ وَرُؤْيَيْهَا وَذِكْرَهَا. فَيَجِبُ أَلَّا تَشْغَلَهُمُ الْأُمُورُ الْجَسَدِيَّةُ وَأَعْمَالُ الْبِرِّ الْمَنْظُورَةِ (أي عمل الإحسان المادي)، بل ينبغي أن يَهْتَمُّوا "بإماتة أعضائهم التي على الأرض" 581 وأن " يُقَدِّمُوا أذنانهم لله ذبيحةً طاهرة لا عيبَ فيها" 582، وَ أَنْ يَحْتَمِلُوا بِصَبْرِ الشَّدَائِدِ الْجَسَدِيَّةِ وَالْأَخْطَارَ مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ (بالملكوت) الآتي. إنَّ السَّيْرَةَ الرَّهْبَانِيَّةَ (سيرة المُجاهدين) تُعَادِلُ سَيْرَةَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَلَّا نُهْمِلَ الْعَمَلَ (الجهادي) السَّمَاوِيِّ لِنَتَمَسَّكَ بِالأشياء (الأعمال الخارجية) الأرضية. 583

22. واجب الراهب (المُجاهد) الاهتمام بأعمال السكينة: 584 أعجب من الذين يُسَبِّبُونَ التَّشْوِيشَ لِأَنْفُسِهِمْ فِي سَكِينَتِهِمْ حَتَّى يُرْبِحُوا الْآخَرِينَ وَيُؤْمِنُوا لَهُمُ الْحَاجَاتِ الْجَسَدِيَّةِ. عَلَيْنَا أَلَّا نَمزج الاهتمام بعمل السكينة بأيّ اهتمام آخر، بل أن نُعْطِيَ كُلَّ عَمَلٍ قِيمَتَهُ حَتَّى لَا تَتَشَوَّشَ سَيْرَتُنَا.

المُهْتَمُّ بالكثير (من المشاغل) هو عبدُ الكثير. أما مَنْ تركَ كلَّ شيءٍ ليهْتَمَّ بنفسه (بتنقيتها) فهو حبيبُ الربِّ. كُثُرُ هم الذين يفعلون الإحسان ويُتَمِّمون محبةَ القريب، فيؤمّنون له الحاجات الجسديّة. أما (المتوحّدون) عمال السكينة الحسنة، المهتمّين بالله، فهم نادرون، وبالكاد يوجدون.

هل استطاع احدٌ من عمال (محبّي) الإحسان المهتمّين بتأمين الضروريات الجسديّة (للآخرين) أن يبلغَ واحدةً من المواهب التي أهل لها العائشون في السكينة؟ إذا كنتَ راهباً فعليك أن تمتاز بالأعمال التي يبرع فيها الرهبان (أي الصلوات والأصوام والجهاد الروحي). أما إذا أردتَ أن تتعاطى العمليّن (الجهاد الروحي وأعمال الإحسان) فأنتَ فاشلٌ في كليهما. أعمالُ الراهب هي التحرُّر من الجسديات، والصلوات بتعبٍ جسديّ، وذكر الله باستمرار في القلب.

578 تكوين 3 : 19

579 إرميا 4 : 3

580 الكلام في هذه الفقرة موجه خصوصاً إلى الرهبان المتوحّدين.

581 أي إماتة أهوائهم. (كولوسي 35 : 5)

582 يكون تقديم الذهن ذبيحةً بإخضاعه لله بالطاعة والتطهّر (رومة 12 : 1-2)

= المقالة الحادية والثمانون =

1. في التوبة والطهارة والكمال: نستطيع إنهاء كلّ طريق (جهاد) بالتوبة والطهارة والكمال 585 التوبة هي القلب المنسحق والمتواضع، وإماتة الذات إرادياً عن الأشياء (الاهتمامات) الداخليّة والخارجيّة، وتركها (بالتخلّي والتوبة عنها) والندم عليها والطهارة هي القلب الذي يرحم جميع المخلوقات 586، أما الكمال فهو عمق التواضع، الذي يعبر عنه بترك المنظور وغير المنظور 587.

2. في مَنْ هو رحيم القلب: رحيم القلب 588 هو الذي يتحرّق (حُباً ورحمةً) من أجل الخليقة كلّها: الناس والطيور والحيوانات وكلّ مخلوق. هو الذي تنسكب الدّموع من عينيّه عند تذكرها أو مشاهدتها، وينقبض قلبه ويشفق عند سماع أو مشاهدة أي شرٍّ أو حزن يُصيب الخليقة، مهما كان صغيراً. لذلك فهو يُقدّم صلاته في كلّ ساعة مصحوبةً بالدّموع من أجل الحيوانات وأعداء الحقيقة، وحتى من أجل الذين يؤذونه، كي يحفظهم الله ويغفر لهم. إن قلبه ينبض بالرحمة فيبورّعها على الكلّ بلا قياس، كما يفعل الله.

583 أعمال الخدمة قد تشغل المتوحد عن جهاده وتشتته. فعليه ممارسة أعمال الرحمة بتمييز شديد، وباعتدال. أنظر المقالة

59، الفقرة 3، والحاشية 502

584 الكلام في هذه الفقرة موجه خصوصاً إلى الرهبان المتوحدين.

585 "من أراد أن يُقدّم للمسيح جسداً طاهراً وقلباً نقيّاً فليحرص على التمسك بالوداعة والاعتدال. ومن دون هاتين الفضيلتين

يذهب تعبهُ كلّهُ سُدَى" القديس يوحنا السلمي، السلم إلى الله، المقالة 26 (القسم الثاني): 141.

586 ترتبط الطهارة بوجود الرحمة في القلب. فالقلب المدنس بالخطايا تضعف فيه القدرة على الرحمة، بحسب قول ربنا: "

لكثرة الإثم تبرد المحبة" (متى 12 : 24).

587 عدم الاهتمام بالذنيويات (المنظورة) وغير المنظورة (مشقات النفس وآلام الجسد). و إنَّ عَدَم الاهتمام بالمقتنيات

والذنيويات هو دليل تواضع. أنظر المقالة 21، الفقرة 3.

588 يقول القديس إسحق في الفقرة السابقة إنَّ رحيم القلب هو مَنْ بَلَغَ، أولاً، الطهارة. وسبب ذلك أن الخطيئة تُقسي

القلب. (متى 12 : 24)

3. ما هي الصلاة: الصلاة هي إفراغُ الذهن من كلّ ما هو دُنْيويّ وعودة (ارتداد) مُشاهدة القلب إلى شوق رجاء الخيرات

الآتية 589 ومَنْ لا يملك الصلاة فهو كمن يَغرس في حقله بذوراً مُختلطة الأنواع، أو كالذي يكِدُّ الثور والحمار معاً

590 (وهما لا يتوافقان، فتبقى أرضه بلا حراثة، ولا يأتي بثمر).

4. في اقتناء التواضع 591: يقتني الرهب المتوحد التواضع بتذكُّر خطاياها على الدوام، وترقُّب (والذكر الدائم) للموت،

وارتداء اللباس الحقيق (غير الباذخ)، واختيار المكان الأخير 592، والإسراع إلى الأعمال الوضيعة، والبُعد عن العصيان

على رؤسائه، ومُلازمة الصمت، وعدم حُبِّ الذهاب إلى الاجتماعات، وقبوله أن يكون مجهولاً ومن دون اعتبار، وعدم

اقتناء شيء خاص، ومقت التحدُّث مع الجماهير، ودم محبة الكسب (المادي)، و أيضاً بأن يُقضي عن ذهنه كلّ تذمُّر

وتعبير وحسد، و أن يرفع يده عن الجميع (لا يكون له سُلطة على أحد)، وأن يقبل أن تكون يد الجميع عليه (يُطيع

ويعتبر نفسه أدنى الجميع)، و أن يهتم بشؤونه وحدها (أن يهتم بإصلاح نفسه)، وألاً يُفكر بشيء دُنْيويّ. الغربة والفقر

وحياة الوحدة تُؤلِّد في (المجاهد) التواضع وتنقية القلب 593.

5. في أن اكتمال المحبة هو دليل بلوغ الكمال: [اكتمال المحبة هو] دليل بلوغ الكمال 594. فالكاملون إذا أسلموا ذواتهم

للحرق عشرات المرات يومياً حباً بالناس فلا يكتفون. قال موسى (لله): " إذا شئت أن تغفر (لشعبك) فاغفر، وإلا فامحني

من كتابك" 595 (أي أن موسى كان على استعداد لأن يبذل نفسه في سبيل شعبه). وقال بولس المغبوط: " أصلي أن

أكونَ مَحْرُومًا ومُنْفَصَلًا عن المسيح من أجل اخوتي" 596، وأيضاً: " أفرحُ بالآلام التي أعانيها من أجلكم" 597. أما
الرُّسل

589 يقول القديس إسحق إنَّ قوام الصَّلَاة: ارتداد الدَّهن من التشتُّت؛ وطهارة الدَّهن؛ وحرارة القلب؛ والشوق إلى
الخيرات الآتية، أي البركات والإنعامات الآتية في هذه الحياة وخيرات الملكوت في الحياة الآتية؛ ومُخاطبة القلب
والذهن لله من دون انقسام أو تشتُّت. وبتعبير القديس إسحق، هذه هي " الصَّلَاة النقيَّة". ومَن هو في تشتُّت دائم ولا
يملك هذه الصلاة، لا حياة رُوحية لديه، بل هو عقيم، ولا يأتي بثمر.

590 تثنية 22 : 10.

591 الكلام في هذه الفقرة موجَّهٌ بخاصةٍ إلى الرهبان المتوحِّدين.

592 عملاً بقول الربِّ: " إذا دُعيتَ فاجلس في المقعد الأخير". (لوقا 14 : 8).

593 بحسب القديس إسحق، التَّواضع هو أساسُ الفضائل ومجموعُها وقمَّتُها.

الآخرون فتقبَّلوا الموت المتعدِّد الوجوه، مدفوعين بشوقهم إلى خلاص النَّاس.

الربُّ الإله أسلم ابنه الوحيد للموت حُباً بالخليقة. " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" 598. هذا لا يعني أنه
لم يكن قادراً على تخليصنا بطريقة أخرى، إنما فعل ذلك ليعلمنا محبته الفائقة. وبموت وحيدهِ قَرَّبنا منه، ولو كان لديه
أثمن من وحيدهِ لقدمه لنا حتى يرفعَ ذريتنا إليه. محبته التي لا تُحدَّ جعلته لا يضغط على حُرِّيتنا 599. المسيح أطاعَ
اباه، وكما يقول الكتاب، قبلَ الحزن والإهانة بفرح، واستبدلَ السرور الأبديَّ بتحمُّل الصَّليب" 600 لذلك قال في الليلة
التي أسلم فيها: " هذا هو جسدي المعطى لأجل حياة العالم. وهذا هو دمي المهرق من أجل مغفرة الخطايا". وقال أيضاً:
"أقدسُ نفسي من أجلهم" 601.

هذا الكمال يبلغه القديسون عندما يتحدون بالله وتفيضُ محبتهم على الجميع وهي المحبة التي يُجاهد في سبيلها القديسون،
مُنشبهين بالله، ليحققوا بها محبة القريب. وهذا ما فعله آباؤنا المتوحِّدون الذين بلغوا الكمال والتشبه بالله، فاقتنوا في
ذواتهم ملء محبة المسيح.

594 سبق للقديس إسحق القول إن قوام الكمال هو الطهارة والمحبة. وفي هذه الفقرة يُضيف إلى المحبة الاستعداد لبذل الذات في سبيل محبة الإخوة. واكتمال المحبة يعني تجرد المحبة، التي لا حدود لها، من كل غاية نفعية، و التي تذهب إلى حدّ بذل الذات كما فعل الربّ الذي أحبّ خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى الغاية. " (يوحنا 13 : 1)

595 اختار موسى أن يُسلم إلى الموت لأجل شعبه. (خروج 32 : 32).

596 رومة 9 : 3

597 كولوسي 1 : 24

598 يوحنا 3 : 16

599 بالرغم من محبة الله الفائقة لنا، فهو يحترم حرّيتنا ولا يُرغمنا قسراً على محبته وطاعته.

600 عبرانيين 12 : 2

601 متى 26 : 28؛ الكلام في سياق النصّ هو على بذل الذات حباً بالآخرين واستشهاد القديس إسحق، هنا، بقول

الربّ "أقدّس ذاتي من أجلهم" (يوحنا 17 : 19)، يجعل من تقديس الذات عملَ بذل ذات لأجل الآخرين.

لم يكن المغبوط أنطونيوس يُفضّل نفسه على قريبه في كلّ ما ينفع. وكان الأنبا أغاثون يتشوّق لأنّ يستبدل جسده بجسد أبرص. و بعضهم أسلموا أجسادهم للوحوش والسيف والنار من أجل القريب. 602 فالذين يُحبّون هذا العالم لا يستطيعون أن يُحبّوا الناس. مُقتني المحبة يتوشح بها، وباللّه نفسه (لأنّ الله محبة). مُقتني الله (الذي هو المحبة) مُلزم بعدم اقتناء أيّ شيء آخر، بل بالانسلاخ عن جسده أيضاً.

المتوشّح بهذا العالم وعاشق هذه الحياة لن يتوشّح باللّه. وقد شهد هو نفسه فقال : " من لا يُحبّني أكثر من نفسه لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً" 603. الربّ لم يُوص بترك العالم فقط، بل بمقتته أيضاً. فهل يسكن المسيح في داخل من لا يستطيع أن يكون له تلميذاً؟

6. في أنّ سيرة الرجاء وأعماله سهلة وخفيفة على النفس: الرجاء (بعود الخيرات الآتية) يُوقظ الشوق الطبيعي (إلى الله) ويسقي المشتاقين من كأس (ذلك الشوق)، فلا يُحسّون بالضيق ولا يشعرون بالتعب في مسيرتهم، "لأنّ وعر الطريق يصير لهم سهلاً" 604

7. في اللاهوى: اللاهوى لا يعني عدم الشعور بالأهواء، بل عدم قبولها (فلن نكون بمأمن من هجمات الأهواء ما دُمنّا أحياء). الذين تكثروا فضائلهم، الظاهرة والخفية، تضعف أهواؤهم ولا تعود تثور على النفس بسهولة؛ فلا يحتاج الذهن إلى

سَهَرَ مُسْتَمِرّاً عَلَيْهَا، وَيُصْبِحُ وَقْتَهُ مَلِيناً بِالْمَعَانِي النَّابِغَةِ مِنَ التَّمْلِئَاتِ وَالْمُهَيِّذِ (التَّفَكُّرِ الدَّائِمِ) بِالْأُمُورِ السَّامِيَةِ الَّتِي تَشْغَلُهُ بِطَرِيقَةٍ وَاغِيَةٍ وَحَكِيمَةٍ. وَإِذَا بَدَأَتِ الْأَهْوَاءُ بِالتَّحَرُّكِ (لِلْمُجُورِ)، يُحْتَفِظُ ذَهْنُهُ فَجَاءَتْ بِتِلْكَ الْمَعَانِي (السَّامِيَةِ) الَّتِي تَجُولُ فِي خَاطِرِهِ. عِنْدئِذٍ (تُطْرَدُ) الْأَهْوَاءُ وَتَوْلِي هَارِبَةً. 605

8. فِي ثَمَارِ التَّنْقِيَةِ وَاتِمَامِ عَمَلِ الْفَضَائِلِ: إِنَّ الذَّهْنَ بِاتِمَامِهِ عَمَلَ الْفَضَائِلِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَبِاقْتِرَابِهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ، لَا يَتَأَثَّرُ كَثِيراً بِمَا هُوَ شَرِيرٌ وَغَيْرُ عَاقِلٍ يُخَالِفُ الْعَقْلَ فِي النَّفْسِ، لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُ لِلْإِلَهِيَّاتِ تَحْتَفِظُ ذَهْنَهُ إِلَى الْعِلَاءِ وَتُغْرِبُهُ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْعَالَمِ. فَالَّذِي حَصَلَ، بِوَسْطَةِ النَّسْكِ، عَلَى طَهَارَةٍ وَشَفَافِيَّةٍ وَخَفَّةٍ وَتَوَقُّدٍ فِي الذَّهْنِ، يَتَنَقَّى وَيَسْتَنِيرُ فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ السَّكِينَةَ وَيَسْتَمِرَّ فِيهَا، وَيَنْجَذِبُ بِسُرْعَةٍ بِوَسْطَةِ الْمَشَاهِدَةِ (مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ). وَعِنْدَمَا يَمْتَلئُ (الْمُجَاهِدِ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ) لَا يَعُودُ بِحَاجَةٍ إِلَى وَسِيلَةٍ لِلْمَعْرِفَةِ، أَوْ لِمَا يُؤَلِّدُ فِيهِ ثَمَارَ الرُّوحِ 606

602 عبرانيين 11 : 33 - 38

603 لوقا 14 : 26

604 إشعيا 40 : 4؛ عندما تُهَاجِمُ الْمُجَاهِدِ الضَّيِّقَاتِ، يَنْظُرُ بِشَوْقٍ إِلَى رَجَاءِ الْخَيْرَاتِ الْآتِيَةِ، فَتَصِيرُ الضَّيِّقَاتِ وَمَشَقَّاتِ

وَتُمَحَّى مِنْ قَلْبِهِ الذِّكْرِيَّاتِ (الْبَاطِلَةِ) الَّتِي تُحَرِّكُ الْأَهْوَاءَ فِي نَفْسِهِ؛ وَتَضْعُفُ قُوَّةَ الشَّيْطَانِ (تُجَاهِهِ). فَالْنَّفْسُ تَكْتَسِبُ مَنَاعَةً ضِدَّ الْأَهْوَاءِ عِنْدَمَا تَنْهَمِكُ فِي الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ السَّامِيَةِ وَتَتَجَنَّبُ الْأَهْوَاءَ وَالتَّفَكُّرَ فِيهَا، فَلَا تُهَاجِمُ النَّفْسَ مِنْ بَعْدِ.

9. فِي سَكِينَةِ الْإِنْسَانِ الْمُتَوَاضِعِ: 607 التَّرَفُّعُ يُشْتَتِ النَّفْسَ بِالْخِيَالِ وَيُطَلِّقُ لَهَا الْعَنَانَ لِتُحَلِّقَ فِي غَمَامِ (أَوْهَامِ وَادْلَهَامِ) الْأَفْكَارِ، 608 أَمَا التَّوَاضُّعُ فَيَضْبِطُ النَّفْسَ فِي السَّكِينَةِ وَيُوحِدُهَا بِهَا. وَكَمَا أَنَّ النَّفْسَ لَا تُعْرِفُ وَلَا تُرَى بِالْعَيْنَيْنِ الْجَسَدِيَّتَيْنِ، كَذَلِكَ يَكُونُ الْمُتَوَاضِعُ مَجْهُولاً مِنَ النَّاسِ، وَكَمَا أَنَّ النَّفْسَ كَامِنَةٌ مَخْفِيَةٌ فِي الْجَسَدِ، لَا يَرَاهَا النَّاسُ وَلَا تَخْتَلِطُ بِهِمْ، فَكَذَلِكَ الْمُتَوَاضِعُ حَقًّا، يُرِيدُ أَلَّا يَعْرِفَهُ النَّاسُ أَوْ أَنْ يَرَوْهُ، لِأَنَّهُ انْفَصَلَ عَنْهُمْ بِالْجَسَدِ، وَيَرْغَبُ، لَوْ اسْتَطَاعَ، أَنْ يَغُوصَ فِي ذَاتِهِ وَيَدْخُلَ (فِي عُمُقِ) السَّكِينَةِ وَيَعِيشَ فِيهَا، تَارِكاً ذِكْرِيَّاتِهِ (الْبَاطِلَةَ) وَعَمَلَ حَوَاسِّهِ، وَصَائِراً كَمَنْ لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْخَلِيقَةِ، وَغَيْرِ رَاغِبٍ فِي الْعُودَةِ إِلَى هَذَا الْوُجُودِ. إِنَّ اقْتِرَابَهُ مِنَ (الْمَسِيحِ) سَيِّدِهِ يَزِيدُ بِمِقْدَارِ مَا يَكُونُ مَخْفِيًّا، حَافِظاً ذَاتَهُ (فِي النِّقَاوَةِ)، وَمُنْفَصِلاً عَنِ الْعَالَمِ.

الجهاد سهلة الاحتمال عليه.

605 لا يخلو إنسان من الأهواء، لكنّ علاجها يكون باكتساب الفضائل وذكر الله الدائم والتأمل في المعاني الإلهية السامية، فحالة اللاهوى لا تعني الخلو من الأهواء، بل إضعافها واكتساب القوة لمحاربتها بالجهاد و الصلاة. أنظر أيضاً: " الأفكار الإلهية هي مصدر حالة النعمة التي يبلغها الذهن " ، المقالة 62، الفقرة 5.

606 ثمار الروح القدس هي المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللفظ والصلاح والأمانة والوداعة والعفاف" (غلاطية 5 : 22-23). ومن أتمّ عمل الفضائل بنعمة الله واقترب من المعرفة الإلهية، ينال ثمار الروح هذه، ولا يعود بحاجة إلى وسائل لاقتنائها.

607 في هذه الفقرة، وال فقرات التي تلي، لا يصف القديس إسحق التواضع بقدر ما يصف الميزات التي يتحلّى بها المتوحد. فهو يصف فضائل الراهب المتوحد ويسمّيها جميعها " التواضع " وسبب ذلك أنّ التواضع هو أساس وأبو جميع الفضائل. لذلك فليس هذا النوع من التواضع بمتناول الشخص العائش في العالم. وقد كان موسى أكثر الناس تواضعاً في الأرض (عدد 12 : 3)، لكنّه لم يكن متوحداً. فهناك أنواع شتى من التواضع وطرق شتى لبلوغ التواضع.

608 يعاني المتكبر تخييلات وأوهاماً بالقوة وانتفاخ الأنا، فيبتعد عن الواقع، ومن هنا عبارة القديس إسحق " الخيال يُطلق العنان للنفس لثُحلق في غمام الأفكار "

التواضع لا يرتاح إلى اللقاءات والكلام و رؤية الجماهير والضجيج وتشتت الحواس، ولا للشبّع والتنعم، اللذين يجلبان الدعارة (تجارب وخطايا الجسد). بل يُفضّل البقاء في السكينة، وحيداً ومُنفصلاً عن كل مخلوق، ومُهتماً (بإصلاح) نفسه في مكان هادئ، مُكتفياً بالقليل، عديم القنية (ليس له مقتنيات)، فقيراً ومُحتاجاً، لأن الأشياء والمقتنيات والانشغالات الكثيرة تحتاج إلى أعمال كثيرة. ويسعى لأن يكون خالياً من الإهتمام (بالعالم) و بعيداً عن تشوش الأمور الدنيوية، لكي لا تتشتت أفكاره، لأن ارتبأكه بأمر كثيرة لن يقبه تشتت الأفكار.

فالاهتمامات الكثيرة تجلب تفكيراً مُشتتاً في أمور مُتنوعة، فيتعدّر عليه الترفع عن الاهتمامات الأرضية والمحافظة على سلامة أفكاره وصمود ذهنه في التفكير بالأمور الروحية السامية والفريدة، وإن كان هذا لا يعني أنه سيتحرر من الحاجات الضرورية الصغيرة.

أما إذا منعتهُ الضروريات من التفكير بالأمور الروحية (و تحوّل عنها)، فسوف يؤدي نفسه والآخرين 609، ويفتح على نفسه باباً تتسرّب منه الأهواء، و يفقد التمييز الهادئ الذي يجذب معه التواضع، فيغلق دونه باب السلام. فعليه أن يصون نفسه من الأمور (المشاغل) الكثيرة لكي يعيش في سُكون وراحة و لطف و ورع.

10. في صفات الإنسان المتواضع: المتواضع لا يعرف ضغطاً نفسياً ولا تسرعاً ولا تشويشاً ولا أفكاراً حادة فارغة، بل يكون في انشراح (فرح روحي) دائم 610. و إذا أطبقت السماء على الأرض لا يخاف. ليس كل هادئ متواضعاً لكن كل متواضع هادئ. وليس كل خفير متواضعاً ولكن كل متواضع خفير (ذو حياة). هذا ما قاله الرب: " تعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب، تجدوا راحةً لئفوسكم" 611.

المتواضع منشراح دائماً، لا شيء يُزعجه ويُعكّر ذهنه. وكما يستحيل على الإنسان أن يهزّ جبلاً، يستحيل عليه أن يهزّ ذهن المتواضع 612. ويجوز القول إن المتواضع ليس من هذا العالم، فلا الأحزان تُخيفه ولا الأفراح تُسرّه وتدهشه إن فرحه وبهجته كائنان في سيّده.

609 إن تقاعس المجاهد عن الجهاد يؤدي الآخريين لأنه لا يُجاهد لأجل نفسه فقط بل ولأجل تقديس الآخريين وخلص العالم، بحسب قول الرب " أقدس ذاتي من أجلهم" (يوحنا 17 : 19).

610 أنظر تعريف الفرح (الروحي) في المقدمة، الفقرة 5.

611 متى 11:21

11. في الثمار الروحية التي تنشأ من التواضع: من التواضع ينشأ اللطف والرشد (النضج) وعفة (وضبط) الحواس، والصوت المعتدل الارتفاع وقلة الكلام و احتقار الذات (واقتناء) اللباس الحقيقير (غير الباذخ)، والمشى الرصين والنظر إلى أسفل، وكثرة الإحسان، وسرعة (ذرف) الدموع، والانفراد بالنفس، وخشوع القلب، والإقلاع عن الغضب، وقلة جمع الضروريات (والزهد بها)، والاحتمال، والصبر، وعدم الجزع، والشجاعة القلبية الناجمة عن احتقار الحياة الزمنية، والصبر في التجارب، و (اقتناء) الأفكار الرصينة العميقة، و زوال الأفكار السيئة، وحفظ أسرار العفة والحفر والورع. والأفضل منها جميعها المداومة على السكينة، والرغبة في جهل كل ما يجري في العالم.

12. في خفر الإنسان المتواضع وحياته: إن أي ضرر (أذية) لا يُسبب للمتواضع الاضطراب والتشوش. و إذا كان ساكناً وحده فإنه يخفر (يستحي) من نفسه 613. المتواضع حقاً لا يجسر على الصلاة أمام الله (إلا بخوف ورعدة) لأنه يعتبر نفسه (غير مستحق المثل أمامه)، ولا (يجسر على) طلب أي شيء (منه). ولا يعلم ماذا يطلب (من الله)، بل يصمّت برضاه (باختياره)، مُنتظراً رحمة الله.

تظهر مشيئة الله في المتواضع عندما يسجد ويكون رأسه مُنحنيّاً إلى أسفل، ومُشاهدة قلبه الداخليّة مُرتفعة نحو باب قدس الأقداس المتعالي، حيث يمكث (الله) الذي مسكته في الغمام 614، وعيناه (عينا المصلي) تُبهران السيرافيم (بخشوعهما)

وَفَضِيلَتُهُ تُخَيِّمُ عَلَى طَغَمَاتِ الْمَلَائِكَةِ ، الَّذِينَ يُخَيِّمُ عَلَيْهِمُ السُّكُونُ . وَكُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ قَوْلَهُ عِنْدَمَا يُصَلِّي هُوَ : " لَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ فِيَّ يَا رَبِّ " .

= المقالة الثانية و التمانون =

1. في أن الأهواء دَخِيلَةٌ عَلَى النَّفْسِ : النَّفْسُ بِطَبِيعَتِهَا نَقِيَّةٌ وَ مُنْزَهَةٌ عَنِ الْأَهْوَاءِ . وَعِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ أَهْوَاءِ نَفْسِيَّةٍ وَأَهْوَاءِ جَسَدِيَّةٍ ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَلَى أَسْبَابِهَا 615 هَذَا مَا يَقُولُ بِهِ الْفَلَسَفَةُ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ .616

612 المتواضع الحقيقي يَعتَبِرُ نَفْسَهُ إِدْنَى مِنَ الْجَمِيعِ وَأَعْظَمَ الْخَطَاةَ . فَإِذَا ظَلِمَ أَوْ أُهِنَ أَوْ حَلَّتْ بِهِ نَائِبَةٌ أَوْ أَلَمٌ ، يَعتَبِرُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَاطِئٌ . وَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَا شَيْءٌ يُحْزَنُ الْمُتَوَاضِعُ ، وَلَا شَيْءٌ يُخْرِجُهُ عَنِ هَدْوَتِهِ .

613 أي "يحترم نفسه في خلوته" كما ورد في المقالة السادسة والخمسون ، الفقرة 6.

614 الغمَامُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ تَجَلِّيٌ مَجْدِ اللَّهِ (متى 17 : 1-7)

615 لَا يَفْطِنُ الْفَلَسَفَةُ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَّ النَّفْسَ نَقِيَّةً بِطَبِيعَتِهَا ، وَ يَزْعُمُونَ خَطَأً أَنَّ أَسْبَابَ الْأَهْوَاءِ كَامِنَةٌ فِي النَّفْسِ ، وَ لَيْسَتْ خَارِجَةً عَنْهَا ، وَبِهَذَا يَخْلُطُونَ بَيْنَ الْأَهْوَاءِ وَ أَسْبَابِهَا وَيَجْعَلُونَهَا أَمْرًا وَاحِدًا . وَ إِنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ إِلَى الْأَهْوَاءِ الَّتِي

أَمَا نَحْنُ فَنُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى صَوْرَتِهِ كَمِثَالِهِ (مُنْرَهًا عَنِ الْهَوَى) . لَا بِحَسَبِ الْجَسَدِ ، بَلْ بِحَسَبِ النَّفْسِ غَيْرِ الْمَنْظُورَةِ . فَالصُّورَةُ لَا (تُرْسَمُ) إِلَّا بِحَسَبِ الْمِثَالِ 617 . وَ الرَّسَامُ حِينَ يَرَسِمُ ، يَضَعُ نُمُودَجًا أَمَامَهُ . (وَهَكَذَا صَوَّرَنَا اللَّهُ ، عَلَى صَوْرَتِهِ ، كَمِثَالِهِ ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ النَّمُودَجَ) . لِهَذَا فَالْأَهْوَاءُ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ .

إِنَّ ائْتِدَاعَ الْأَهْوَاءِ (لِمَهَاجِمَةِ النَّفْسِ) يَتِمُّ بِدَوَافِعٍ خَارِجِيَّةٍ لَا ذَاتِيَّةٍ ، 618 أَمَا إِذَا تَحَرَّكَتِ الْأَهْوَاءُ فِي النَّفْسِ بِدَافِعٍ نَفْسِيٍّ فَقَطْ ، مِنْ دُونِ أَنْ يَشْتَرِكَ الْجَسَدُ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ ، فَعِنْدئِذٍ تَكُونُ الْأَهْوَاءُ نَفْسِيَّةً 619 . فَالْجُوعُ وَالْعَطْشُ وَالتَّوْمٌ هِيَ أَهْوَاءٌ طَبِيعِيَّةٌ ، لَكِنِ النَّفْسُ تُعَانِيهَا ، وَكَذَلِكَ تَتَأَلَّمُ (النَّفْسُ) بِسَبَبِ الْجَسَدِ عِنْدَ بَتْرِ الْأَعْضَاءِ وَالْحَرَقِ وَالمَرَضِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ النَّوَائِبِ . النَّفْسُ تُشْعُرُ مَعَ الْجَسَدِ وَتُشَارِكُهُ أَفْرَاحَهُ وَتَتَقَبَّلُ أَحْزَانَهُ لِأَنَّهَا مُتَّحِدَةٌ بِهِ وَ مُشْتَرِكَةٌ مَعَهُ .

كَانَتْ النَّفْسُ (قَبْلَ سَقَطَةِ آدَمِ) مُسْتَوْدَعًا لِلنُّورِ الْإِلَهِيِّ الْمَغْبُوطِ (وَخَالِيَّةً مِنَ الْأَهْوَاءِ) ، وَكَانَتْ طَبِيعَتُهَا (طَبِيعَةُ النَّفْسِ) مُضِيئَةً وَنَقِيَّةً ، وَهِيَ تَسْتَعِيدُ هَذِهِ الْحَالَةَ بِعَوْدَتِهَا إِلَى نِظَامِهَا الْقَدِيمِ (بِالتَّأَمُّلِ الدَّائِمِ بِاللَّهِ ، كَمَا كَانَتْ حَالُهَا قَبْلَ السَّقَطَةِ ، فَتَمْتَلِي

مُجَدِّدًا بِالنُّورِ الإِلَهِيِّ) 620. وعندما تَتَحَرَّكُ (النَّفْسُ) بتأثير من الهوى، يكون ذلك التصرف بخلاف طبيعتها، كما يؤكد آباء الكنيسة. فالأهواء دَخِيلَةٌ عَلَى النَّفْسِ، وليست من طبيعتها، وإن كانت النَّفْسُ تَتَحَرَّكُ بدافع من الأهواء.

يوضحها القديس إسحق، تحمل رجاء كبيراً للإنسان بإمكانية رد هجمات الأهواء، و التحرر من تسلطها، مادامت خارجية وليست كامنة في النفس؛ لكن أيضاً، ما دامت الأهواء خارجة عن النفس، فهناك مسؤولية أكبر على المجاهد، إذا تسلطت الأهواء عليه.

616 متى 11 : 21

617 الله مُنَزَّةٌ عَنِ الهوى، وهو خَلَقَ الإنسان على صورته كميثاله، وقد صار الإنسان عُرضَةً لهجمات الأهواء بفعل سَقطة آدم.

618 لا تَنشَأُ هجمات الأهواء من داخل النفس، بل بدوافع خارجية، كهجمات الحواس مَثَلًا.

619 هناك أهواء نفسية تتحرك في الإنسان بسبب حاجات الجسد. وَتَعَجَّبَ أَنَّ القديس إسحق يُسَمِّي الجوع والعطش والنوم "أهواء" جسدية. ولعلّه يقصد أن هذه تصير أهواء عندما تخرج عن طبيعتها.

620 كانت النَّفْسُ قبل سَقطة آدم مملوءةً بالنور الإلهي، أي بمجد الله، على مثال المسيح الذي تجلَّى بالمجد والنور الإلهي غير المخلوق على جبل ثابور (متى 17 : 1-8). والمسيح إذ أظهرَ أنوار ألوهيته لتلاميذه على الجبل، فهو لا يُريهم

2. في أَنَّ النَّفْسَ نَقِيَّةٌ بطبيعتها ومُنزَّهة عن الأهواء: إذا حَافِظَتِ النَّفْسُ على حالتها (نقاوتها) الطبيعية ولم تدع الاهتمامات الدنيوية تتسرب إليها من الخارج، تَلِجُ إلى حِكْمَةِ الله من دون جهاد كثير. لأنَّ انفصالها عن العالم وسكينتها يَحْتَانُهَا بصورة طبيعية على معرفة مخلوقات الله 621، ومنها ترتفع نحوه وتندهل مُتَعَجِّبَةً، فتمكث عنده. عندما لا يتسرب ماء خارجي (فكرق مُضادٌ) إلى ينبوع النَّفْسِ (النقية) فإنَّ ماءها الطبيعي (يُنبت) ويُفِرِعُ فيها أفكار عَجَائِبِ الله 622، أما إذا (ابتعدت النَّفْسُ عن أفكار عجائب الله)، فيكون السبب في ذلك تسرب الأفكار الغربية إليها، أو الانزعاج النَّاجِمُ عن (تجارب) الحواس. فمتى أُغْلِقَ على الحواس داخل السكينة ولم يُسَمَحَ لها بالخروج (لم يُسَمَحَ للحواس بالاتجاه نحو الخارج)، و أصبحت الذكريات (الباطلة) منسية بفعل السكينة، عندئذٍ تُشَاهِدُ النَّفْسُ أفكارها الطبيعية (النقية) وتُدرك ماهية ذاتها و ماهية الكنز العجيب المُخْتَبِئِ فيها (في النَّفْسِ)، وهو

إدراك (مُعَايَنَة الملائكة) اللا مُتجسِّمين، الذي يَحصل من دون أن تَبْذَل النَّفسُ جَهْدًا وَتَعَبًا يَفوقان طاقَتَها. والإنسان لا يَعلم أن أفكاراً كهذه تتحرَّك في طبيعته البشريَّة، (وحيث يختبرها) لا يعلم مَن تَعَلَّمها ولا كيف أدركها ولا يستطيع أن يُفسِّرَها للآخرين، لأنه لم يتعلَّمها من إنسان 623.

مجده وحسب، بل ليُظهِرَ لهم ما سيكونون عليه في المجد عند انتقالهم إلى السماء. كذلك النفس المجاهدة تمتلئ مجدداً بالنور الإلهي من خلال التأمل الدائم بالله.

621 المقصود هنا الملائكة.

622 يُظهِرُ القديس إسحق هنا أن الله يُكافئُ المجاهد مكافآت جزيلة لأجل ضبط ذهنه وحواسه، وعيشه نقاوة ذهن ونقاوة القلب.

623 تَنَبَّتْ "أفكار عَجائب الله" في ذهن المجاهد بفعل عيشه السكينة؛ وهو لا يدري كيف اقتنى تلك الأفكار، ولا كيف تعلَّمها، ولا كيف يُفسِّرُها، لأنه لم يتعلَّمها من إنسان، بل من الملائكة. ولم يتعلَّمها كما يتعلَّم الإنسان، عادة، عن طريق تلقين العقل والذاكرة، بل بطرق إلهية لا تُدرَك. ولعلَّ القديس إسحق يَصِفُ هنا خبرته الشخصية.

= المقالة الثالثة والثمانون =

1. في نقاوة الذهن: نقي الذهن ليس من لا يعرف الشر، فهذه ميزة الحيوانات. وليس هو من يُشبه الأطفال بطبيعته، أو الذي لا يُفاضل بين الناس. نقاوة الذهن هي التأمل في الإلهيات، المرفق أولاً بعمل الفضائل. هذا الأمر (نقاوة الذهن) لا يكتسبه الإنسان من دون تجارب فكرية (لا يخلو من تجارب هجمات الأفكار)، وإلا لكان عليه أن يكون بلا جسد. التجارب الفكرية لن تكف عن إيذاء طبيعتنا، ما دُنا في هذه الحياة. هذه التجارب تؤدي (بالمجاهد، لأجل الدفاع ضدَّها)، إلى التأمل في الإلهيات وعمل الفضائل 624.

2. في مصدر هجمات الأفكار: لحركة (هجمات) الأفكار أربعة أسباب: [1] مشيئة الجسد الطبيعية. [2] تخيلات الحواس المتأثرة بما تسمع وترى من أمور العالم [3] (خبرة وذكريات) الأعمال (الباطلة) المقترفة في الماضي، وميل النفس إلى التفكير فيها وتذكرها. [4] هجمات الشياطين التي تُحاربنا بكافة الأهواء، بناءً على (ومستغلة) الأسباب الثلاثة السابقة. ويستحيل التحرر من أفكار (التجارب) والحروب ما دُنا في الجسد. الأهواء تسري في كل إنسان. وعلينا أن نتحفظ (نحذر)، ليس من هوى واحد يسري فينا بشكل ظاهر، بل من أهواء كثيرة خفية. ويكون الانتصار على الأهواء بأن يمتلك المجاهد قوة تخطف ذهنه (وتحوّلها عن الذكريات والأفكار الرديئة) إلى الذكريات الصالحة والأفكار الإلهية 625.

3. في نقاوة الذهن ونقاوة القلب: نقاوة الذهن تختلف عن نقاوة القلب. فالذهن هو حاسة من حواس النفس. أما القلب فهو الحاضن والحافظ لحواس النفس الداخلية جميعها، (بما فيها الذهن). القلب هو الجذر، وإذا كان الجذر مقدساً، فكذلك تكون الأغصان. وإذا تنقى القلب، تنقى جميع الحواس. وإذا اهتم الذهن بمطالعة الكتاب المقدس أو تعب قليلاً بالصوم والسهر والسكينة، فإنه ينسى تصرفاته (سقطاته) الماضية ويتنقى بابتعاده عن السلوك الرديء، علماً أنه لن يبقى في حال نقاوة ثابتة. فكما أنه يتنقى بسرعة فهو يتدنس بالسرعة عينها. (ولهذا لا يتنقى الذهن بالكلية إلا متى تنقى القلب).

624 الأفكار الشريرة، من كبرياء وغضب وحسد وثقمة وسوء ظن... لا تنفك تراود الإنسان وتهاجمه، وهي لأبد منها ما دُنا في الجسد. والدفاع ضدها يكون بالتأمل في الإلهيات وعمل الفضائل، فينال المجاهد خبرة في الجهاد ويكتسب نقاوة الذهن.

625 سبق للقديس إسحق القول إن محاربة الأفكار والذكريات غير المرتبة يكون بالتأمل في الكتب المقدسة. المقالة الأولى، الفقرة 2.

أما القلب فيتنقى بالشدائد الكثيرة والحرمان والتخلي عن الدنيويات، والموت عنها. وبعد أن يتنقى لا تستطيع التجارب الصغيرة أن تُدنسه، ولا أن تُرعبه الحروب الضروس المفزعة، لأن معدته أصبحت قوية وقادرة على هضم كل طعام روحي يعجز الضعفاء عنه (أي أنه اكتسب قوة ضد التجارب).

يقول الأطباء إن كل طعام عسير الهضم يُنشِط أصحابَ الجسد، ذوي المعدة القويّة. وكلّ نقاوة (للذهن) تحصل في وقت قصير وتعب قليل، تزول بسرعة وتتدنّس. أما النقاوة (القلبيّة) الصّائرة بالشّدائد الكثيرة والحاصلة بعد جهاد طويل، فلا تخاف من أيّ هُجوم على إحدى خلايا (قوى) النّفس، لأن الله يحفظها.

= المقالة الرابعة والثمانون =

1. في أن الذهن مطبوعٌ على الصّلاح: يستطيع ذهننا أن يتّجه نحو الصّلاح من تلقائه، بلا تردّد، ومن دون وساطة الملائكة 626، أما الشرّ فلا يُمكن (للذهن) فعله من دون وسيط 627. الخير مغروسٌ في النّفس، بخلاف الشرّ. وكلّ (شرّ) دَخيلٌ وغريبٌ يحتاج إلى وسيطٍ لتتعرّف (النّفس) عليه. أما ما هو مغروسٌ في الدّاخل فإنّه يسري في الطبيعة من دون تعلّم. فإذا كانت حال الإنسان الطبيعيّة أن تتحرّك نحو الخير بمفردها، فإنّ نُموّها ونورها مُمكنان من دون رؤية الملائكة الذين يُعلّموننا كما يُعلّمون بعضهم بعضاً. 628
2. في استعداد الذهن للمشاهدة الإلهيّة: إنّ ذهننا يملك قوّةً طبيعيّةً للتحرّك نحو المشاهدة و إنّنا لولا نقص واحد (الجسد) لكنّا مُساوين للطبائع السماويّة، لأنّ النّعمة نفسها تجري فيهم و فينا. هذه المشاهدة (تعلّم الإلهيّات) لا تتمّ، بالنسبة إلى الملائكة والبشر بحالة طبيعيّة، بل بفعل النّعمة الإلهيّة. لأنّ طبيعتهم (طبيعة الملائكة والبشر)، سواء أكانوا على الأرض أم في السّماء، تبقى عاجزةً عن إدراك الأمور الإلهيّة (من دون عمّل النّعمة). قبل مجيء المسيح بالجسد لم تكن المشاهدة (الإلهيّة) تتحرّك في ذهن المصافّ السماويّة (الملائكة وأرباب العهد العتيق). لكن عندما تجسّد الكلمة، فُتِحَ لهم الباب بيسوع، وتمكّنوا، بواسطة المشاهدة، من الدّخول إلى الأسرار الإلهيّة 629.

626 في اللاهوت الشرقيّ، لا يرث الإنسان خطيئة آدم، بل يرث ضعف الطّبيعة البشريّة، و استعداداً (إمكانيةً) للوقوع في الخطيئة. فالإنسان أساساً مطبوعٌ على الصّلاح.

3. في أن نور المشاهدة يُعلن بواسطة الملائكة: يستمد القديسون نور المشاهدة من الملائكة ليبلّغوا بذلك النور إلى مجد الأزليّة. وكلّ سرّ يُعلن في ذهن القديسين يتمّ بمؤازرة الملائكة، لأنّ الله عندما يسمح بحصول إعلان ما، تكونُ بداءته من المصفّ الأعلى (الملائكة) باتجاه المصفّ الأدنى (البشر)، إلى أن يبلغ إعلان ذلك السرّ إلى جميع المُستحقّين من (أبناء) الطّبيعة البشريّة.

لكن هذه المصافّ ستلغى في الدهر الآتي، لأنّ إعلان مجد الله لن يُستمدّ من الواحد إلى الآخر وقتئذٍ، بل يُعطى كلُّ واحد ما يُناسبه وفق مُستوى نجاحه (في الجهاد وقدرة إدراك و استيعاب الأسرار الإلهية)، وذلك من السيد مباشرةً. ولا يعود هناك مُعلّم ومُتعلّم، ولا مَنْ هو بحاجة إلى إكمال نقصه من آخر، لأنّ المُعطي هُنَاك واحدٌ (هو المسيح). وهو يُعطي المواهب مباشرةً للذين يستطيعون تقبّلها، (أهلوا لتقبّلها) ومن المسيح ينالون الفرح السماوي، وتتعلّق رغبة الجميع (بالإله) الواحد له المجد.

4. كيف يُدرك الإنسان أنه حظيَ بغفران خطاياها: عندما يُحسُّ الإنسان في نفسه أنه أبغضَ خطيئته من كلِّ قلبه، و أصبح سلوكه الخارجيّ مُعاكساً لها، فليثق أنه حظيَ لدى الله بالمغفرة لها، لا سيّما أنه أبغضها بشهادة ضميره الذي في داخله.

627 يستحيل أن يقبل الدّهن معرفة الشرّ ويفعله من دون وساطة الشياطين، ومن دون وجود مادة التجربة، التي تُحرّك الدّهن وتُثير فيه الشهوة، وتوقظ الغريزة.

628 أنظر المقالة 82، الفقرتين 1 و 2؛ يكشف القديس إسحق أنّ بعض المجاهدين يتعلّمون من الملائكة، و بعضهم يتعلّم منهم بطريقة مباشرة، بالمعينة؛ وعلى هذا يقول القديس يوحنا السلمي إنه تعلّم من "أفواه تقول الصدق".

629 راجع: 1 كورنثس 16 : 9 ؛ 2 كورنثس 2 : 12 ؛ كولوسي 4 : 3

= المقالة الخامسة و الثمانون =

1. في الحكمة: الحكمة لا حدّ لفهمها، وتعلّمها التّام مُستحيل، وليس لطريقها نهاية. والقديسون أنفسهم يظلّون عاجزين عن بلوغ كمال الحكمة. لكنّها ترفع طالبها حتى تُوحدهم بالله. هذه هي مُعجزتها. الحكمة هي الله نفسه 630 ما هو الطّريق الأوّل الذي يجعلنا نُقترب من الحكمة هو أن نتبع الحكمة بكلّ قوانا 631، ونستمرّ في جهادنا حتى النّهاية، و أن نُضحّي بحياتنا حبّاً بالله إذا دعّت الحاجة، من دون إهمال (كسل). يُدعى حكيماً باستحقاق مَنْ يُدرك أنّ

للحياة نهاية، فيضع حدًا لخطايه (يتوب عنها) 632. لا يوجد فهم أو معرفة أسمى من أن يُفلح الإنسان في الخروج من هذه الحياة من دون دنس، و بأعضاء طاهرة من اللذة الرديئة.

يستحيل إن يكون المرء سامي الأفكار، و أن يَلجَ إلى أسرار الطبائع (الكائنات) كُلِّها لكي يَعْتني منها بواسطة الاكتشاف والمعرفة الشاملة، بينما نفسه لا تزال مُدُنسة بالخطيئة 633 ولم يحصل في نفسه على شهادة رجاء (الدهر الآتي) 634. ولن يبلُغ إلى الميناء الأمين (نهاية جهاده) بسلام ومن دون خوف (من الدينونة). فليس في العالم أكثر جهالة منه، لأن أعماله حَصرت رجاءه في العالم دون سواه، لتعلقه به و اجتهاده المتواصل في سبيله.

2. في التَّجارب والضيقات : لا يمكن لأحد أن يقترب من الله من دون ضيقات، ومن دونها لا يمكنه أن يحفظ بره ثابتاً. الإنسان الأقوى في رتبة معرفة الحقيقة الإلهية، يرتاح للضيقات المؤقتة (التي تكمن وراءها) الحياة (الحقة) ومجد الظفر 635. وهو لا يرغب في الرفاهية (الدنيوية) التي تفوح برائحة البلبلة وتسقي المنصرف إليها من (مرارة اللذات) وكأس النحيب (النَّاجم عن الهزيمة في الجهاد والوقوع في دنس الخطيئة) 636.

630 المسيح هو " قوة الله وحكمة الله ". (1 كورنثس 1 : 24 ؛ 1 كورنثس 1 : 30 ؛ كولوسي 2 : 3).

631 أمثال 4 : 5 – 10. والحكمة لا تعني هنا إدراك الأمور الفلسفية المعقدة، بل اقتناء الحكمة الإلهية التي تقود إلى الملكوت، والتي هي الله نفسه.

632 " علمنا أن نعد أيامنا [قصيرة] ، فنأتي بقلب ذي حكمة " (مزمو 89 : 12). عندما يضع الإنسان نصب عينيه أن العمر قصير، لا يعود يكثرز للدنيويات ولا يتعلق قلبه بالأباطيل و الماديّات وشهوات العالم، بل يسعى جاهداً للتوبة عن خطايه.

633 المعرفة الإلهية مُحَرمة على المنغمسين في الخطيئة ، بحسب قول الكتاب : " سرُّ الربِّ مُتَّقِيه، ولهم يُعلن عهدَه

3. في عواقب الابتعاد عن أعمال الفضيلة: إنَّ السائر في طريق الله، إذا ابتعدَ عن (الله وعن أعمال الفضيلة)، نَتيجة التَّجارب التي تُصادفه، و إذا قَطَعَ عن البِرِّ المَصادر التي تُنمِّيه (الصلاة والجهاد الروحيّ وعمل الفضيلة والرَّحمة) فإنه يَقطع عن (ذاته) ما يحفظه، و يُصبح مثل كنز مُهمَل، أو مُجاهد مُجرَّد من أسلحته، أو مثل سفينة من دون أشرعة، أو مثل واحةٍ انقطعت عنها المياه.

4. في حلاوة العالم وشهوته: ما هو العالم 637 وكيف نعرفه، ولماذا يضرُّ محبِّيه؟ يُشبه العالم امرأةً فاسقةً تجذب بشهوة جمالها كلَّ مَنْ يَنظُرُ إليها. ومَنْ تعلقَ قليلاً بشوق العالم لا يُفلت من برائنه قبل أن يحرمه الحياة (مع الله). ولا يُدرك مدى خِداعه (خِداع العالم) إلا عندما يُجرِّده من كلِّ شيءٍ ويُخرِجه من بيته (الداخليِّ، بيت جهاده، ويتركه خاويًا) يوم الممات.

المستنير بأفكاره هو الذي توصلَ إلى اكتشاف المرارة المُبطَّنة (الكامنة وراء) حلاوة العالم، وأغلقَ فمهُ حتى لا يشرب من هذه الكأس 638. وهو الذي يسعى إلى خلاص نفسه، مُثابراً في مسيرته الروحية حتى النهاية، ومُوصداً أبواب حواسه كي لا يتسرَّب إليه شوق هذه الحياة وتُسَلَّبَ منه الكنوز (الإلهية) الخفية.

بالرغم من كلِّ جهادات الإنسان ومُحاولاته الخروج من ظلمه العالم، فلا يُمكنه رؤية مكائده طالما هو موجودٌ فيه (أي مُتعلقٌ بشهوته). وعلى هذا النحو يُمسِكُ العالمُ بمُرِيديه و أبنائه والمُرتبطين به، وحتى (الفقراء والذين تخلَّوا عن المُقتنيات) الذين لا يملكون شيئاً منه. (و يُقيِّدُ العالمُ) النَّسَّكُ الذين قطعوا رباطاته وتغلبوا عليه مرَّةً، في بداية جهادهم (إن هم عادوا إلى الاهتمام به). ها إنَّه ابتداءً يفتنُّهم بطُرقٍ مُختلفةٍ ويسحِّقهم، جاعلاً إيَّاهم تحت أقدامه. 639

(مزمور 24 : 14)

634 يَحيا في رجاء الدَّهر الآتي مَنْ جاهدَ وأيقنَ في قراره نفسه بأنه تائبٌ عن خطاياها.

635 مَنْ يَحيا حياةً مُنتصرةً يُجاهد طيلة حياتهِ ويحتمل الضَّيقات لأجل المسيح، فينال مجده في الدَّهر الآتي.

636 ربما إشارة إلى مرارة لذة آدم وحواء، والنَّحيب النَّاجم عنها. (تكوين 3 : 6)

637 العالم هو مصدر التجربة: " لا تحبُّوا العالم والأشياء التي في العالم. إن أحبَّ أحدُ العالم فليست محبة الآب فيه " 1)

يوحنا 2 : 15 ؛ 1)؛ " كلُّ ما في العالم من شهوة الجسد و شهوة العين وتعظيم المعيشة ليس من الآب بل من العالم "

1) يوحنا 2 : 16). وقد خرج الرَّاهب من العالم إلى البرية، فكيف يعود إليه؟

5. في علامة نقاوة القلب: نقي القلب حقاً يرى جميع النَّاسِ صالحين، ولا يبدو له أحدٌ منهم مُدَّساً. عندما يعتبر المرء

بقلب صادق أنَّ الجميع أرفعُ منه 640، يبلِّغُ مُستوى ما يقوله النبي حَبَقوق: " العَيْنُ الصَّالِحَةُ لا تَرى (أي أم)

رديناً " 641.

6. في علامة كمال السيرة: فحوى (غاية وقوام) أتعاب عمل السكينة التأهل 642 للصلاة المستمرة. فعندما يصل الإنسان إليها يبلغ إلى قمة الفضائل، وكمال السيرة، ثم يصبح مسكناً للروح القدس. وحين يحصل على نعمة (الروح) المعزّي، يستطيع أن يمارس الصلاة المستمرة براحة (بسُهولة). فالروح عندما يسكن في الإنسان لا يدعه يكف عن الصلاة، بل الروح نفسه يصلّي فيه 643.

عندئذ لا تنقطع الصلاة من نفسه، لا في أثناء النوم، ولا في اليقظة. فإن أكل أو شرب أو مهما فعل، حتى لو كان في نوم عميق، فإن أريج الصلاة يرتفع من قلبه بدون انقطاع. وحتى لو بدا أن الصلاة توقفت خارجياً، فإن فعلها يظل فيه داخلياً. (حتى إن) توقفت الصلاة عند الأنقياء هو صلاة، لأن أفكارهم أصبحت حركات إلهية، وحركات قلوبهم و أذهانهم الطاهرة هي أصوات وديعة يصلون بها سرياً.

638 أغلق فمه: مجازاً، جاهد ليمتنع عن ارتشاف كأس مغريات العالم.

639 من يحيا في العالم، عبثاً يجاهد للخروج من ظلمته، ولا بد من الخروج من العالم لأجل تحقيق الاستنارة. و أن يحيا المرء في العالم يعني أن يكون متعلقاً بشهواته، ولهذا المؤمنون هم في العالم لكن لا ينتمون إليه. فالخروج من العالم يعني بالدرجة الأولى عدم تعلق القلب به.

640 فيلبي 2 : 3

641 حبوق 1 : 13 نقي القلب لا يحكم على الآخرين ولا يدينهم، ولا حتى بينه وبين نفسه، لأن ذلك يؤدي إلى اعتبارهم أدنى منه مقاماً، وربما إلى ازدراؤهم، بل يترك الحكم لله. وربما يحذر القديس إسحق هنا من الحكم على المظاهر.

642 إحدى غايات الجهاد في السكينة أن يصير الراهب مؤهلاً (وقادراً على ممارسة) الصلاة الدائمة.

643 رومة 8 : 26

= المقالة السادسة و الثمانون =

1. في رحمة الضعفاء: مَنْ يَحْتَقِر الضَّعِيفَ لَنْ يَرَى النُّورَ (نور الخلاص ورحمة الله)، وَمَنْ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَمَّنْ هُمْ فِي شِدَّةٍ، تُظْلِمُ أَيَّامَهُ. وَمَنْ يَحْتَقِر صَوْتَ مَنْ هُوَ فِي شِقَاءٍ يُسَبِّبُ الْعَمَى لِأَهْلِ بَيْتِهِ (الدَّاخِلِيِّ، أَي تَعْمَى قِوَاهِ الرُّوحِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ) 644. مَنْ دُونَ أَعْمَالِ الرَّحْمَةِ، بَاطِلٌ عَمَلٌ (الْجِهَادُ عِنْدَ) الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ بُلُوغَ دَرَجَةِ الْكَمَالِ. 645 لَا شَيْءٌ يُنْقِذُ الرَّاهِبَ مِنْ شَيْطَانِ الْكِبْرِيَاءِ، وَيَصُونَ عِفَّتَهُ مِنَ التَّهَابِ هُوَ الْفِسْقُ (خَطَايَا الْجَسَدِ)، مِثْلَ زِيَارَةِ الْمُنْطَرِحِينَ عَلَى الْأَسْرَةِ الْمُتَاعِبِينَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ (فَيَعْتَبَرُ بِأَلَمِهِمْ وَيُدْرِكُ ضَعْفَ جَسَدِهِ، وَيَتَنَزَّهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ).

= الرِّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ =

1. على المتوحد أن يُراقب طريقه: كما يُراقب ربَّان السفينة النَّجُومَ دَائِمًا، يَظَلُّ الْمُتَوَحِّدُ مُرَاقِبًا بِنَظَرِهِ الْخَفِيِّ طَرِيقَ مَسِيرِهِ عَلَى أَسَاسِ الْهَدَفِ الَّذِي وَضَعَهُ فِي ذَهْنِهِ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي نَدَّرَ نَفْسَهُ فِيهِ لِلسَّيْرِ فِي بَحْرِ السَّكِينَةِ الْقَاسِي، حَتَّى يَجِدَ الْوَلُؤَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا رَمَى بِنَفْسِهِ فِي عَمَقِ بَحْرِ السَّكِينَةِ الَّذِي لَا يُدْنِي مِنْهُ. 646.

2. في أن الرجاء يُخفف من مشقة الجهاد: إِنَّ الرَّجَاءَ (بِالْحُصُولِ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ وَخَيْرَاتِ الدَّهْرِ الْآتِي) يُخَفِّفُ عَنِ الْمُجَاهِدِ ثِقَلَ الْعَمَلِ (الْجِهَادِ الرُّوحِيِّ)، كَمَا يُخَفِّفُ عَنْهُ (وِطَاءَ) الْمَشَقَّةِ الْمَلِيئَةِ بِالْأَخْطَارِ، الَّتِي تَعْتَرِضُهُ أُنْثَاءَ مَسِيرَتِهِ (الرُّوحِيَّةِ). وَمَنْ لَا يَضَعُ هَذَا الْهَدَفَ فِي نَفْسِهِ مِنْذُ بَدَأِ سَكِينَتَهُ يَكُونُ عَمَلُهُ مِنْ دُونَ تَمْيِيزِ، وَيُشْبِهُ مَنْ يُصَارِعُ الْهَوَاءَ وَلَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ رُوحِ الضَّجَرِ مَا دَامَ حَيًّا. 647.

3. أفكارك تكشف حفاياك: إِنَّكَ تَعْرِفُ مَا هِيَ حَفَايَاكَ مِنْ نَوْعِيَّةِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تُرَاوِدُكَ بِاسْتِمْرَارٍ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَفْكَارِ الْعَابِرَةِ وَالنَّاجِمَةِ عَنِ ظَرْفِ طَارِيءٍ 648. لَا يُوجَدُ إِنْسَانٌ لِابْسُ جَسَدًا يَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ حُرًّا مِنَ التَّحَوُّلَاتِ (فِي الذَّهْنِ) الَّتِي تَطْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ، سِوَاكَ أَكَانْتَ مِنَ الصَّالِحَاتِ أَمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ. فَإِنْ كَانَ كَامِلًا (بَلِغَ دَرَجَةِ مُتَقَدِّمَةِ فِي الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ) لَا يَتَأَثَّرُ بِهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ طَبِيعَتِهِ (لِلقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي اقْتَنَاهَا). أَمَا إِذَا كَانَ ضَعِيفًا فَإِنَّهُ يَنْجُو مِنَ التَّحَوُّلَاتِ الْكَبِيرَةِ بِسَبَبِ حَمِيرَةِ النِّعْمَةِ (الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ) الْكَامِنَةِ (الْمَغْرُوسَةِ أَسَاسًا) فِي طَبِيعَتِهِ 649.

644 مَنْ يَصِمُّ أذنيه عن صُراخ المسكين، يصرخ هو أيضاً ولا يُسمع له (أمثال 31 : 13).

645 تُقْتَنِي الرَّحْمَةَ أَسَاسًا فِي الْقَلْبِ، وَتُمَارَسُ وَتُتْرَجَمُ إِلَى أَعْمَالِ رَحْمَةٍ.

646 إشارة إلى قول الربِّ: " يشبه ملكوت السماوات تاجراً يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن

باع كلَّ ما له واشتراها" (متى 13 : 46). يُعْطِي الْقُدَيْسُ إِسْحَقَ هَذَا الْمَثَلِ مَعْنَى نَسْكِئًا، فَفَعَلَ الْبَيْعَ يُرْمِزُ إِلَيْهِ بِتَرْكِ

العالم والجهاد الروحي، والغوص في بحر السكينة يعني مُمارسة النسك المقدس.

4. في الكلام والصمت: الكلام أداة هذا العالم والصمت سِرُّ الدَّهْرِ الْآتِي. 650

= الرّسالة الرّابعة =

1. في كره الخطيئة: نحن خطأ بالفعل إن لم نَمُتِ الخطيئة ونُتَب عنها، وليس إذا ارتكبتها فقط 651. [لأنّ عدم كُرهنا للخطيئة سرعان ما يجرُّنا إلى ارتكابها. فَمَنْ يَشْتَهِي الخطيئة هو بالفعل عَيْنِهِ خاطئ]
2. في الملكوت والطّهارة: الملكوت هو صحّة النفس (توبُّتها وخلوها من الأمراض الرّوحية) وطهارتها. الابن المريض لا يطلب من أبيه أن يجعله ملكاً، بل أن يهتمّ (الابن) بشفاء نفسه أولاً. وبعد أن يُشفى تُصبح الملكة كلّها له. وهكذا الخاطئ التائب. فإنه (يجب أن يطلب الشفاء أولاً) وبعد أن يحصل على صحّة النّفس، يدخل مع الآب إلى بلاد الطّبيعة الطّاهرة (ملكوت القلب) ويملك في مجد أبيه 652.
3. في الشفاء من الأهواء و اقتبال الصّحة: تتجدّد النّفس وتتنقّس وتُشفى جميع أعضائها (النفسية والرّوحية) بحال سرّية عندا تُواظب على تطبيح الوصايا الجديدة، الرّوحية (وصايا العهد الجديد)، بمخافة الله، فكلّ وصية تستطيع شفاء الهوى المسيطر على النّفس بهدوء تام، مهما كان نوع ذلك الهوى. وهي (الوصية) تجعل الشافي والمريض على السواء يشعُران بفعلها، نُظير نازفة الدّم 653. إنّ النّفس، عندما يُشفى جانبها الشّهواني وتتنقّس وتلتصق بحياة الرّوح بحال سرّية، تحصل على الصّحة وتحرّر من الحزن الذي تُسبّبها لها أمور العالم. 654 وشفاؤها يتمّ بالنعمة الإلهية، كما حصل للرّسل المغبوطين الذين نالوا ملء المحبّة بإيمانهم بيسوع.
- وتُشفى النّفس أحياناً من طريق الشريعة (حفظ الوصايا) 655. فليعلم من تغلّب على الأهواء بحفظ الوصايا والتشدد في قيامه بأعمال السيرة الحقيقيّة، أنّه اقتنى صحّة نفسه، فانفصل عن العالم وانقطع عن عاداته السيئة وتجدّد روحياً (وعاد صحيحاً) كما كان قبلاً. ووجد (مقيماً) بالنعمة من خلال تأملات إنسانه الداخلي، واستقبله عالم جديد، بسيط غير مُركّب (هو عالم الملائكة والأبرار المقيمين في المجد) 656.
4. في تطلع الدّهن إلى الإنسان الداخلي: إنّ الأشكال (التخيّلات والتصوّرات والمشاهدات) التي يراها الدّهن تتوقّف (تأثيراتها) على كيفية تطلع (الذهن) إليها فعندما يتطلع الإنسان إلى العالم الخارجي [بعين بسيطة نيّرة، فمُشاهداته لن تُسبّب له الأذى 657] (لكنّه) بمقدار ما يُنعم النّظر في تفاصيل الأشياء المتنوعة (لأجل اشتهاؤها والاستمتاع بها)، يجعل آثارها وصورها وظلالها تنطبع في ذهنه (وذاكرته و مُخيّلاته)، فتتحرك فيه أفكار (شهوانية) مُختلفة بحسب كثرة تلك الأشكال ونوعيّة (وكيفية) تبدّلها 658. [فبدلاً من أن يتشتت الرّاهب بكثرة المشاهدات، حريّ به أن ينظر إلى داخل نفسه ليتفحصها ويصلحها، فيتوب عن الاستمتاع بمشاهدات العالم.] فإذا تطلع الدّهن إلى الإنسان الداخلي

(لأجل تفحص الذات)، عندها، (في داخل القلب) يقبل المشاهدة البسيطة (المعاكسة لمشاهدات العالم)، والتي تُعطر حاسة النفس وتمنحها دالة في الصلاة (فتكون مقبولة لدى الله) 659. بعدها، يستحيل على أي شيء تبديل الأشكال (أشكال المشاهدة البسيطة المرتسمة في الذهن، لتصبح مادة تجربة). لأنه (في القلب)، لا وجود لما هو مركب وقابل للتقسيم (والتحول إلى عدة مشاهدات، بعضها غير سليم)، بل المسيح هو الكل في الكل.

5. في أن المشاهدة البسيطة غذاء النفس: المشاهدة (البسيطة) 660 وحدها تُغذي النفس. (بهذه المشاهدة) يطأ الذهن أرض معرفة الحقيقية (الروحية)، ويجد سبيلاً إلى إدراك الأسرار العلوية)، ولا يعود بحاجة إلى الاستفسار (عن المعارف المتنوعة). العين الجسدية لا تستعلم عن الشمس ثم تنظر إليها، وعين النفس لا تتفحص معرفة الروح ثم تُشاهدتها.

647 أي يجري على غير هدى، ومن دون هدف، فيقع في الشطط والضجر، على حد قول بولس الرسول: " لا أجري على غير هدى [من دون هدف] ولا ألكم كمن يلاطم الهواء، بل أقمع جسدي واستعبده مخافة أن أكون مردولاً بعدما وعظتُ غيري" (1 كورنثس 9 : 26)؛ أنظر أيضاً المقالة 71، الفقرة 2، والمقالة 81، الفقرة 6.

648 لأجل ذلك، يدعو القديس إسحق هنا، وفي مواضع أخرى، إلى ضرورة مراقبة حركات الذهن وأفكاره.

649 أنظر المقالة 82، الفقرتين 1 و2، والمقالة 84، الفقرة 1.

650 يتكلم القديس إسحق على الصمت المقدس المملوء بالحضور الإلهي، و الذي يدخل المجاهد في سر الله و أسرار الدهر الآتي.

651 يقول القديس إسحق أيضاً إن الإنسان يعرف أن خطيئته قد غفرت إذا أبغضها من كل قلبه. (المقالة الرابعة والثمانون، الفقرة 4).

652 " إن ملكوت السموات في داخلكم." لوقا 17 : 21

653 عندما شُفيت، شعرت بشفاء نفسيها وجسدها، وكذلك شعر الشافي، يسوع، بذلك الشفاء.

654 " الحزن في سبيل الله يُورث توبةً تؤدي إلى الخلاص. وحزن العالم يورث الموت" (2 كورنثس 7 : 10).

655 الأهواء تُشفى بحفظ الشريعة الجديدة، الروحية، التي بالمسيح، كما أن شفاء الأهواء مُمكن بحفظ الوصايا. أنظر الحاشية رقم 207.

656 هنا إشارة إلى حالة البرارة التي كان عليها آدم قبل السقطة، أو إلى حال المجاهد قبل وقوعه في الخطيئة.

كذلك (يَسْتَحِيل على الذهن أن يَسْتَعْلَم عن معرفة الروح ثم يِنَالها، أو أن يَسْأَل عن إعلانات الأنوار الإلهية ثم يَشَاهِدُها).
المشاهدة السرية لا تُعْلَن للذهن قَبْلَ استعادة صحّة النَّفس (من خلال التَطَهُّر، مهما حاول الإنسان تفحص الحقائق السرية
وتقصيها والبحث عنها)661.

بالجَهْل. فبولس المَغْبُوط عندما شاهد الأسرار الغامضة وسمِعَ الأقوال غير المنطوق بها، والتي لا يَسْتطِيع إنسان أن يُخْبِر
عنها (لم يَلْتَمِسها ولم يُدَقِّق في ماهيتها)، ولم يَقُل إنه رآها وسمِعها بالتعلُّم أو بوسيلة مادة أخرى، بل سُبِيَ سبياً إلى بلد
الرَّوح (الفردوس) وشاهد إعلان الأسرار.

6. في هبات الله: هل بمقدور أحد أن يقف أمام وجه الله، (و يسأله) أو يقاوم مشيئته؟ إنه أحياناً يهب مجاناً، و أحياناً
يطلب بالأعمال الجهادية وبالطهارة (التحرر من الأهواء) معاً. و أحياناً لا يمنح الطهارة في هذه الحياة حتى بعد عمل
(الجهاد)، بل يحفظها إلى أوانها 662. والمجدُ لربنا وإلهنا يسوع المسيح إلى الدهور. آمين.

657 بحسب قول الرب، "سراج الجسد العين" متى 6 : 22-23. النَّظَرُ إلى العالم بعينٍ بسيطةٍ ونيرةٍ لا يترك مجالاً
لتحوُّل المشاهدات وتعددها، بحيث يكون بعضها مؤذياً.

658 حتى المتوحِّدون و النسَّاك يُحَارِبُونَ المشاهدات العالمية. ولذلك، فالعمل السليم والأجدى للمُجاهد، ولكل إنسان، هو
العناية بضبط حواسه، حيثما كانت إقامته، "والابتعاد القلبي عن أمور العالم". المقالة الأولى، الفقرة 2.

659 إنَّ تفحص الرَّاهِب لداخل ذاته، حيثُ المشاهدات الإلهية، يُحوِّله عن مُشاهدات العالم. ويكون هذا العمل، إذا ثابَرَ
الرَّاهِب عليه، بمثابة فعل توبةٍ مقبولةٍ لدى الله، فينال منه نقاوةً لحاسة النَّفس، و دالةً في الصلاة، و مناعةً ضدَّ
تجارب الحواس و المشاهدات.

660 يتَّضح ممَّا سبق أنَّ المشاهدة البسيطة هي النَّظَرُ إلى المحسوسات والأمر الخارجية بعينٍ بسيطةٍ نيرةٍ لا تعرف الشهوة
(أنظر الحاشية 657)، والنَّظَرُ إلى داخل النفس لتفحصها، كما شرحنا في الحاشية السابقة. وفي هذه الفقرة، المعنى
الثاني هو المقصود.

661 صحّة النفس تعني تطهَّرها وعدم التماسها المشاهدات واشتهائها والاستمتاع بها. ويسْتَحِيل على النَّفس أن تنال المعارف
السماوية والأنوار الإلهية قبل تطهَّرها، مهما حاولت الفحص والاستعلام عنها والحصول عليها بالطرق البشرية.

بهذا يجعل القديس إسحق المَعارف التي ينالها الراهب بالدَّرس والتَّقصي قليلة الفائدة لأجل تَقَدِّمه الروحيّ، وأقلَّ مرتبةً من المَعارف والمُكاشفات الإلهيَّة التي يَنالها من الله بَعْد تَنقيّة نفسه وتَطهِّره.

662 عند الله طُرُقٌ سريَّة، خفيَّةٌ، في التعمُّل مع المُجاهدين، وهو يوزِّع هباته وإنعاماته كما يشاء. ويستشهد القديس إسحق لأجل ذلك بقول الرسول بولس: " ما أَبَعَدَ غَوْرَ غِنَى الله وحِكمته وعلمه. وما أَعَسَرَ إدراكَ أحكامه وتبَيُّن طُرُقَه. مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الربِّ، وَمَنْ كان له مُشيراً" (رومة 11:33-34). ومُنتهى الكلام أَنَّ المُجاهد لا يَبْلُغ الكمال في هذه الحياة، لأنَّ الله قد حَفِظَ الكمال للدَّهر الآتي.

فهرس الموضوعات

هذه العلامة * تعني وجود موضوعات مُتقاربة المعنى

اختلط اختلاط (بالآخرين): 124 ، 160 ، 168 ، 173 ، 174 ، 175 ، 125 ، 142 ، 143 .
.185

استعداد مستعد: 27 ، 29 ، 33 ، تجربة تجارب: 16 ، 25 ، 27 ، 31 ،
، 42 ، 50 ، 81 ، 131 ، 166 ، 41 ، 48 ، 49 ، 54 ، 85 ، 86 ،
إعتدال: 31 ، 120 ، 121 ، 137 ، 87 ، 95 ، 105 ، 106 ، 107 ،
، 160 ، 164 ، 171 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 114 ،
* إنجيل إنجيلي أنجيل: 15 ، 59 ، 115 ، 116 ، 119 ، 120 ، 133 ،
، 60 ، 63 ، 89 ، 123 ، 142 ، 155 ، 157 ، 176 ، 179 ،
.186 ، 180

* الكتاب المقدس: 16 ، 20 ، 24 ،
، 30 ، 42 ، 43 ، 61 ، 63 ، 83 ، تجرد: 30 ، 46 ، 48 ، 58 ، 87 ،
، 85 ، 110 ، 157 ، 158 ، 172 ، 126 ، 136 ، 166 ،
.175 تذر: 94 ، 108 ، 155 ، 156 ،

.165
إيمان: 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، تراخي: 40 ، 43 ، 64 ، 70 ، 111 ،
، 22 ، 27 ، 28 ، 29 ، 38 ، 39 ، 115 ، 116 ، 117 ، 120 ، 122 ،
، 45 ، 46 ، 54 ، 55 ، 57 ، 89 ، 124 ، 138 ، 142 ، 143 ،
، 125 ، 132 ، 133 ، 134 ، 145 ، * تشوش: 26 ، 28 ، 30 ، 41 ،

،78 ،72 ،65 ،64 ،44 ،42 ،150 ،149 ،148 ،147 ،146

،109 ،105 ،102 ،101 ،85 ،185 ،152

،120 ،117 ،112 ، تشويش : ،124 ،86 ،79 ، بطن تخمة شراة :

،158 ،150 ،128 ،124 ،121 ،137

،171 ،170 ،167 ،163 ،160

،34 ،33 ،29 ، تعزية تعزيات يعزي : ،23 ،20 ،17 ،16 ،15 ، تأمل :

،89 ،88 ،67 ،66 ،45 ،42 ،35 ،69 ،64 ،63 ،43 ،37 ،26

،108 ،107 ،106 ،101 ،100 ،84 ،83 ،81 ،77 ،74 ،70

،125 ،124 ،119 ،110 ،109 ،96 ،92 ،91 ،90 ،87 ،85

،158 ،157 ،134 ،133 ،130 ،151 ،124 ،102 ،100 ،97

،107 ،106 ،86 ،73 ،72 ،47 ،40 ،37 ،24 ،17 ، تمييز :

،117 ،116 ،114 ،112 ،108 ،82 ،75 ،71 ،70 ،67 ،48

،175 ،168 ،151 ،143 ،126 ،108 ،89 ،97 ،87 ،85 ،84

،64 ،54 ،37 ،33 ،25 ، حرب : ،126 ،121 ،120 ،118 ،113

،103 ،102 ،71 ،70 ،65 ،145 ،142 ،141 ،139 ،128

،119 ،116 ،115 ،114 ،106 ،183 ،170

150 ،137 ،120 ،52 ،51 ،45 ،43 ،34 ، تواضع :

،64 ،48 ،44 ،32 ، حروب : ،67 ،62 ،60 ،56 ،54 ،53

،93 ،94 ،100 ،110 ،111 ،71 ،72 ،92 ،116 ،142 ،112 ،113 ،126 ،130 ،137 ،150 ،175 ،176 ،140 ،145 ،155 ،165 ،169 ،170 ،* حرب روحية: 25 ،33 ،37 ،54 ،171 ،64 ،65 ،70 ،71 ،102 ،103 ،توبة تاب تائب تائبون يتوب:28 ،106 ،114 ،115 ،116 ،119 ،40 ،60 ،61 ،68 ،73 ،75 ،76 ،77 ،89 ،90 ،95 ،100 ،120 ،137 ،150 ،103 ،105 ،117 ،119 ،125 ،* حروب روحية: 32 ،44 ،48 ،135 ،140 ،143 ،145 ،151 ،64 ،71 ،72 ،92 ،116 ،142 ،152 ،155 ،161 ،164 ،178 ،175 ،150 ،176 ،179 ،184 ،185 ،حزن أحزان: 22 ،23 ،25 ،31 ،32 ،33 ،34 ،49 ،50 ،51 ،جسد: 22 ،44 ،80 ،121 ،60 ،67 ،68 ،72 ،73 ،85 ،جهد: 37 ،39 ،50 ،51 ،58 ،87 ،94 ،95 ،96 ،104 ،106 ،93 ،66 ،106 ،114 ،115 ،107 ،113 ،115 ،126 ،128 ،116 ،117 ،120 ،122 ،130 ،135 ،136 ،139 ،140 ،143 ،132 ،133 ،142 ،160 ،145 ،152 ،154 ،161 ،164 ،166 ،171 ،173 ،185

حديث أحاديث: 27، 40، 41،
49، 66، 73، 74، 86، 89، حَسَد حَسُود: 99، 105، 134،
91، 92، 102، 135، 158، 135، 138، 156، 165،
* حَارَبَ: 20، 28، 37، 38، حَقْد: 36، 79، 99، 134،
44، 50، 53، 57، 65، 71، 135، 139،
حكمة حكيم: 15، 20، 21، 23، خصام: 34، 35، 36،
26، 29، 30، 31، 36، 41، خلوة إختلاء: 16، 69، 123،
48، 52، 61، 69، 86، 91، 125،
103، 104، 108، 121، 124، * خوف: 22، 31، 39، 46، 51،
133، 134، 141، 145، 148، 55، 56، 65، 68، 70، 79،
150، 155، 156، 168، 80، 81، 86، 94، 96، 103،
174، 178، 108، 114، 115، 117، 121،
131، 137، 148، 152، 153،
* خاطى: 52، 75، 77، 80، 155، 161، 171، 179،
103، 117، 143، 144، 145، * مخافة الله: 15، 17، 18، 24،
151، 161، 171، 184، 67، 94، 95، 103، 155،
* خطأ: 35، 119، 139، 140، 184،
143، 144، 145، 155، 171،
184، دالة: 23، 32، 33، 39، 46،
58، 59، 72، 74، 100، 101،
* خطيئة: 18، 26، 28، 31، 51،
61، 66، 71، 75، 76، 77، 136، 142، 144، 157، 186،
79، 89، 98، 99، 110، 113، دموع: 58، 70، 78، 88، 109،

،151 ،141 ،130 ،127 ،125 ،127 ،125 ،119 ،118 ،117
،171 ،164 ،152 ،145 ،143 ،140 ،138
،92 ،56 ،32 ،31 ،30 ، ذكر الله : ،184 ،179 ،176 ،158 ،157
،152 ،140 ،123 ،100 ،96 ،185
،168 ،163 ،159 ،158 ،*خطايا : 28 ،35 ،39 ،60 ،64
،66 ،49 ،43 ،26 ،19 ، ذكريات : ،90 ،85 ،84 ،73 ،72 ،68
،84 ،83 ،80 ،76 ،74 ،70 ،113 ،112 ،109 ،107 ،94
،156 ،121 ،99 ،91 ،90 ،85 ،136 ،125 ،120 ،118 ،117
،175 ،174 ،169 ،168 ،157 ،158 ،156 ،152 ،151 ،143
،50 ،43 ،42 ،41 ،40 ، ذهن : ،178 ،170 ،167 ،165 ،164
،82 ،78 ،71 ،64 ،62 ،60 ،182 ،179
،151 ،99 ،92 ،90 ،86 ،84 ،*خطايا "صغيرة" : 28 ،40 ،71
،185 ،176 ،174 ،122 ،116
،126 ،59 ، سامح يسامح مسامحة : ،49 ،37 ،32 ،31 ،25 ، راحة :
،156 ،134 ،72 ،70 ،67 ،66 ،64 ،50
،42 ،41 ،40 ،39 ،30 ، سَكِينة : ،114 ،111 ،107 ،93 ،92
،90 ،89 ،88 ،74 ،69 ،49 ،140 ،122 ،120 ،119 ،117
،169 ،168 ،163 ،142 ،107 ،161 ،160 ،143 ،142 ،141
،181 ،175 ،174 ،171 ،170 ،181 ،171 ،170
،182
،136 ،89 ،59 ،21 ،20 ، رَأْفة :
،76 ،44 ،38 ،33 ،30 ، سلام : ،158 ،157
،105 ،102 ،88 ،85 ،84
،159 ،134 ،121 ،108 ،106 ، رجاء يرجو : 21 ،30 ،31 ،34

39 ، 46 ، 48 ، 49 ، 57 ، 58 ، 170 ، 179 .
 83 ، 87 ، 88 ، 90 ، 130 ، 131 ،
 132 ، 134 ، 143 ، 148 ، 149 ، سَهَر: 33 ، 66 ، 74 ، 87 ، 98 ،
 150 ، 152 ، 155 ، 163 ، 165 ، 123 ، 148 ، 162 ، 168 ، 175 .
 168 ، 179 ، 182 . شكر: 22 ، 31 ، 39 ، 75 ، 76 ،
 *رحمة: 20 ، 28 ، 34 ، 35 ، 43 ، 113 ، 131 ، 155 .
 45 ، 67 ، 77 ، 78 ، 81 ، 87 ، شهوة: 16 ، 20 ، 33 ، 36 ، 60 ،
 89 ، 103 ، 125 ، 126 ، 135 ، 70 ، 84 ، 97 ، 102 ، 114 ،
 140 ، 144 ، 152 ، 158 ، 164 ، 118 ، 119 ، 122 ، 124 ، 134 ،
 179 ، 182 . 137 ، 139 ، 176 ، 180 .
 *رحمة الله: 28 ، 54 ، 67 ، 87 ، شوق: 20 ، 39 ، 50 ، 68 ، 70 ،
 89 ، 136 ، 144 ، 152 ، 172 ، 84 ، 89 ، 91 ، 96 ، 97 ، 119 ،
 182 . 141 ، 150 ، 165 ، 167 ، 168 ،
 180 .
 *رحيم: 20 ، 45 ، 89 ، 126 ،
 144 ، 164 . شيطان شياطين شيطاني: 18 ، 46 ،
 50 ، 51 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 ،
 *يرحم: 30 ، 35 ، 78 ، 126 ، 60 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 90 ،
 138 ، 164 . 99 ، 105 ، 106 ، 115 ، 143 ،
 زهد زاهد يزهد: 16 ، 49 ، 90 ، 147 ، 153 ، 160 ، 169 ، 175 ،
 91 ، 92 ، 114 ، 171 . 176 ، 182 .
 * (أعمال) صالحة (مشيئة ، سيرة) صمت: 87 ، 88 ، 90 ، 100 ،
 صالحة: 20 ، 27 ، 28 ، 57 ، 59 ، 101 ، 145 ، 150 ، 165 ، 172 ،
 80 ، 89 ، 90 ، 113 ، 129 ، 183 .

صوم أصوام: 57، 63، 80، 125،	130، 132.
135، 163، 175.	* (أفكار) سالحة: 39، 40، 41،
صليب: 23، 25، 43، 44، 49،	70، 80، 83، 87، 92، 93،
106.	138، 139، 141، 155، 175.
ضبط الحواس: 16، 17، 36، 63،	* (الله) صالح: 141.
65، 88، 102، 103، 125،	* صالحات: 55، 58، 66، 69،
142، 143، 144، 159، 160.	84، 85، 93، 135، 183.
الضجر: 86، 88، 109، 120،	* صلاح: 22، 29، 53، 56، 107،
150، 183.	128، 136، 141، 142، 144،
ضحك: 23، 72، 138.	159، 160، 169، 176، 183،
ضيق (بمعنى شدة) ضيقة مضايق	صَبْرٌ صَبْرٌ صابر يصبر: 24، 27،
ضيقات: 17، 18، 23، 24، 31،	29، 32، 34، 42، 55، 71،
32، 33، 39، 50، 67، 68،	76، 88، 90، 96، 106، 108،
73، 75، 76، 77، 93، 94،	109، 110، 111، 114، 121،
95، 105، 106، 109، 117،	122، 126، 127، 134، 135،
130، 131، 138، 168، 179.	139، 140، 150، 158، 163،
طاعة أطاع مُطيع يُطيع: 21، 23،	171.
32، 43، 145، 163، 165،	* صلاة: 26، 33، 36، 43، 45،
166.	54، 66، 81، 82، 87، 91،
طالَع مُطالعة: 16، 30، 37، 42،	101، 103، 104، 136، 150،
61، 63، 64، 83، 86، 124،	157، 161، 165.
126، 157، 175.	
طهارة تطهّر: 30، 32، 33، 60،	* صلّى يُصلّي: 27، 35، 55، 60،
74، 82، 99، 103، 126،	78، 81، 91، 106، 126،

،164 ،161 ،140 ،128 ،127 ،157 ،150 ،148 ،143 ،136
 ،187 ،186 ،184 ،168 ،181 ،172
 ،32 ،30 ،25 ،18 ،38 ،37 : عناية (الله):
 ،86 ،63 ،57 ،48 ،47 ،46 ،78 ،65 ،64 ،43 ،42 ،41
 ،146 ،112 ،107 ،72 ،127 ،126 ،112 ،91 ،89
 ،137 ،88 ،20 : عادة عادات: 182 ،180 ،160 ،149 ،128
 ،185 ،141 ،138 ،59 ،35 ،34 ،29 : ظلم ظالم:
 ،127 ،126 ،104 ،89 ،60
 ،165 ،125 ،61 : غربة (غريب): 171
 ،75 ،73 ،67 : غفر مغفرة غفران:
 ،117 ،113 ،112 ،110 ،93 ،82 ،78 ،45 ،44 : *عائِنَ مُعائِنَةً:
 ،167 ،166 ،164 ،151 ،127 ،177 ،174 ،153 ،100 ،99
 ،184 ،178 ،63 ،44 : *مُشاهدة (بمعنى مُعائِنَةً):
 ،85 ،83 ،82 ،81 ،78 ،66
 ،113 ،109 ،64 ،45 ،38 : فتور: 97 ،92 ،91 ،90 ،89 ،88
 ،55 ،33 ،29 ،25 ،22 : فرح: 161 ،128 ،116 ،101 ،99
 ،70 ،68 ،61 ،60 ،59 ،58 ،177 ،174 ،172 ،165 ،162
 ،96 ،84 ،77 ،76 ،73 ،72 186
 ،110 ،105 ،104 ،101 ،100 ،136 ،59 ،46 ،39 : *عدالة:
 ،124 ،123 ،121 ،120 ،112 ،144 ،59 ،39 : *عَدالة الله:
 ،138 ،128 ،127 ،126 ،125 ،45 ،28 ،25 ،19 : عين (الإنسان):
 ،154 ،153 ،151 ،145 ،140 ،105 ،100 ،78 ،70 ،58 ،47
 ،169 ،166 ،161 ،160 ،158 ،153 ،151 ،137 ،130 ،118
 ،178 ،171 ،170 ،172 ،169 ،164 ،157 ،156

فضيلة فضائل : 15 ، 16 ، 24 ، 26 ،	178 ، 180 ، 181 ، 186 .
، 27 ، 31 ، 34 ، 40 ، 41 ، 45 ،	عفة عفيف : 19 ، 20 ، 41 ، 60 ،
، 49 ، 50 ، 52 ، 53 ، 57 ، 67 ،	62 ، 64 ، 70 ، 88 ، 101 ، 102 ،
، 69 ، 74 ، 76 ، 77 ، 80 ، 93 ،	105 ، 106 ، 125 ، 126 ، 137 ، 171 ،
، 94 ، 97 ، 98 ، 99 ، 101 ، 103 ،	184 .
، 105 ، 106 ، 109 ، 110 ، 111 ،	العالم : 34 ، 36 ، 79 ، 96 ، 100 ،
، 113 ، 114 ، 119 ، 121 ، 123 ،	101 ، 102 ، 118 ، 158 ، 162 ،
، 126 ، 130 ، 134 ، 159 ، 162 ،	180 .
لذة : 18 ، 20 ، 43 ، 61 ، 64 ،	64 ، 165 ، 166 ، 168 ، 169 ،
، 66 ، 72 ، 88 ، 89 ، 96 ، 98 ،	174 ، 175 ، 181 .
، 114 ، 119 ، 121 ، 122 ، 124 ،	فطنة : 31 ، 89 ، 113 ، 160 ،
125 ، 158 ، 178 ،	فقر فقير : 16 ، 17 ، 29 ، 30 ،
لسان : 24 ، 60 ، 65 ، 87 ، 99 ،	34 ، 36 ، 165 ، 170 .
100 ، 101 ، 135 ، 161 ، 141 ،	
	قنية : 16 ، 29 ، 30 ، 36 ، 91 ،
* محبة : 21 ، 35 ، 36 ، 60 ، 72 ،	170 .
، 79 ، 87 ، 96 ، 102 ، 103 ،	
، 114 ، 124 ، 135 ، 144 ، 153 ،	* كبرياء : 19 ، 31 ، 35 ، 39 ،
، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 158 ،	41 ، 52 ، 55 ، 56 ، 57 ، 61 ،
، 161 ، 163 ، 165 ، 166 ، 167 ،	62 ، 87 ، 94 ، 95 ، 105 ، 107 ،
، 169 ، 185 ،	108 ، 111 ، 112 ، 120 ، 113 ،
* محبة الله : 16 ، 18 ، 23 ، 41 ،	135 ، 136 ، 139 ، 142 ، 155 ،
، 45 ، 48 ، 49 ، 67 ، 82 ،	156 ، 182 .
* محبة المسيح : 92 ، 94 ، 96 ،	

،146 ،123 ،117 ،103 ،102	*متكبر: 19 ،41 ،48 ،53 ،55
،158 ،155 ،154 ،153 ،150	،62 ،105 ،107 ،113 ،114
167 ،166 ،162	،117 ،138 ،139 ،140 ،156
،65 ،42 :مُراقبة (الذات الذهن...):	.169
،183 ،182 ،160 ،126 ،118	كسَل كَسول حَمول حُمول بَطال: 55 ،
،29 ،24 ،23 ،18 ،17 :مَعرفة	،57 ،58 ،64 ،70 ،73 ،92
،56 ،54 ،53 ،47 ،44 ،31	،116 ،117 ،124 ،132 ،133
،96 ،85 ،79 ،74 ،63 ،58	.138 ،142 ،160
،112 ،105 ،103 ،98 ،97	كَمال: 21 ،29 ،52 ،53 ،55
،132 ،131 ،128 ،124 ،119	،56 ،59 ،66 ،80 ،88 ،111
،149 ،148 ،147 ،146 ،145	،112 ،119 ،128 ،129 ،134
،169 ،168 ،158 ،157 ،150	،145 ،156 ،164 ،166 ،167
،186 ،179 ،178 ،174	،177 ،178 ،181 ،182 ،187
،90 ،78 ،60 ،32 :تَنْقية ، نَقِيّ ،	*مَعونة: 35 ،46 ،47 ،48 ،49
،159 ،135 ،101 ،99 ،91	.58
،181 ،174 ،168 ،165 ،162	*مَعونة (الله): 17 ،27 ،42 ،46
،150 ،75 ،49 :نكران ينكر	،47 ،48 ،49 ،54 ،55 ،56 ،66
،139 ،138 ،26 ،7 ،نميمة نَمّام:	،67 ،74 ،81 ،106 ،109 ،114
.161	،116 ،132 ،141 ،146 ،157
	*موهبة: 52 ،53 ،70 ،94 ،95
،97 ،80 ،72 ،37 ،28 :هوى*	،104 ،107 ،109 ،128 ،140
،172 ،168 ،151 ،139 ،126	.142

،184 ،182 ،175 ،173	* مواهب هبات : 55 ، 56 ، 80 ،
،33 ،31 ،26 ،23 ،16 : * أهواء	،107 ،106 ،101 ،95 ،82
،40 ،38 ،36 ،37 ،35 ،34	،142 ،128 ،127 ،113 ،112
،56 ،54 ،53 ،51 ،44 ،42	،178 ،163 ،157 ،155 ،152
،79 ،72 ،71 ،69 ،67 ،60	نعمة : 17 ، 18 ، 42 ، 46 ، 47 ،
،91 ،89 ،85 ،84 ،83 ،80	،74 ،73 ،67 ،66 ،51 ،48
،102 ،100 ،99 ،98 ،97 ،96	،98 ،97 ،93 ،86 ،83 ،78
،119 ،116 ،115 ،112 ،103	،113 ،112 ،111 ،107 ،104
،161 ،158 ،128 ،122 ،121	،133 ،132 ،125 ،124 ،114
،172 ،170 ،169 ،168 ،162	،144 ،143 ،137 ،136 ،135
،185 ،184 ،175 ،174 ،173	،156 ،155 ،152 ،151 ،145
،43 ،42 ،33 ،28 ،23 : يقطعة	،185 ،183 ،182
،73 ،69 ،66 ،65 ،57 ،56	* نقاوة : 43 ، 46 ، 60 ، 74 ، 78 ،
،103 ،98 ،89 ،85 ،78 ،74	،103 ،101 ،91 ،87 ،83
،128 ،115 ،113 ،111 ،110	،170 ،158 ،141 ،127 ،114
،181 ،160 ،142 ،140 ،137	،181 ،176 ،175 ،174

فهرس المحتويات

3	مقدّمة
13	المقالة الأولى
20	المقالة الثانية
21	المقالة الثالثة
22	المقالة الرابعة
23	المقالة الخامسة
32	المقالة السادسة
33	المقالة الثامنة
34	المقالة الثمانية عشرة
36	المقالة الثالثة عشرة
38	المقالة الرابعة عشرة كاملة
39	المقالة السادسة عشرة
41	المقالة التاسعة عشرة
46	المقالة العشرون
47	المقالة الحادية والعشرون
51	المقالة الثانية والعشرون
52	المقالة الثالثة والعشرون
59	المقالة الرابعة والعشرون
60	المقالة الخامسة والعشرون
61	المقالة السادسة والعشرون
63	المقالة السابعة والعشرون
65	المقالة الثلاثون
70	المقالة الثانية والثلاثون
72	المقالة الثالثة والثلاثون

78	المقالة الخامسة والثلاثون.....
79	المقالة السادسة والثلاثون.....
80	المقالة السابعة والثلاثون.....
82	المقالة الثامنة والثلاثون.....
84	المقالة الثانية والأربعون.....
84	المقالة الثالثة والأربعون.....
87	المقالة الرابعة والأربعون.....
90	المقالة السادسة والأربعون.....
93	المقالة التاسعة والأربعون.....
96	المقالة الثانية والخمسون.....
97	المقالة الرابعة والخمسون.....
98	المقالة الخامسة والخمسون.....
102	المقالة السادسة والخمسون.....
110	المقالة السابعة والخمسون.....
111	المقالة الثامنة والخمسون.....
116	المقالة التاسعة والخمسون.....
117	المقالة الستون.....
119	المقالة الثانية والستون.....
124	المقالة الحادية والسبعون.....
125	المقالة الثانية والسبعون.....
127	المقالة الثالثة والسبعون.....
134	المقالة الحادية والثمانون.....
140	المقالة الثانية والثمانون.....
143	المقالة الثالثة والثمانون.....

144	المقالة الرَّابِعة والثَّمَانون.....
146	المقالة الخامسة والثَّمَانون.....
149	المقالة السادسة والثَّمَانون.....
149	الرَّسالة الثَّالِثة.....
150	الرَّسالة الرَّابِعة.....
154	فهرس الموضوعات.....